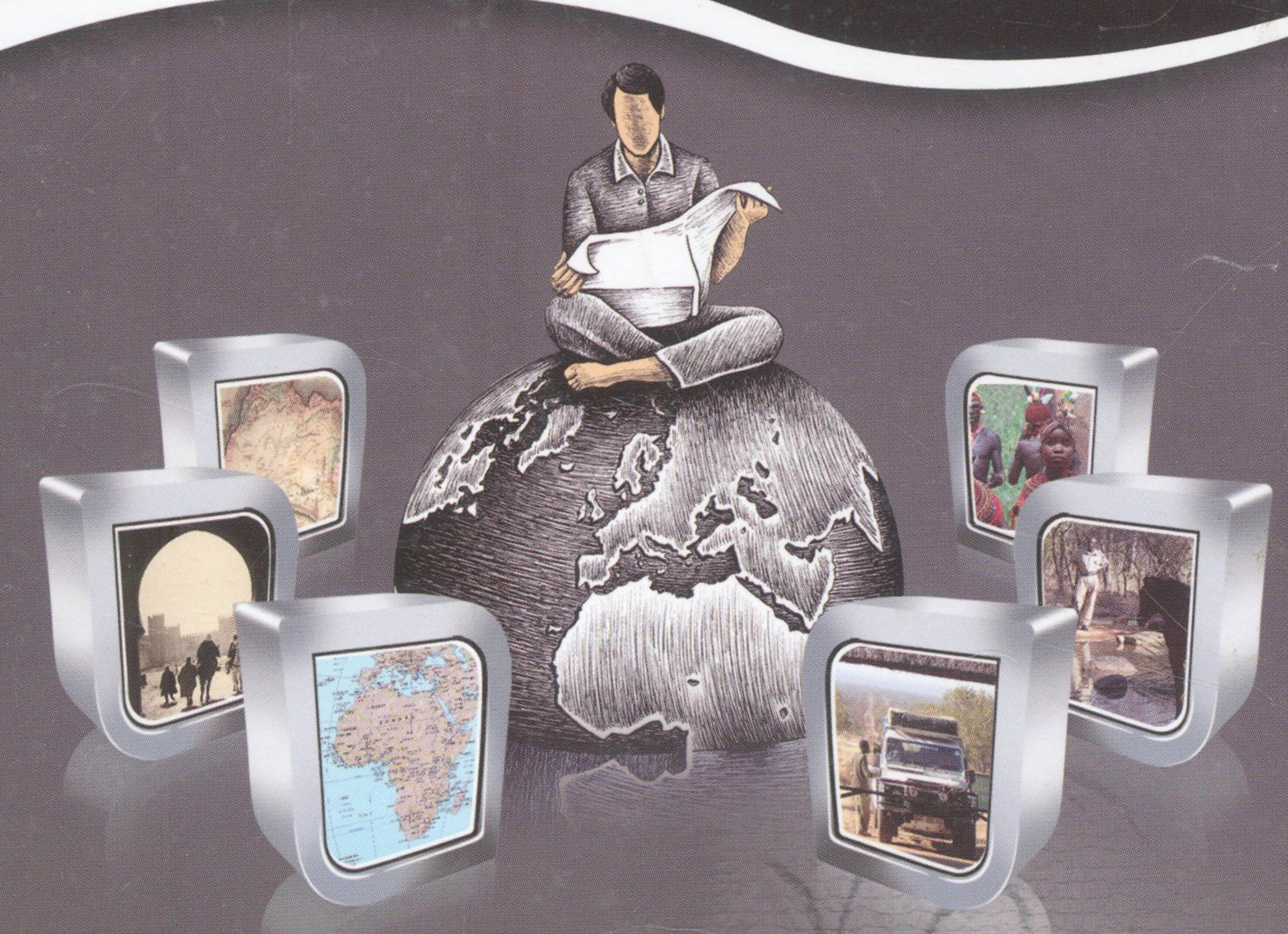
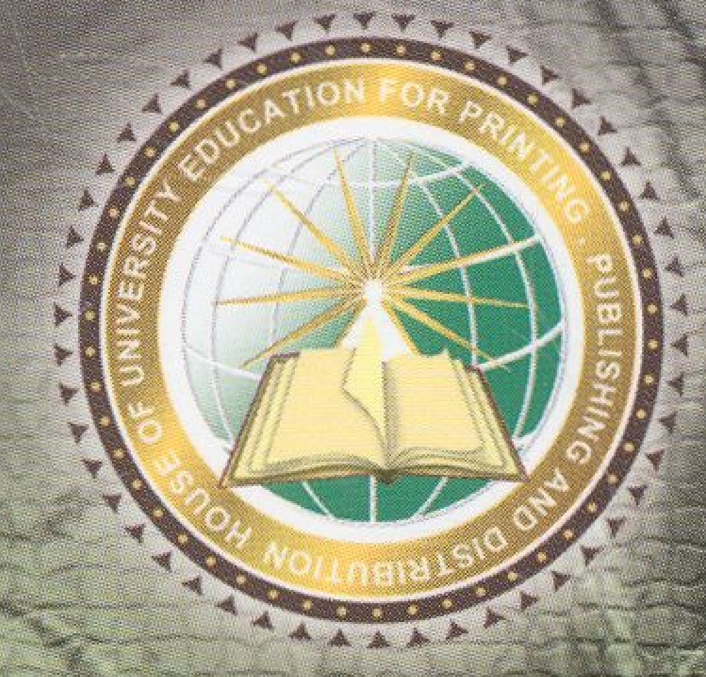
تاريخ وحضارة شمال إفريقيا



الدكتور
أحمد عبد الحليم دراز
أستاذ تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم/م
كلية الآداب - جامعة المنوفية



دار التعليم الجامعى
للطباعة والنشر والتوزيع
٢١ش شادى عبد السلام - برج زهرة الأنوار - ميامى - الإسكندرية-ج.م.ع.
تليفاكس: ٠٠٢-٠٣/٥٥٦٣٩٦١٠ موبايل: ٠٠٢/٠١١٩٩٩٥٠٠٩-٠١٠١٨٣١٧٩٦
Email:dartalemg@yahoo.com

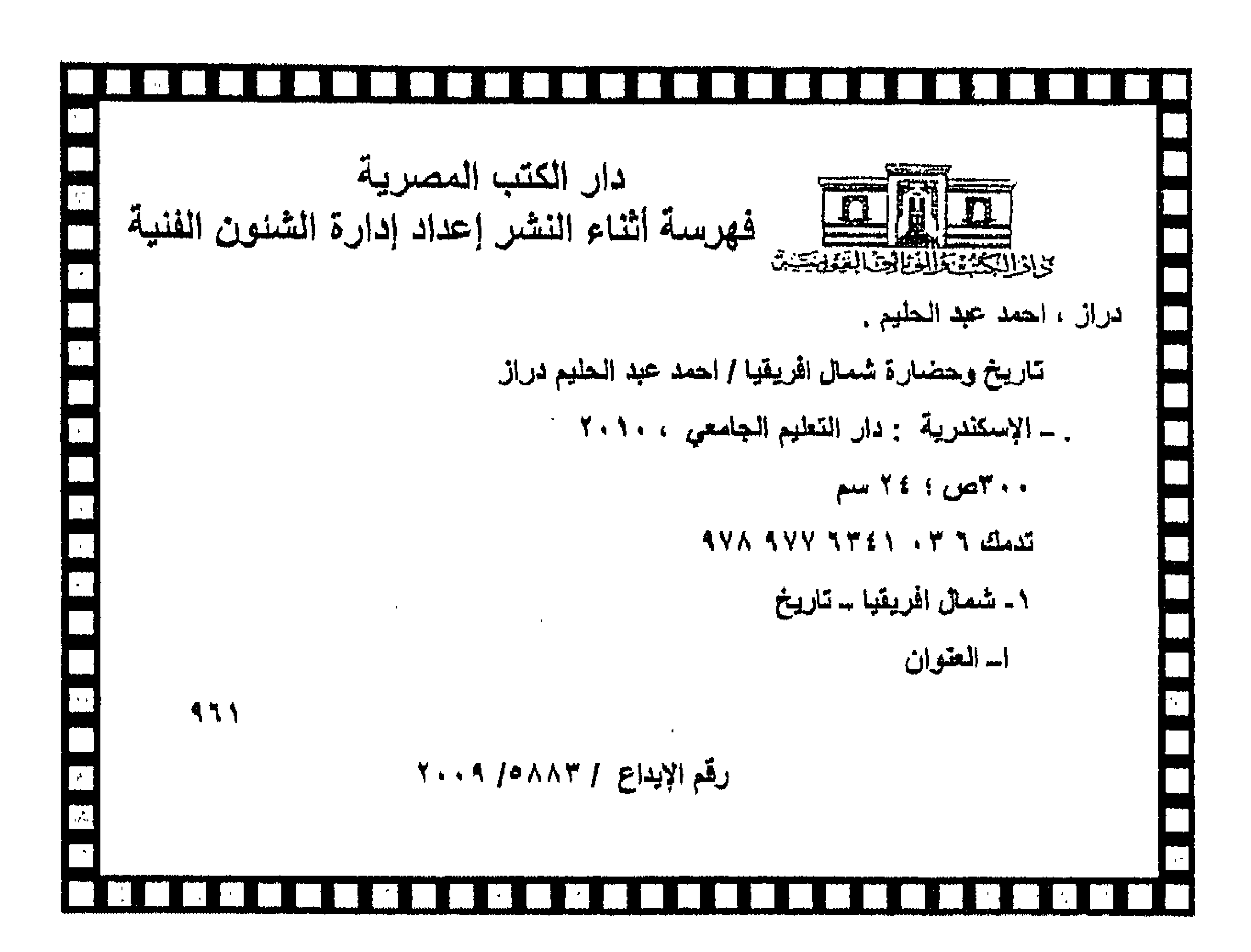
تاريخ وحضارة
شمال إفريقيا

دكتور
أحمد عبد الحليم دراز
أستاذ تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم / م
كلية الأداب – جامعة المنوفية

٢٠١٠



دار التعليم الجامعى
٢١ش شادى عبد السلام ـ برج زهرة الأنوار ـ ميامى ـ الإسكندرية ـ ج.م.ع.
تليفاكس: ٠٠٢ـ٠٣/٥٥٦٣٩٦١ موبايل: ٠٠٢/٠١٠١٨٣١٧٩٦
٠٠٢/٠١١٩٩٩٥٠٠٩
Email:dartalemg@yahoo.com



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

دراز ، احمد عبد الحليم .
تاريخ وحضارة شمال افريقيا / احمد عبد الحليم دراز
. ـ الإسكندرية : دار التعليم الجامعي ، ٢٠١٠
٣٠٠ص ؛ ٢٤ سم
تدمك ٩٧٨ ٩٧٧ ٦٣٤١ ٠٣ ٦
١ ـ شمال افريقيا ـ تاريخ
أ ـ العنوان

٩٦١

رقم الإيداع / ٢٠٠٩/٥٨٨٣

تقديم

لم تتوقف الأساليب الغربية فى ضرب الحضارات العربية سواء من الداخل أو من الخارج ورأت أن الأسلوب الأمثل أن تضرب هذه الحضارات نفسها بنفسها وذلك ببث الفرقة بينهامن خلال تغذية الروح الفردية حتى تعتقد كل منطقة أو دولة أنها أساس نشأة الحضارة وأن ما سواها ماهى إلا حضارات مقتبسة منها، وفى سبيل ذلك تأتى بالأدلة والبراهين التى تدعم وجهة نظرها، فتكون المحصلة النهائية هدم حضاراتنا بأنفسنا وبأدلة نأتى بها نحن، فى حين أننا لو تداركنا الأمر بعقلانية لوجدنا أن هذا التشابه بين الحضارات فى هذه المنطقة يشير بوضوح إلى وحدة أصول الحضارات الأمر الذى يدعونا إلى إبراز هذه الحقيقة.

وهذا ما دفعنا لعمل دراسة تؤكد وجهة النظر هذه حيث أن شعوب الشمال الأفريقى قد سكنت رقعة جغرافية هائلة ومتنوعة البيئات، وقد جاورت بعض بقاعها مراكز حضارية ذات طابع مختلف، فكان على هذا الموقع أو ذاك أن يتلقى بعض المؤثرات الوافدة وأن يتفاعل معها سواء بالسلب أو بالإيجاب، فنحن نعرف أن الشمال الإفريقى يطل بواجهة عريضة على عالم البحر المتوسط، ومن الجانب الآخر ينفتح على أفريقيا الاستوائية بكل ما كانت تمثلة من هجرات وموجات بشرية متنوعة، ومع اتساع رقعة الشمال الإفريقى وتنوع بيئاته فقد كانت هذه المؤثرات حينما تفد من مواطنها الأصلية لا تترك من آثارها ما يمكن أن يكون واحداً فى جميع الحالات، فى حين كان هناك بقاع فى الشمال الأفريقى يحكم موقعها تكاد تكون منعزلة، فجاء تطورها منفصلاً عن باقى المناطق الأخرى، إلا أن شمال أفريقيا بما حباها الله من إمكانيات هائلة كانت بمثابة مراكز للإشعاع الحضارى ترسل بتأثيراتها إلى ما يجاورها من عوالم أخرى.

وبناء على ذلك اتجه ذهن الكاتب إلى تقديم نوع من هذه الدراسة المقارنة فى تلك المنطقة، ونظراً لكثرة الموضوعات التاريخية والأثرية والحضارية المادية والمعنوية المتصلة بدول شمال أفريقيا تقتصر الدراسة على بعض الموضوعات الأساسية ذات الطابع الحضارى والأثرى من ناحية، والصبغة السياسية والاقتصادية من ناحية أخرى.

والله أسأل أن يكون فى هذا العمل بعض النفع لنا ولأمتنا العربية.

(وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

دكتور
أحمد عبد الحليم دراز
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم /م
كلية الآداب – جامعة المنوفية

الفصل الأول

الأصول الحضارية المشتركة لأقطار الشمال الأفريقي

أولاً: الجنس البشرى

ثانياً: اللغة

ثالثاً: المعتقدات الدينية

تمهيد :

لقد قصدنا إلى إبراز بعض الإشارات أو الدلالات التى ترشدنا أو تقربنا من تلك الأصول المشتركة التى تربط أساساً بين أقطار الشمال الإفريقى عازفين عن تلك الحوادث ذات الطابع التاريخى، والتى لا تعدو أن تكون حوادث طارئة أو مصطنعة، حركتها ملابسات تاريخية وقتية؛ ولهذا تخيرنا لهذا البحث موضوعات أصلية، كالعنصر البشرى واللغة والعقائد والفن.

لقد سكنت شعوب الشمال الأفريقى رقعة جغرافية هائلة ومتنوعة البيئات، ولقد جاورت بعض بقاعها مراكز حضارية ذات طابع مختلف؛ فكان على هذا الموقع أو ذاك، أن يتلقى بعض المؤثرات الوافدة، وأن يتفاعل معها سواء بالسلب أو بالإيجاب، فنحن نعرف أن الشمال الإفريقى يطل بواجهة عريضة على عالم البحر المتوسط، ومن الجانب الآخر ينفتح على أفريقيا الاستوائية، بكل ما كانت تمثله من هجرات وموجات بشرية متنوعة ومع اتساع رقعة الشمال الأفريقى وتنوع بيئاته، فقد كانت هذه المؤثرات، حينما تفد من مواطنها الأصلية لا تترك من آثارها ما يمكن أن يكون واحداً فى جميع الحالات، فى حين كانت هناك بقاع فى الشمال الأفريقى بحكم موقعها، تكاد تكونُ منعزلة فجاء تطورها منفصلاً عن باقى المناطق الآخرى.

ولكن من الأهمية بمكان أن نقرر، أن أقطار الشمال الإفريقي بما حباها الله بإمكانيات هائلة، كانت بمثابة مراكز للإشعاع الحضارى ترسل بتأثيراتها إلى ما يجاورها من عوالم أخرى

أهم الدراسات الحديثة عن منطقة شمال إفريقيا هى التى قام بها «هيلموت زيجرت» فى فزان؛ حيث أثبتت دراسته المبدئية، وجود بحيرة عملاقة، تمتد من الحافات الجنوبية للحمادة الحمراء إلى الحافة الجنوبية لوادى الحياة*، أى بأبعاد تصل إلى ٦٠٠ كم، وبعمق لا يقل عن ١٥٠ م، واختفت هذه البيحيرة كلياً منذ عشرة آلاف سنة، إلا أنها أبقت آثاراً واضحة من الطمي والغرين، والطبقات الغرينية التى نتجت من نحت الرياح ، وجدت أنها تحتوي على طبقات من رماد، تشير إلى أن إنسان تلك الحقبة كان يقوم بحرق نباتات الدبس والبردى على شواطئ البحيرة فى الفترات الجافة؛ ليتمكن من السكن والصيد، وطبقات الرماد والطين أسفرت عن وجود بعض الأدوات الحجرية، التى تمتد من العصر الحجرى القديم الأسفل إلى العصر الحجرى القديم الأوسط، وهذه الدراسة الجيومورفولوجية والأثرية تشير إلى أن الفترات المطرة قد تزامنت مع جليدى «ميندل وريس»(١).

* وادى الحياة (الأجال) يمثل منخفضاً، يقع بين صحراء أوبارى فى الشمال، والهضبة الصخرية التى تحده من الجنوب والمعروفة بحمادة مرزق، وهذه الأخيرة تتعرج فى اتجاهها مكونة مع الوادى ما يمثل خلجاناً، هذا وتأخذ حمادة مرزق وصحراء أوبارى فى الانحدار التدريجى نحو باطن الوادى- زيارة خاصة للباحث عام ١٩٩٤ .

(١) جليدى ميندل من ٤٥٠٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠٠ سنة

جليدى ريس من ١٢٥٠٠٠ إلى ٢٥٠٠٠٠ سنة

جمعة محمد العناق: «نقوش ما قبل التاريخ فى الصحراء الليبية»، النقائش والرسوم الصخرية فى الوطن العربى، تونس ، ١٩٩٧ ، ص ص ٢٢٨-٢٣٦ .

يتضح من ذلك أن الفترات الممطرة المشار إليها كانت بالغزارة التى مكنت من تكوين هذه البحيرة، وهذا يبرر وجود حيوانات مائية، ومراكب كبيرة مسجلة فى النقوش والرسوم الصخرية، بالإضافة إلى الحيوانات الاستوائية الضخمة؛ حيث إن هذا المناخ الرطب مكن تلك الحيوانات من الانتشار شمالاً إلى شواطئ ما سمى بعد ذلك بالبحر المتوسط، وأيضاً انتشار نباتات البحر المتوسط فى المناطق الاستوائية، كما يشير وجود الرماد فى هذه الطبقات إلى معرفة الإنسان للنار خلال العصر القديم الأسفل[٢].

ولعل أقدم ما عثر عليه من بقايا العظام الإنسانية من مرحلة العصر الحجرى القديم الأسفل كان فى موقع «باليكاو» فى الجزائر، وهى عبارة عن ثلاث عظام لفك أسفل، تتميز بكبرها وثقلها، فضلاً عما عثر عليه فى محجر «سيدى عبد الرحمن» وهو أحد المحاجر المنتشرة فى مدينة «الدار البيضاء»، ومنها كهف «ليتورين» الذى عثر فيه ١٩٥٥م على فك سفى إنسانى، من قطعتين، ينتمى إلى مجموعة إنسان «باليكاو»[٣].

أما العصر الحجرى القديم الأوسط فقد عثر على فك إنسانى فى كهف «هوافطيح»، وقد كشفت عنه بعثة كمبردج فيما بين عامى ١٩٥١، ١٩٥٥م على مقربة من سوسة فى منطقة الجبل الأخضر بليبيا، وأرخ له مابين ٩٠٠٠ – ٧٠٠٠ ق.م ويعد من أكبر كهوف ما قبل التاريخ وأوسعها، وشكله نصف دائرى، بقطر ٨٠ م، ويبعد عن ساحل البحر ببضعة مئات من الأمتار ، وتظهر أهمية هذا الكهف فى أن ترسباته تضم سلسلة متكاملة

(٢) جوتيه: ماضى شمال إفريقيا، تعريب، هشام الحسينى، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٠، ص١٩ .

(٣) رشيد الناضورى: المغرب الكبير، ص ٥٤-٦١ .

Me Burney, The Stom Age of Northern Africa, London, 1960, p. 118.

من الإنتاج الحضارى منذ العصر القديم الأوسط حتى العصر الحجرى القديم الأسفل، إلى العصر الحجرى الحديث، وعلى الرغم من أن عمق الحفريات وصل إلى ١٤ متراً، فإن عمق الترسبات غير معروف مما يشير إلى أنه أعمق من ذلك(٤).

أما العصر الحجرى القديم الأعلى الذى يلى إنسان «نياندرتال» فى التطور وهو ما يطلق عليه الإنسان العاقل أو المفكر ويرمز إليه فى أوربا بإنسان «كرومانيون» وإنسان «جريماندى» فى إيطاليا، فيمثله فى الشمال الإفريقى حضارتان، الوهرانية (الأيبروموريتانية) والحضارة القفصية، أما أصحاب الحضارة الوهرانية فينتمون لسلالة (مشتا العربى) الذى يعتقد بعضهم أنه من أصل غربي؛ لوجود شبه بينه وبين إنسان كرومانيون وإنسان جزر كنارى، والتى كانت بمثابة ملجأ بشرى، تصل إليه العناصر البشرية من المغرب، إلا أن هناك فريقاً آخر، يرى أن ذلك أمر بعيد الاحتمال؛ حيث إن «الجوانشيين» على الرغم من أنهم مشابهون أنثروبولوجيا لرجال «مشتا العربى» فإنهم لايماثلونهم فى الحرف والصناعات والعادات، كما أن الحضارة الوهرانية لم تأت من أوربا؛ لأنها ظهرت قبل بداية الملاحة عبر المضايق (حوالى الألف الرابع ق. م) بل أن هناك ما يشير إلى أن أصولها شرقية، ومن المحتمل أيضاً أنها أتت من شمال سودان وادى النيل(٥).

(٤) Mc Burney, C.B.M., The Hawa Fteath (Cyrenalca) and The Ston Age of the South-East Mediterranean, Cambridge, 1967, p. 349.

- أحمد دراز : حوار الحضارات القديمة فى المنطقة العربية، مجلة كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، عدد ٣٦، أبريل ٢٠٠١، ص ص ٩٥-١١٥ .

(٥) جيهان ديزانج: البربر الأصليون، ص ٤٣٢ .

أما إنسان «قفصه» في جنوب تونس ، وبفضل هياكله العظمية الكثيرة التي تم العثور عليها في مواقع الحضارة القفصية، يتضح أنهم قوم لهم قوام طويل رشيق، من جنس البحر المتوسط، ولكنهم لم يخلوا من بعض الصفات الزنجية، وقد انتشروا في منطقة غير محددة تماماً، ولكنها تقع في الجزء الداخلي دون الامتداد إلى أقصى الحدود الغربية لشمال أفريقيا، ولا في الصحراء الجنوبية وتنسب حضارتهم عادة إلى أقوام جاءوا من الشرق، ولم تستطع الانتشار عن طريق البحر، وأن حضارتهم قد انتهت حوالي ٤٥٠٠ ق.م، وكانت من عاداتهم استخدام وتزيين بيض النعام والتي استمرت في أثناء العصر الحجري الحديث، حتى الوقت الذي ذكرت فيه الشعوب الليبية في السجلات التاريخية مثل الجرميين(٦).

أما العصر الحجري الحديث، فمن المتفق عليه أنه يبدأ بصناعة الفخار، وطبقاً لتاريخ «كربون ١٤»، فإن استخدام الفخار قد انتشر من الصحراء الوسطى والشرقية، وداخل هذه المنطقة يظهر التأثير السوداني، ويمكن أن تؤرخ صناعة الفخار بالألف السابع ق.م في المنطقة الممتدة من اندى إلى الهوجار، وربما كان الصناع سوداً، أو أشباه زنوج، ينتمون إلى سوداني الخرطوم المبكرة(٧).

---

٦) حسن الشريف: دراسة تاريخية لحضارة المغرب القديم أثناء العصر الحجري القديم، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ٤٣١ .

Camps-Fabrer, H., Matiere et art Mobilier dans la Prehistoire Nord Africaine et Sahariene, Paris, 1966, p. 7.

٧) Camps. Op. Cit., p. 269.

وعلى ذلك يمكن القول إن التعمير التاريخي لشمال إفريقيا كان نتيجة اندماج بين عناصر ثلاث، الأيبيريين - الموريتانيين ثم القفصيين، فسلالة العصر الحجرى الحديث[٨].

هذا ما دفع بعضهم إلى الاعتقاد بأن العلاقة الحضارية الحقيقية بين شمال أفريقيا ومصر تبدو كما لو أن ثورة إنتاج الطعام حدثت فى شمال إفريقيا قرونا طويلة، قبل أن تنفذ إلى منخفضات النيل، وبذا يرى «هوفمان» أن بدايات التقدم الحضارى أصبحت معكوسة، وأن سكان شمال أفريقيا هم موجة المستقبل، وأنهم هم الذين جاءوا بثورة العصر الحجري الحديث، وربما هم الذين وضعوا أسس الحضارة المصرية[٩].

أما «بترى» فيرى أن سكان الوادى تكونوا أساساً من مهاجرين من الصحراء وشمال أفريقيا، جاءوا على دفعات متوالية فيما قبل التاريخ بل حتى فى العصور التاريخية، واستمر ذلك حتى نهاية التاريخ الفرعونى؛ حيث كانت الصحراء منذ ما يسمى «الجفاف العظيم» أى منذ حوالى ٢٠٠٠٠ سنة، ترسل موجات المهاجرين، ليس فقط إلى مصر شرقاً، ولكن إلى جبال أطلس، التى انحصر عنها الجليد غرباً، ثم إلى شبه جزيرة أيبريا شمالاً، وهناك ما يشير إلى وجود سلسلة مخلفات الجماجم فى أسبانيا والبرتغال، يقال إن بعضها يماثل فى مقاييسه تلك الجماجم الموجودة فى نقاده بمصر فى عصر ما قبل الأسرات، وهذا دليل أثرى على أن شبه جزيرة أيبريا كانت نقطة دخول لأقوام العصر الحجرى الحديث من شمال

(٨) جيهان ديزانج، المرجع السابق، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٩) Hoffman, M. A., Egypt Before The Pharoans, London, 1980.

أفريقيا، وهى الأقوام التى تحركت لذلك نحو أعالى وادى النيل فى عصور ما قبل الأسرات(١٠).

واقترب «ماكبرنى» من الحقيقة أكثر وأكثر، عندما ذكر أن التغير المناخى والتشكيل الحضارى الذى مر بشمال إفريقيا، تزامن مع ذلك الذى حدث فى شبه الجزيرة العربية، وأن الهجرة إلى وادى النيل، كانت تأتيه من الشرق والغرب، مما جعل الوادى بوتقة انصهار كبرى(١١).

مع بداية العصور التاريخية، تزداد مسألة العنصر البشرى تعقيداً، وبدلاً من أن تصبح كثرة المصادر عوناً، زادت من حيرتنا وارتباكنا، فما أوردته المصادر التاريخية من إشارات إلى عنصر بشرى أبيض البشرة، وكان الاعتقاد السائد أن هذا العنصر لم يظهر فى الشمال الإفريقى إلا حديثاً جداً، وأنه كان غزواً منتظماً، جاء نتيجة لطرد الرومان لبربر السهوب من أراضى المغرب، ولكن بفضل أعمال الحفر الحديثة فى كل مكان من فزان والصحراء الجزائرية، فإنه بات يعتقد الآن، أنه خلال عصر ما قبل التاريخ كان يسكن وسط وشمال الصحراء عناصر بيضاء طوال القامة لهم ملامح البحر المتوسط، تتصف جماجمهم بالضخامة والوجه طويل نوعاً ما وضيق، والأطراف نحيلة، وهى الصفات التركيبية ذاتها للطوارق المحدثين، ويتجة الاعتقاد الآن نحو الشمال الشرقى وليس فى اتجاه المغرب؛ للبحث عن أصل هذه الصفات الجسدية، وبدخولنا فى صلب العصر التاريخى تزداد الأمور صعوبة؛ فترد الإشارات من جانب المصريين القدماء عن

(١٠) The Cambridge Ancient History, Vol, 1, part 1, p. 168. Sergi, The Mediterranean Race , pp. 207-212

(١١) Mc Burney, The Archaeogical Context of the Hamitic Languages in North Africa in "Hamito Semilica" Mouton, 1975, pp. 495-515.

شعوب مثل التحنو والتمحو والمشواش(١٢).

تتضح صعوبة مسألة العنصر البشرى أكثر حتى فى العصور الفرعونية المتأخرة، وذلك من خلال الأسماء الليبية (الشمال أفريقية) القديمة التى حفظتها الآثار المصر ية، وقد تعرض لها Bates «باتس» بالتحليل وقارنها بما يسميه اللغة البربرية (١٣).

ومع التسليم بصحة هذه التحليلات، نجد أنها تتفق وتتطابق مع أسماء أخرى جاءت من الشرق؛ حتى أن «بتري» يرى أن الأسماء الملكية للأسرة الثانية والعشرين (شاشانق وخلفائه) شرقية فى أساسها وليست مغربية، وربما هذا مادفعه إلى القول : «يجب علينا أن نبحث عن مغامر بابلى أو فارسى فى خدمة ملوك تانيس للوصول إلى أصل هذه الأسرة(١٤).

أما «بروجش» فيرى أن الأسرة الثانية والعشرين أشورية الأصل، وأن مؤسسها «شاشانق» الأول ما هو إلا حفيد لملك أشورى غزا مصر، وقد استند «بروجش» فى رأيه هذا على أساس تطابق أسماء ملوك هذه الأسرة

---

(١٢) عن البحث فى أصول هذه الشعوب ومواطنها الأولى انظر:

د. وفدى السيد ابو النصر: الصحراء الغربية فى عصر الدولة الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٤ .

د. أحمد عبد الحليم دراز: مصر وليبيا فيما بين القرن السابع و القرن الرابع ق.م.، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ .

(١٣) حيث قارن أسماء العديد من الزعماء الليبيين، والتى ذكرت فى «لوحة النصر» للملك مرنتباح، ونصوص الملك «رعمسيس الثالث»، باللغة البربرية، انظر

Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914, p. 80.
Holschov, W. Libyer und Agypter, Hamburg, New York, 1937.

(١٤) Petire, W. History of Egypt, Vol., 3, p. 232.

مع الأسماء المعروفة عند الأشوريين (١٥).

أما اللغة:

فكان من الممكن أن تكون عاملاً مساعداً، وكان من المنطقى أن تسود الشمال الإفريقى عدة لغات، أو أن تكون هناك لغة واحدة لها عدة لهجات، ولكن ليس لدينا معرفة مؤكدة بشئ من هذا، وأن أية نتائج يتم استخلاصها من عقد مقارنات بين لغات ميته وأخرى حية أو دراسة لغات حديثة، ومحاولة استنباط أشكال لغوية قديمة منها ، كل هذا يعد درباً محفوفاً بالمخاطر، مع ما يغلف المحاولة من سحر جذاب، ومن المعروف لنا جميعاً أن الكتابات التصويرية المبنية على تمثيل الموضوعات المراد الإشارة إليها، هى الوسيلة الأولى التي استعملها الإنسان القديم، من أجل التواصل والتخاطب، والتى مثلت فى البداية بشكلها وحجمها الطبيعى؛ لتتحول بعد ذلك تدريجياً إلى أشكال تخطيطية وشارات ورموز، وصور اصطلاحية، رسمت ونقشت على جدران الكهوف والصخور؛ من أجل تدوين الأحداث والقصص والرسائل؛ لذلك تعد إبداعات الرسوم والنقوش الصخرية فى شمال أفريقيا تلك الأشكال الآدمية والحيوانية التى تعود إلى العصر الحجري الحديث، والتى تميزت فى البداية بالواقعية؛ حيث كانت الأشكال تصور بالحجم الطبيعى والتفاصيل الدقيقة للجسم وما يوحى بأن الرسام

---

(١٥) Brugsch, H., History of Egypt Under The Pharoans, London, 1879.

عن مناقشة أصل الأسرة الثانية والعشرين انظر:

Cerny, C.A.H., 3, 1980, 616-619.
Gardiner, A.E.O., 1, 120*

عبد العزيز صالح : مصر والعراق، ص ٢٨٢ .

Kitchen, Third Intermediate, pp. 105-108.

كان مهتما بالأشكال الآدمية عامة وليس بشخصيات معينة، ثم حدثت تطورات عديدة، إلى أن أصبحت تصور الأشكال الآدمية بأساليب تخطيطية وتجريدية، أى أنها ابتعدت عن الواقعية، وكان ذلك فى العصر البرنزى والبرنزى الحديدى، وهذا يشير إلى أن التطور كان تدريجياً، نتيجة تطور المعنى والهدف من رسم الأشكال(١٦).

من الواضح هنا أن الفن الصخرى بأشكاله وأنواعه كان له دافع أو إن شئت الدقة نقول دوافع مختلفة منها :

دافع دينى سحرى، كان على أساس تداخلهما فى العصور القديمة، ولكن هل كان هذا الموروث الفني مصدره هذان الدافعان فقط؟ بالتأكيد لا؛ حيث أن الدوافع لإنتاج هذا الفن ترتبط بالبيئة التى يعيشها الإنسان، وهذا يعنى إمكانية تشابه التعبير فى الفن الصخرى فى البيئات المتشابهة واختلافه فى البيئات المختلفة، على الرغم من وحدة الدافع، بمعنى أن هناك من يعبر عن دافع دينى فى كهوف فرنسا بشئ يراه يختلف عن التعبير عن الدافع نفسه فى كهوف شمال إفريقيا.

أما الدافع النفعى، فإنه يتم عن رغبة داخلية تساعده فى السيطرة على الحيوانات والانتفاع بها، وربما جاء تصوير هذه الحيوانات أيضاً لمعرفة خصالها ومواطن الضعف فيها؛ كى يسهل عليه صيدها، وتحديد الأدوات التى يمكن أن يستخدمها لهذا النوع من الحيوانات، كما أن إحساس الإنسان بالسيطرة على الحيوان – حتى لو داخل رسم أو نقش يقوم به –

---

(١٦) عفراء على الخطيب : دور الرسوم والنقوش الصخرية فى تشكيل الكتابات البدائية فى شمال أفريقيا والصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية، دراسات فى آثار الوطن العربى، المؤتمر الخامس، القاهرة ٢٠٠٢، ص١٩٠ .

يجعله يشعر بالقوة والإقدام على صيده دون إحساس بالخوف، ويدخل فى ذلك الدافع السحرى.

أما دافع الإحساس بالجمال أى الفن من أجل الفن، فربما لا يتوفر لكل أفراد القبيلة أو المنطقة، فربما كان هناك متخصصون للقيام بهذا العمل الفنى، ولديهم الموهبة، فيدونون ما يطلب منهم، أو يرونه بأعينهم؛ فيبدعون فى أعمالهم، معبرين عن أفكار غيرهم ، مبرزين مهارتهم الخاصة في تلك الأعمال الفنية، أى أن الإحساس بالجمال ربماكان دافعاً لدى فئة متخصصة بهذا العمل، ويتضح ذلك من التفانى والدقة والاهتمام بالنقش أو الرسم والإبداع فى إخراج صور وأشكال جميلة بألوانها الزاهية أو الداكنة التى تدل على شعور راقٍ وإحساس مرهف.

أما كون الفن دافعاً للتسلية، فربما توفر أيضاً عند المجموعة المتخصصة التى تقوم بهذا العمل، ويتمثل ذلك فى إتقان الصنعة وإظهار كل التفاصيل الدقيقة ... الخ(١٧).

من أكثر أشكال هذا الفن انتشاراً الأشكال الآدمية والحيوانية التخطيطية؛ حيث وجدت منتشرة على طول الصحراء الكبرى من أقصى شرقها إلى أقصى غربها، وقد صورت هذه الأشكال بأوضاع مختلفة، وبأطراف من مختلف الأشكال خصوصاً الذراعين والساقين، كأن ترسم بذراعين مرفوعين إلى أعلى، أو تمثل بساقين ملتويين، أو جسم ممدد على الأرض، رافعاً الذراعين، وغيرها من الأشكال التى يمكن بتحليلها، تحديد حركة الرسم، والمعانى التى أراد الفنان أن يعبر عنها، مع تطور هذا الفن

(١٧) عبد العزيز بن لحرش: الرسوم الصخرية لشرق شمال قسنطنه، دراسات فى آثار الوطن العربى، المؤتمر الخامس، القاهرة. ٢٠٠٢ ص ص ١٥٥-١٥٨ .

يتضح من خلال الأشكال أن هناك خروجاً عن النظام التقليدى لرسم النماذج البشرية؛ حيث تبدو فى حالة حركة ونشاط اجتماعى، مثل الرقص والصيد، وقد تم الارتقاء بالتخطيط واختزال الكثير منه؛ بحيث أصبح من الصعب إجراء أية عملية اختزال أو تبسيط، فصورت هذه الأشكال منتظمة ومرتبة، مع تكرار بعض الخصائص والسمات ضمن المجموعة الواحدة، وفى ضوء ذلك أمكن التوصل إلى أنماط أربعة.

الأول: صور الرسم بذراعين ممدودتين إلى الخارج ويدين متجهتين إلى أسفل، وساقين مثنيتين إلى أسفل، والجذع خطى الشكل، والرأس عبارة عن نقطة صغيرة دائرية الشكل.

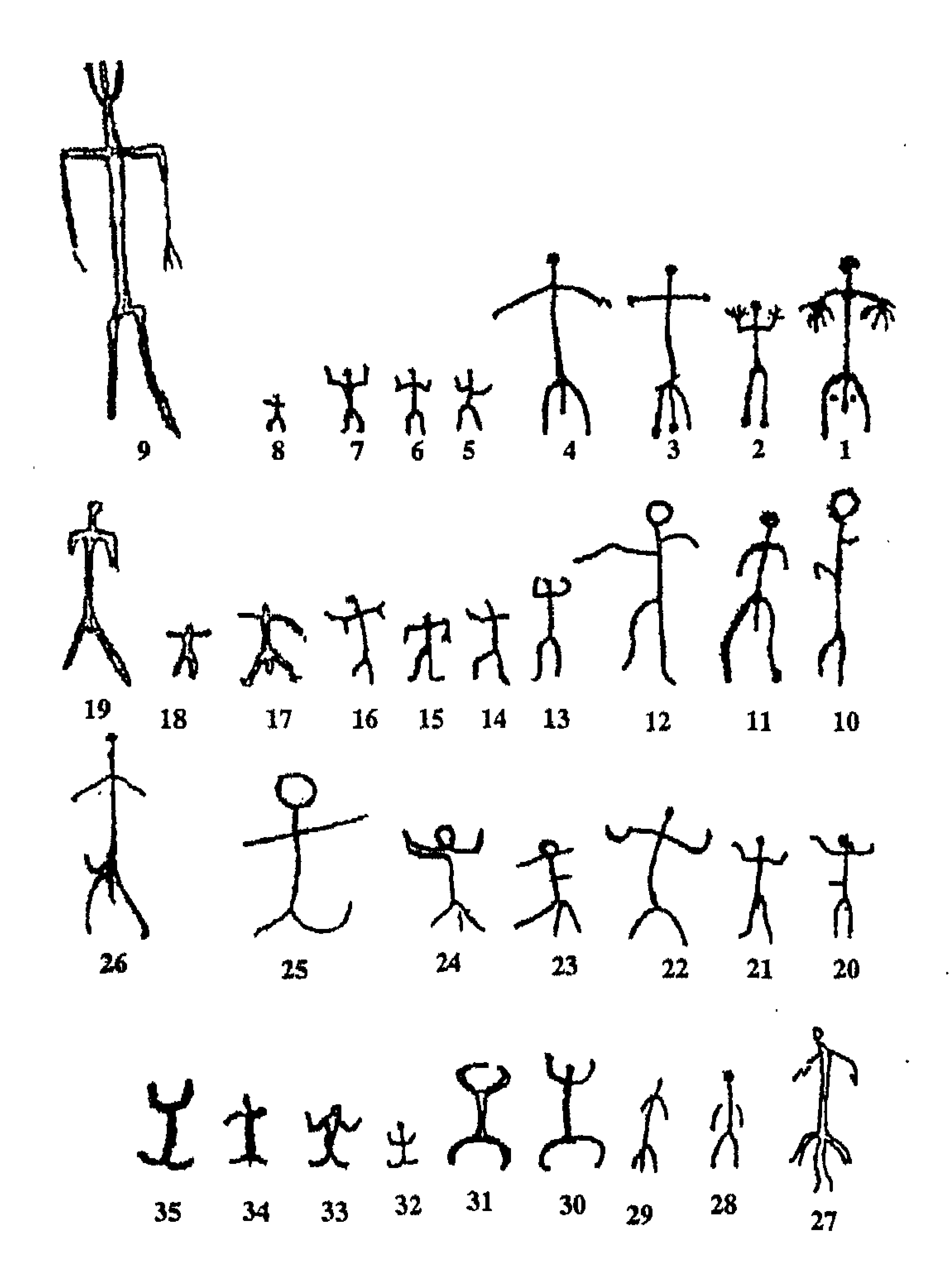
الثانى: أشكال آدمية، تتميز بذراعين ممدودتين إلى الخارج ويدين مرفوعتين إلى أعلى، والرأس ممثل بنقطة مع ساقين مثنيتين إلى أسفل.

الثالث: يتميز بأذرع مرفوعة تماماً إلى أعلى، وأرجل على شكل مثلث، والرأس ممثل بنقطة صغيرة.

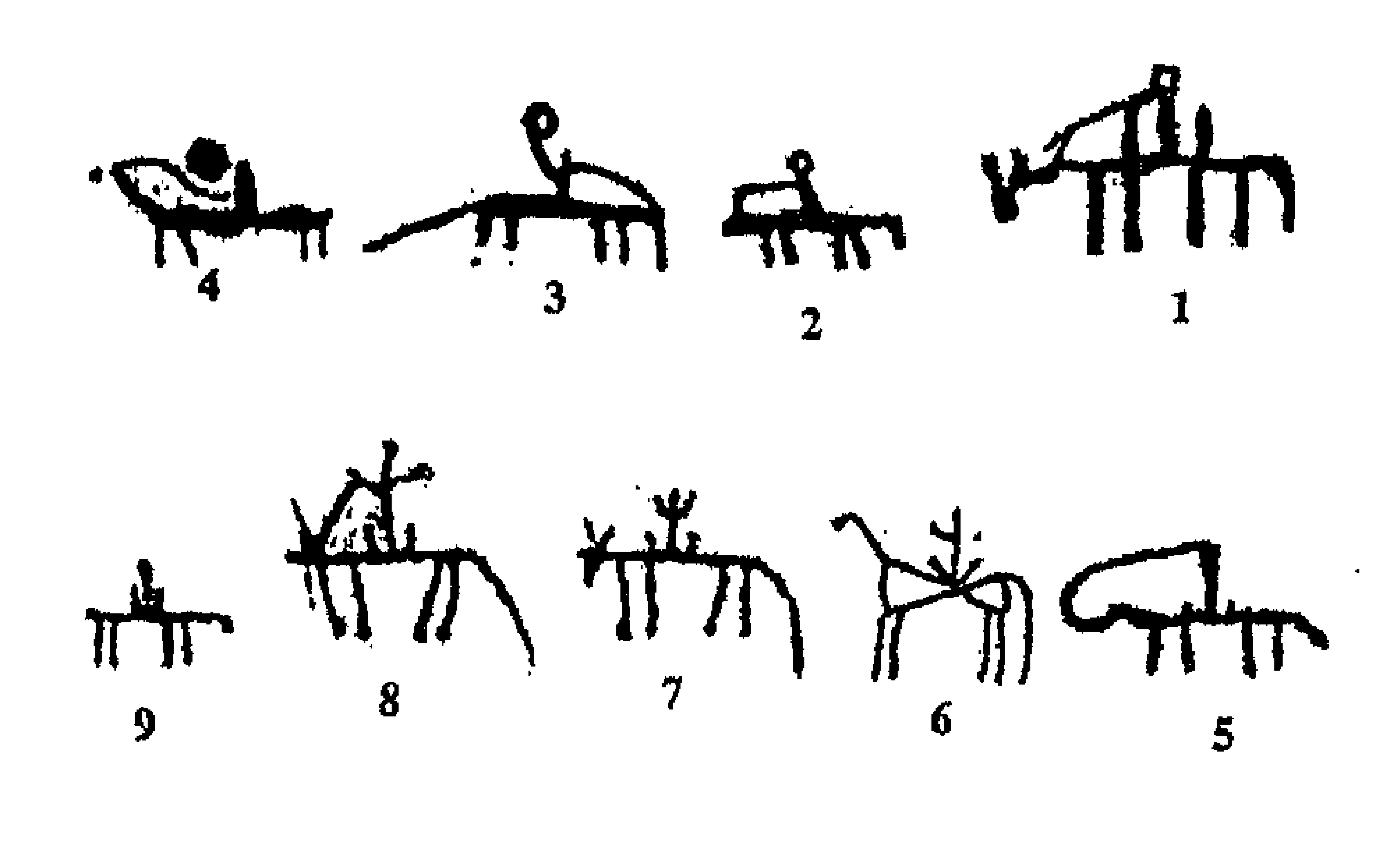
الرابع: أشكال بأذرع ممدودة تماماً إلى الخارج، بشكل أفقى، وساقين مقوستين بشكل نصف دائري، والرأس ممثل بنقطة صغيرة[18].

(أنظر الأشكال من ١-٦)

(١٨) عفراء الخطيب: المرجع السابق، ١٩٢ .
انظر الأشكال.



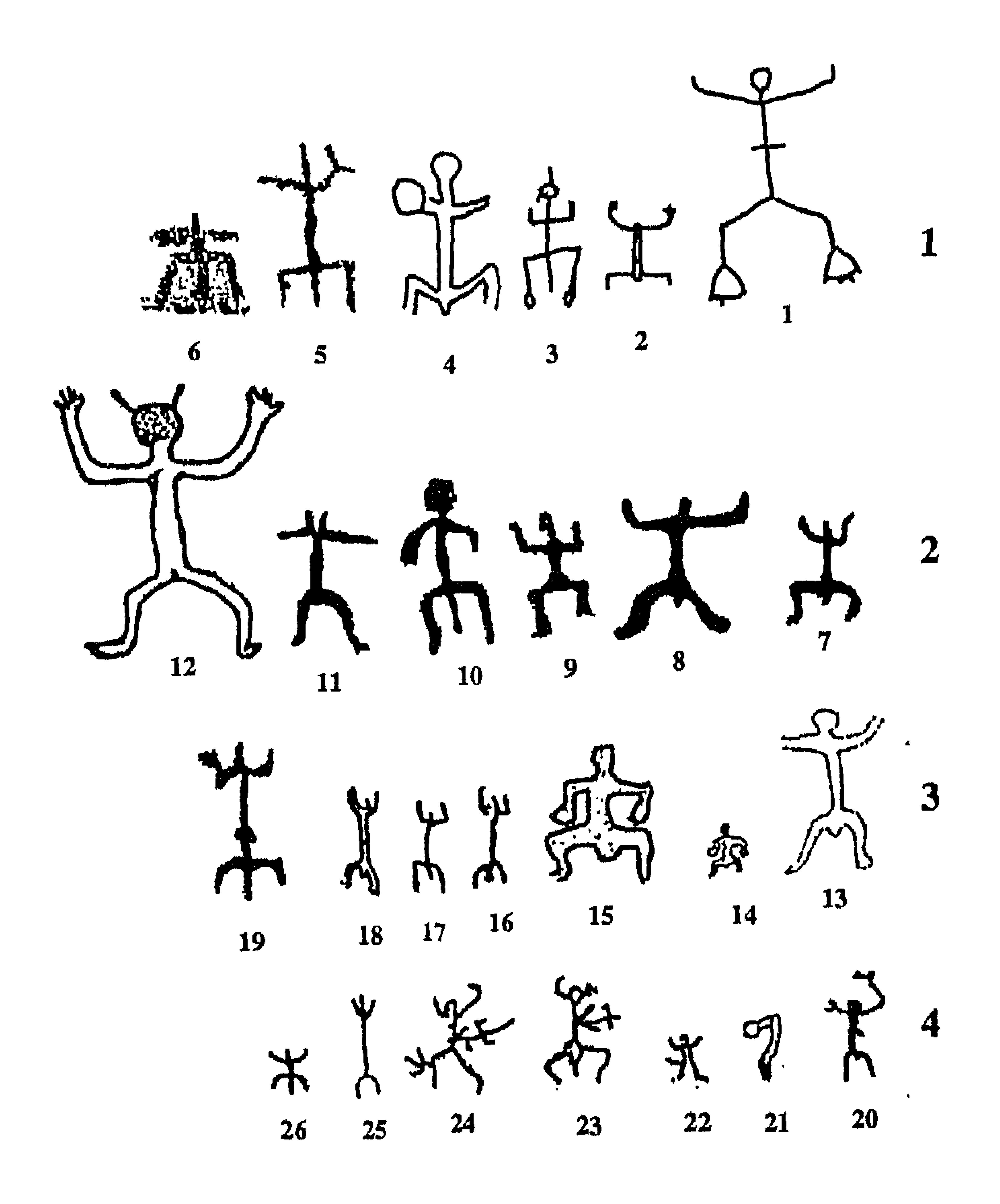
لوحة رقم (١) أشكال آدمية تخطيطية من الصحراء الكبرى



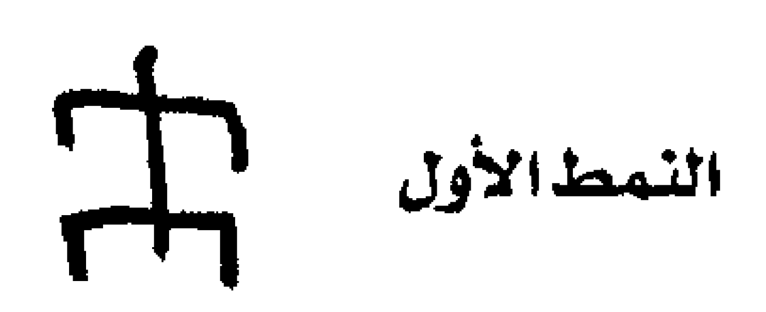
16 15 14 13 12 11 10

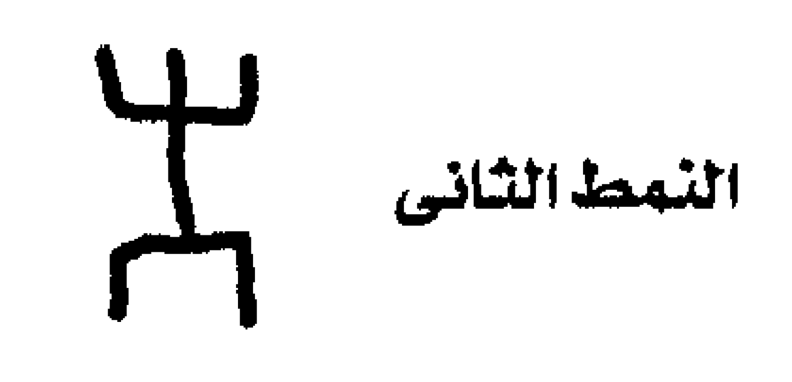
24 23 22 21 20 19 18 17

لوحة رقم (٢) أشكال آدمية وحيوانية تخيطيطية من الصحراء الكبرى



لوحة رقم (٣) أشكال آدمية تخطيطية من الصحراء الكبرى









لوحة رقم (٤) الأنماط الرئيسية للأشكال الآدمية التخطيطية

لوحة رقم (٥) تحول الأشكال الآدمية التخطيطية فى شبه الجزيرة العربية
والصحراء الكبرى إلى رسوم ورموز

• اللوحات ١ـ ٥ عن عفراء الخطيب: دور الرسوم والنقوش الصخرية،
ص ص ٢٠٥ - ٢١٠

من دراسة هذه الأشكال الآدمية التخطيطية التى كانت تحوى عدداً من الحيوانات التخطيطية أيضاً، وكذلك مجموعة من الإشارات، يمكن القول أن هذه الأشكال بها معنى رمزى وفكرة معينة، وأنها رتبت وفق منهج محدد ومدروس، أى أن هذا التكرار فى التركيب والترتيب للأشكال كان له دور رمزى تخاطبى خاص، قد يدل على تصوير رسالة معينة، كما كان هناك علامات اصطلاحية استعملت لتحديد الهوية والانتماءات القبلية وتحديد الملكية، فمنذ العصر الحجرى الحديث، كانت المجموعات البشرية، تعبر عن حدود أراضيها، من خلال رسم حيوان معين أو قرون الحيوان بأسلوب محدد، بمعنى أن كل مجموعة أو قبيلة كانت لها علامة محددة، يتم من خلالها التعرف على أملاكها، أى أنه فى حالة ترحال جماعة أو قبيلة، عندما تجد علامة تمثل رسماً آدمياً أو حيوانياً أو شكل هندسى؛ فهذا دليل على بداية أملاك قبيلة أخرى، وبالتالى لا يمكن تجاوز هذه العلامة، ويرجح أن هذه العلامات الدالة على الملكية ربما كان لها دلالات مرتبطة بالفكر الدينى والحياة الاجتماعية لإنسان العصور الحجرية.

من هنا يمكن القول إن أهمية ظاهرة الرسوم تكمن فى أنها كانت بمثابة علم لدلالات الألفاظ، ونظاماً للاتصال الرمزى لدى المجتمعات البدائية، نشأ وتطور منذ ظهور الفن الصخرى، أى أن الفن الصخرى كان هو المصدر الأول للتعبير فى العصور الحجرية، بما تضمنه لمفاتيح اللغة، من حيث الشكل والنمط والتركيب، حيث قام الإنسان بتدوين الأحداث والقصص والرسائل، من خلال الرسوم الصخرية، وهناك اعتقاد يرى أصحابه أن تطور الكتابات التصويرية، تختلف زمنياً من منطقة إلى أخرى، على الرغم من التشابه بل التطابق الواضح بين بعض الأحرف، من الكتابات البدائية فى الصحراء الكبرى والحبشة وغات والهكاز وتسيلى وكتابة التفيناغ؛

مما أثار لدى أصحاب هذا الاتجاه العديد من التساؤلات منها، هل هذا التشابه صدفة؟ أم هو وليد تبادل بشرى وثقافى بين هذه المناطق؟(١٩).

والحقيقة أن ظاهرة النقوش الصخرية - على الرغم مما أستثارته من جهود العلماء على مدى العقود الأخيرة ومحاولتهم تفسيرها - فإنها لا تزال تضن علينا بمضامينها ودلالاتها، وكل ما نجحت فيه جهود العلماء، هى محاولات للتفسير، على ضوء ماتبقى من عادات المجتمعات الصحراوية الحالية وتقاليدها، وإنى أعتقد أن الأمر بحاجة إلى أن يطل علينا الزمان بأكثر من عبقرى، ممن تضاهى عبقريتهم «شامبليون»، الذى استطاع أن يدفع بجهود العلماء إلى حل رموز الكتابة المصرية القديمة، التى كانت فى وقت من الأوقات يقف منها العلماء موقفنا الحالى من موضوعات النقوش الصخرية، فالكتابة المصرية فسرت على كونها أشكالاً سحرية وتعاويذ لا يعلمها إلا أصحابها، وشئ من هذا يقال عن موضوعات النقوش الصخرية، ويعتقد الباحث أن هذا الكم الهائل من النقوش والرسوم الصخرية فى الصحراء ، وهذا الجهد الخارق فى تنفيذها، يخرج بها عن التفسيرات التى قيلت بشأنها، ويعتقد الباحث أن هذا التراث الهائل من النقوش والرسوم الصخرية كانت بمثابة الإرهاصات الأولى نحو ميلاد لغة صحراوية أم، وأن هذه العملية توقفت فى إحدى مراحلها، ربما لأنه لم يتوفر لها من العوامل والظروف المساعدة لتصبح من بعد لغة مكتوبة ومقروءة، ولشرح الفكرة نذكر أن اللغات القديمة المكتوبة التى ظهرت فى أرض العراق القديم

---

(١٩) حفراء الخطيب: المرجع السابق، ص ص ١٩٣-١٩٦ .

موري: تادرارت أكاكوس، الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ، طرابلس، ١٩٨٨، ص ٢٥٥

Camps, G. Ecriture Libyque, in Encyclopedie Berbere, T. 17, 1996, pp. 2564-2587.

كالسومرية أو في وادي النيل كالكتابة الهيروغليفية، فكل من اللغتين كانت في مراحلها الأولى صوراً لحيوانات أو طيور أو أشياء مأخوذة من بيئتها المحلية، وأن هذه الصورة هي التي كونت بعد ذلك المقاطع والحروف، ثم الكلمات والأفعال التي أصبحت مفردات متفق عليها، ومألوفة لدى الجميع، ومما ساعد على استمرار مراحل التطور أن كلا من اللغتين وجدتا في بيئتهما، من العوامل المساعدة التي يسرت لها هذا التطور، وأدت إليه، ففي العراق القديم وجدت بوفرة مادة الطين المتوفرة في بيئة غرينية؛ فكانت ألواح الطين (الرقيم) الذي كان من السهل الضغط عليه بأية أداة صلبة، واخترع الخط المسماري وتطورت أشكاله، أما في مصر، استطاع المصريون أن يستخلصوا من نبات البردي صناعة الورق، وكان يلزم الكتابة عليه مداداً؛ فكونوه من السناج، أما القلم فكان عوداً من بوص، مما ينمو بكثرة على شواطئ النهر أو بحيراتهم. وعلى ذلك لو توفرت لمجتمعات أصحاب النقوش والرسوم الصخرية، من عناصر البيئة ما يسر لها أن تكون أدوات ووسائل التعبير بديلاً عن الصخور، ولو لم تتغير الظروف البيئية التي أجبرتها على تغيير بيئاتها الأصلية والهجرة، أقول إنه يفترض أننا كنا قد امتلكنا الآن لغة أم عظيمة، تحكي لنا ضمن موضوعاتها فصلاً عظيماً من حياة إنسان الشمال الإفريقي.

وسوف يعرض الباحث هنا بعد اللوحات السابقة، لوحة مهمة يمكن أن نستخلص منها شيئاً يقربنا مما نصبو إليه، هذه اللوحة تعرف بلوحة القربان[٢٠] مساحتها ٥٨ × ١٠٥ سم، تحتوي على ستة أشخاص (ثلاثة ذكور وثلاث إناث) وقارب، وثلاثة أكواب، وثلاثة رموز، أحدها على شكل

(٢٠) محمد مصطفى بازاحه: تاريخ ليبيا، جـ١، بنغازي، ليبيا، ١٩٧٣.
هنري لوت: لوحات تسيلي، ترجمة أنس زكي حسن، ط ١، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٧.

العكازة المعقوفة الرأس، والآخران كأنهما أغصان شجر أو مقدمة جريدة نخل بسعفها، وأخيراً بعض الأشكال المركبة من خط أفقي طويل، فوقه ما يشبه الكوبين والمسلة والطبق أو قرنين، وتحته خطان أفقيان، يمتدان ما بين المسلة وآخر الخط وأسفلهما خط عمودى وشكله يشبه الهلال المفتوح إلى أسفل.

أول الأشخاص (على يسار الرائى)، يقف فى تعاظم، ويبدو أنه يمسك بقضيب أو رمح، لم يبق سوى الجانب الأعلى منه فى الرسم، أما يده اليسرى فهى فى وضع، يوحى بأنه يحمل بها شيئاً غير موجود بالرسم، أو أنه يعتمد عليها فى التوكؤ على شئ ، وأما هذا الشخص من الجانب الأيسر له شكل قارب بسيط، يلاحظ أن مقدمته ومؤخرته قد انتهتا بانحناءات، وزوائد، بدت وكأنها القاعدة التى تحمل أعلام المقاطعات ورموزها، بعد القارب صورة لإحدى الإناث غير تامة (تلف نصفها الأسفل وذهبت ألوانه) وأمامها اثنتان، ثم رجل ، والأشخاص الأربعة فى حركة من يدخل مكاناً أو يدخل على إنسان، وهذا الإنسان هو آخر الأشخاص يبدو كالجاثم على ركبتيه أو كمن يهم بالقيام.

أما من حيث الملبس فالأول يرتدى نقبة أمامية بسيطة، أما النساء الثلاث فيبدو من الرسم أنهن يرتدين ثياباً، تشبه التنورة، وتستر ما فوق الخصر والكعبين بقليل، وأما الشخص الذى يتقدمهن فيرتدى جراب العورة الذى اشتهر به قدماء الليبيين على الآثار المصرية، وجميع الأشخاص لهم جسد بشرى ورأس طائر(٢١).

---

(٢١) لوت: المرجع السابق، ٢١٢ .

عبد العزيز الصويعى: أصول الحرف الليبى (تطور من الكتابة عند قدماء الليبيين سكان شمال أفريقيا، بنغازى ليبيا، ١٩٩٨ .



لوحة القربـــان



مقارنة أولية بين بعض الرموز الليبية بالرموز المصرية

لوحة رقم (٦) عن عبد العزيز الصويعى؛ المرجع السابق، ص ص ٢٤٢-٢٥٢

ولكن لماذا أتى الباحث بهذه اللوحة؟ والإجابة عن ذلك تقول : حاول الباحث استخلاص بعض الرموز الموجودة فى تلك اللوحة وضعها أمام بعض الرموز التى أصبحت حروفاً فى الكتابة المصرية وسيترك المجال لباحثى اللغة المصرية القديمة علهم يتوصلون إلى شئ يفيد فى فك رموز النقوش والرسوم الصخرية، مع الأخذ فى الاعتبار الفارق الزمنى بين رموز لوحة القربان، ورموز الكتابة المصرية القديمة، والتى لابد أن يكون قد طرأ عليها تطور كبير، وأيضاً مقارنة أشكال أشخاص هذه اللوحة مع شكل الإله المصرى تحوت إله الكتابة والحكمة فى مصر القديمة.

المعتقدات الدينية

إذا مانظرنا فى مضمون معتقدات الشعوب قديماً، وجردناها مما يغلفها من طقوس ومظاهر وعبادات؛ فإننا نلحظ أن الظواهر الكونية كالشمس والقمر والهواء والماء والأرض وقوة الإخصاب وعيون ومجارى المياه العذبة كانت تقدس ويقام لها الطقوس المباشرة أو عن طريق رموز تتخير لها وتحل فيها، وذلك لأنها قوى تحيط بالإنسان، وهى التى تكفل وجوده وتضمن له الحياة، وإلى جانب ذلك تم تقديس بعض الظواهر الأخرى والحيوانات البرية والبحرية كالتماسيح والأسود وأفراس النهر، وكانت تقدس أيضاً كقوى ويخشى بأسها، وقد خرجت مشاعر التقديس لدى الشعوب القديمة من منبع واحد، يتجسد فى معنى واحد، وهو رغبة الإنسان في التقرب من القوى المحيطة به، والمهيمنة على حياته ، مدفوعاً بالخشية والرغبة، وعرفت بعد ذلك بعض المجتمعات عبادات قائمة على كائنات أو أشياء محلية، ترتبط بالمكان وتعد حامية له ، كما عرفت بعد ذلك عادة تقديس بعض أفرادها أو زعمائها؛ لارتباط أشخاصهم بأحداث

معينة، أو الاعتقاد فى تمتعهم بميزات خارقة للطبيعة أو بزعم انتمائهم لأصول إلهية.

وهذا بالفعل ما نلاحظه لظاهرة الدين لدى مجتمعات الشمال الإفريقى، فقد عرفت مجتمعاته كل هذه العبادات، وتأتى الفروق بعد ذلك فى ترتيب المعبود حسب مكانة كل ظاهرة فى بيئتها أو تفضيل ظاهرة على أخرى فى الأولوية والمكانة، وبالنظر إلى الظروف المكانية والبيئية وعوامل أخرى، كفرص احتكاك مجتمع ما بالمجتمعات الأخرى، وغلفت العبادات بطقوس خاصة أحاطت بها، وشعائر معينة ارتبطت بها(٢٢).

وعند تناول ظاهرة كالدين فى شمال أفريقيا، لا نستطيع أن نعزلها عن الواقع البيئى، كما يجب أن نأخذ فى الاعتبار كذلك الحادث البيئى الكبير، المتمثل فى حلول عصر الجفاف، واضطرار الجماعات البشرية، التى كانت تعيش فى الصحراء، إلى الهجرة نحو مصادر المياه الدائمة، وهى بالطبع قد حملت معها معتقداتها، وبتوالى الحقب وطول بعدها عن أصولها؛ حدث أن انحرفت هذه العبادات، أو دخل عليها إضافات مستحدثة، ولكن عند الدراسة والتحليل يمكن أن نتبين الأصول الأولى، وفى ضوء هذا السياق، من المقبول به أن نجد أشكالاً ورموزاً معينة لعبادات متشابهة فى أكثر من مكان من الشمال الإفريقى، بمعنى أن الهموم المعيشية المتقاربة؛ تؤدى إلى أفكار دينية متقاربة، أما الاختلاف فى بعض المفاهيم الدينية الخاصة فهى

---

(٢٢) رشيد الناضورى: العطاء الفكرى لإنسان الشرق الأدنى القديم، بيروت، ١٩٦٩، ص ص ٢٩-٣٣.

عفراء الخطيب: «رموز آلهة القمر والشمس أحد مظاهر علاقات شمال أفريقيا بالصحراء الكبرى وجنوب شبه جزيرة العرب» دراسات فى آثار الوطن العربى، المؤتمر الثالث، القاهرة، ٢٠٠٢ ص ص ٣٥٤-٣٥٥.

نتيجة الاختلاف فى المقومات البشرية والحيوية، وعلى ذلك نجد فى الرسوم والنقوش الصخرية فى شمال إفريقيا، تكراراً غريباً للأكباش والثيران والوعول، التى تحمل على رأسهاشكلاً كروياً، وقد انتشر هذا النوع من الحيوانات بشكل واسع فى منطقة المغرب القديم، وموريتانيا، والهكار، وتاسيلى، وفزان، وتبيستى والعوينات، كما أننا نجد حيوانات مثل البقر والكبش وبعض الطيور مثل الصقر، مقدسة لدى أكثر من مجتمع، وهذا يدفع بعضهم إلى الاعتقاد بأنه نتيجة لاتساع النفوذ السياسى لمجتمع على غيره من المجتمعات، وأنه لذلك فرض معتقداته حيثما وصل نفوذه، وإن كان الباحث يتحفظ على مثل هذا الاعتقاد؛ حيث نجد لدى مجتمعات شمال أفريقيا (كما سبق ذكره) صورة لإله فى هيئة كبش، يحمل الشكل الكروى (القرص المقدس)، وفى الوقت نفسه، نجد أن الكبش كان رمزاً لأكثر من إله فى مصر، فهو رمز للإله آمون والإله ختوم، كما كان رمزاً للإله «حرشف»، هذا الأمر دفع بعضهم إلى الاعتقاد بأن أصل الكبش فى الآلهة هو الإله المصرى آمون.

ولكن بعد أن أثبتت الدراسات الحديثة انتماء نقوش شمال أفريقيا ورسومها إلى أوائل العصر الحجرى الحديث أى أنها أقدم من انتشار عبادة آمون فى مصر بحوالى ثلاثة آلاف سنة وهو مايمكن أن يقال على ماوجد من نقوش ورسوم صخرية فى ليبيا تصور الثيران والكباش أيضاً ويرجع تاريخها إلى ما بين الألف السادس والخامس ق. م. أى أبعد بكثير من عهد الأسرات المصرية[٢٣] .

(٢٣) عفراء الخطيب: علاقات شمال إفريقيا بالصحراء الكبرى وجنوب جزيرة العرب خلال العصور القديمة: الحيوانات المتوجة نموذجاً، ادماتو، العدد السابع، ٢٠٠٣ ، ص ٣٣ .
عفراء الخطيب : المرجع السابق. ص ٢٥٧ .
بازامه: المرجع السابق.

لم يقتصر هذا الأمر على الإله آمون فقط بل أن بعض الباحثين يرى أن كثيراً من المعبودات المصرية تعود بجذورها الأولى للشمال الأفريقى منها «حورس» و«إيزيس» و«أوزير» و«نت»(٢٤).

علينا أن نلتمس العون فى شكل آخر ضمن المعتقدات الدينية ويرتبط بها وهو نظام المقبرة وطقوس الدفن، وحينما يتم الاهتمام بالمقبرة وتبذل العناية للحفاظ عليها وتجهيزها بالمنقولات والآثاث الجنائزى، فهى كلها أمور ارتبطت فى الحضارات القديمة بوجود فكرة الإيمان فى الحياة بعد الموت وإنها الحياة الأبدية الخالدة، فإذا وجدنا أن الاهتمام بالمقبرة كان شاغلاً مشتركاً لأغلب مجتمعات الشمال الأفريقي، ونرى ذلك بوضوح فى المقابر الحجرية العديدة فى وادى الحياة (الأجال)، ومن الرسوم الصخرية هناك نموذج فى غاية الأهمية وهو عبارة عن لوحة نشرها «هنرى لوت» فى منطقة غات، وهى عبارة عن دائرة غير منتظمة الشكل يجلس بجوارها شخصان،

---

(٢٤) Camps. Op.Cit., p. 1419.
Wainwright, G. A., The Sky Religion in Egypt, Cambridge, 1923, pp. 9-14; 85.
Bates, Op. Cit., pp 85-89; 189; 203-207.
Griffith, J.G., The Origins of Osiris and His Cult, Brill, London, 1980, pp88-89.
Petrie, W. M. F., Nagud and Ballas London, 1896, p. 59.
--------------------, Religions life in Ameient Egypt, Boston, 1914.
El Mosallamy, A., "Liby Co. Barber Relations with Ancient Egypt, the Tehenu in Egyptian Reords" Libya Antique, 2, 1984, p. 53.
Mercer, S.A.B., The Relation of Ancient Egypt, London, 1949, pp. 49-51.
نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٤، الحضارة المصرية، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص ص ١١٧، ١١٩، ١٢٧، ١٧٨، , ١٨٠
بازامه: قورينى وبرقه، نشأة المدينتين فى التاريخ، بنغازى، ١٩٧٣، ص ص ٢١٧–٢١٨، ٢٢٣ .
محمد سليمان أيوب: ليبيا فى التاريخ، بنغازى، ١٩٦٨ .
ـــــــــــــــ: جرمه، من تاريخ الحضارة الليبية، ص ص ١٨٦–١٨٨ .
Lancel, S., L,Enigme Des Steles De la Carthage Africine, Paris, 1995
Lesko, B. S., The Great goddesses of Egypt, Norman, 1999, pp. 53,54,58.
Wilkinson, R. H., The Comptetes Gods and Goddesses of Ancient Egypt, London, 2002, p. 151.

أما فى داخلها فيرقد شخص على ظهره كما يبدو، ويمتلئ باقى الفراغ حول الشخص الراقد بعدد من الأوانى والأطباق التى رصت بعناية ملحوظة، وقد وصف «لوت» المنظر بأنه مسكن قمئ تجلس امرأة وطفل على جلد حيوان أمام الخطوط العامة للمسكن وقد استلقى رجل على ظهره وحوله أشياء متنوعة(٢٥).

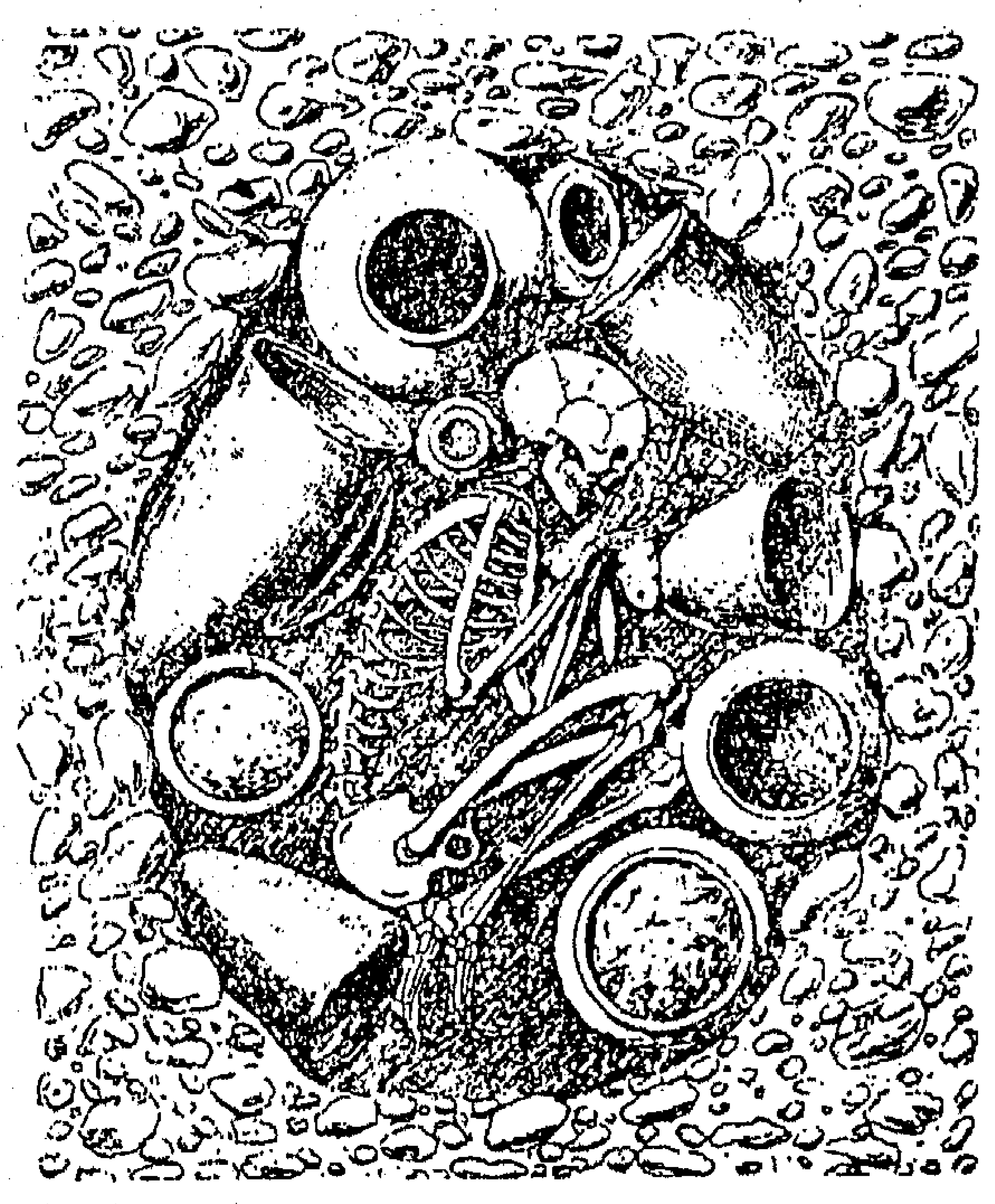


لوحة رقم (٧) سكن قمئ تجلس امرأة وطفل على جلد حيوان أمام الخطوط العامة للسكن وقد استلقى فى داخله رجل على ظهره حوله أشياء متنوعة
عن: هنرى لوت: الرسوم الصخرية فى الصحراء الكبرى، ص ٨٦ ، ٨٧
وهى ما يعتقد الباحث أنها مقبرة وليست مسكن

---

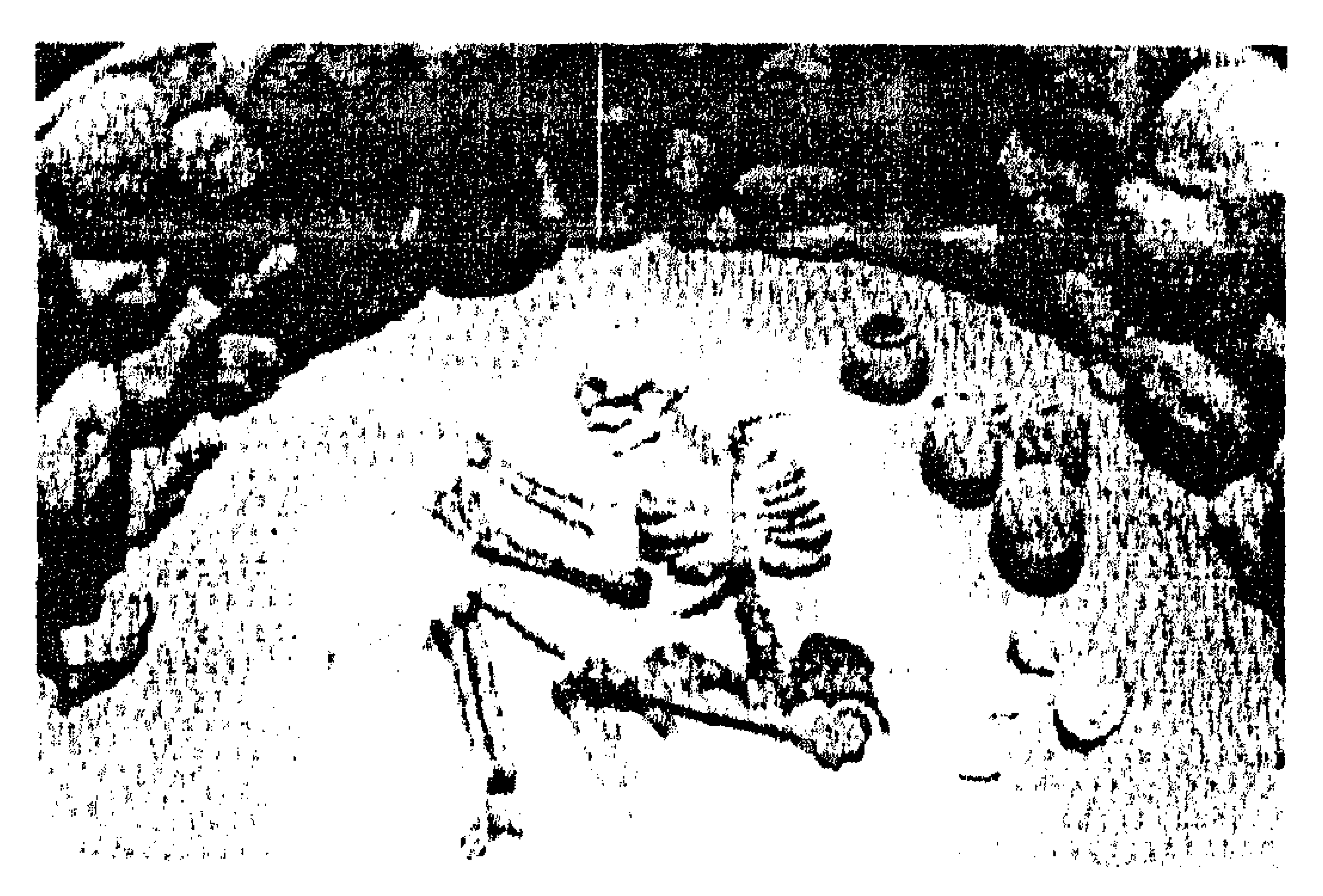
(٢٥) هنرى لوت: *المرجع السابق*.
ـــــــــــ : الرسوم الصخرية فى الصحراء الكبرى، المرجع السابق، ص ص٨٦-٨٧ - لوحه ١٦ .

وإن كان المؤلف يرى أن هذا الشكل بهذا الوصف يمثل مقبرة فردية تم دفن المتوفى وتزويده بالزاد الذى يعينه علي رحلة العالم الآخر، وأما الشخصان خارج المقبرة، يعتقد الباحث أنهما من أفراد أسرته ربما يؤديان بعض الشعائر على روحه، ودفع الباحث لهذا الاعتقاد وجود مقبرة من العمرة (حضارة نقادة الأولى) نرى فيها الهيكل البشرى وحوله مجموعة من الهدايا التي دفنت معه وهى تشبه تماماً لوحة لوت السابقة (انظر الشكل ١) ويرى أ.د. رزقانة أن حضارة العمرة نتيجة تطور محلى من الحضارات السابقة بالإضافة إلى عناصر حضارية جديدة وفدت مع مهاجرين جدد من الغرب (شمال أفريقيا) [٢٦].



لوحة رقم (٨) مقبرة من العمرة فيها الهيكل البشرى وحوله مجموعة من الهدايا التى دفنت معه إبراهيم زرقانه: الجغرافيا التاريخية، ص ٤٥٤

(٢٦) إبرايم زرقانة: الجغرافيا التاريخية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٤٣٩-٤٥٨ .



لوحة رقم (٩) هيكل بشرى وحوله بعض الأوانى الفخارية
صورة فوتوغرافية من متحف النوبة (الباحث)

من العرض السابق يتضح أن هناك من يعتقد أن الحضارة المصرية تنتمى بجذورها لأصول شمال إفريقية أو جنوبية (النوبة)، وإن كان هناك وجه آخر يعتقد أصحابه العكس تماماً أى أن حضارة شمال أفريقيا أو بلاد النوبة هى التى أخذت وتأثرت بالحضارة المصرية(٢٧).

---

(٢٧) Massaulard, E., Prehistoire d'Egypt, Paris, 1949, pp. 172-173.

هذا الاختلاف فى وجهات النظر يجعل الباحث يفكر فى الآتى:

أصحاب الاتجاه الأول يعترفون بالتشابه بل والتطابق بين حضارة شمال إفريقيا وحضارة شبه الجزيرة العربية، والأكثر من ذلك يذكرون أن معابر هذا الاتصال إما من الجنوب (باب المندب) أو من الشمال (شبه جزيرة سيناء) .

والسؤال : هل سقطت مصر من أذهان هؤلاء خلال مراحل هذا الاتصال؟ ألم تكن مصر جزءاً من شمال إفريقيا؟

وعلى ذلك يخلص الباحث إلى أن سواء كانت شبه الجزيرة العربية هى الأصل أو شمال إفريقيا فإن مصر كانت حلقة الوصل بينهما فليس من المعقول أن تنتقل الحضارة إلى الشمال الإفريقى أو منه دون المرور بمصر، ولكن تغير الظروف البيئية فى شبه الجزيرة العربية والشمال الإفريقى ووصولهما إلى مرحلة التصحر كان سبباً فى عدم تطور الحضارة فى كليهما إلى ما وصلت إليه الحضارة المصرية التى توفر لها من العوامل ما ساعد على الاستمرار والتطور حتى وصلت إلى ما وصلت إليه.

هذه واحدة، أما الثانية فإن هذا التشابه بل نقول التطابق الحضارى بين أقطار الشمال الإفريقى بما فيه مصر وبين شبه الجزيرة يجعلنا نعتقد بوجود منطقة مركزية واحدة منها انتشرت الحضارة، والتى ألمح إليها الباحث فى بحث آخر بأنها شبه الجزيرة العربية(٢٨).

وعلى ذلك يمكن القول بوحدة الأصول الحضارية لأقطار الشمال الإفريقى والذى كان شأنه شأن بقية أرجاء العالم القديم، تفد إليه مؤثرات

---

(٢٨) أحمد دراز: حول الحضارات، المرجع السابق.

مختلفة فيقبلها ويتفاعل مع ما يتناسب مع طبيعة ظروفه الموضوعية والمكانية ويمزج بين ما يناسبه وبين ما هو صميم نتاجه.

أما ما يقال بأن أصول الحضارة المصرية جاءت من الشمال الإفريقى فهو قول مردود عليه، بأن لو كان هذا صحيحاً فإنها مؤثرات مرتدة خرجت من شبه الجزيرة العربية مروراً بمصر ثم عادت إليها مر ة أخرى بعد تعرض منطقة الشمال الإفريقى لظروف بيئية جديدة، ونقصد بها مرحلة الجفاف فكان لابد من البحث عن الماء الذى أعطاه نهر النيل لمصر.

الفصل الثانى

مقدمة : الشمال الأفريقى خلال عصر الانتقال الثالث

أولاً : مصر

أ- الأحوال الداخلية
١ - الحالة الاقتصادية والاجتماعية
٢- الحالة السياسية

ثانياً : ليبيا

أ- الأحوال الداخلية
١ - جغرافية ليبيا السياسية
التحنو - التمحو - الماشواش - الليبو

ب- الحالة الاقتصادية

ثالثاً : مصر وليبيا وشعوب البحر

١ - أولاً مصر

أ- الأحوال الداخلية

١ - الحالة الاقتصادية والاجتماعية

تدهورت أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية خلال عصر الانتقال الثالث وسارت من سئ إلى أسوأ، وكان وراء ذلك العديد من العوامل الداخلية والخارجية، منها الحروب المتكررة التى خاضتها مصر فى الشرق والغرب ضد شعوب البحر من ناحية وضد عناصر الماشواش والليبو من ناحية أخري وما نتج عن ذلك من إنهاك للاقتصاد المصرى، واستقرار بعض العناصر الأجنبية فى مصر، وأمكن لبعضها أن يرتقى عرش مصر كما حدث للأسرة الثانية والعشرين الليبية الأصل.

وفضلاً عن ذلك فقد كان للهبات التى أغدقها فراعنة هذه الفترة على معابد الألهة المختلفة، بالإضافة إلى انعاماتهم على نفر من الأمراء القدامى باقطاعيات كبيرة لضمان ولائهم، كان لهذا كله أسوأ الأثر على أحوال مصر الاقتصادية، فتذكر بردية «هاريس» أن دخل هذه المعابد وحدها بلغ فى عهد «رمسيس» الثالث ما يعادل ٦٢ كيلو جراماً من الذهب، و١١٨٩ كيل جراماً من الفضة و ٢٨٥٥ كيلو جراماً من النحاس، وأن مراعيه كانت تأوى ٤٢٣٦٢ رأساً من الماشية الكبيرة والصغيرة، أهدى منها «رمسيس» الثالث ٢٨٣٣٧ رأساً دفعة واحدة، كما بلغ دخل معابد مصر حينذاك نحو مائة ألف مكيال من الغلال، واستأثرت بخيرات ١٦٩ مدينة وقرية فى مصر وخارجها، وامتكلت أكثر من ٨٨ سفينة ونحو ٥٠ ترسانة لصناعة السفن

وإصلاحها، وتراوحت مساحة مزارعها بين ١٢ و ١٥٪ من أراضى مصر الزراعية(١).

علاوة على كل هذا كانت هذه المعابد لا تؤدى ما هو مفروض عليها من الضرائب وذلك لتولى عائلات كبار الكهنة للوظائف الهامة فى الدولة(٢).

وقد زاد فراعنة هذه الفترة من حدة الأزمة الاقتصادية التى كانت تعانى منها مصر وذلك عندما أسرفوا فى إقامة المنشآت المعمارية، فحفروا مقابر ضخمة على غرار من سبقوهم فى العصور الزاهية(٣).

ومن العوامل الرئيسية التى أثرت على أحوال مصر الاقتصادية، أنها فقدت امبراطوريتها فى آسيا مما دفع الفراعنة إلى اغتصاب مبانى

---

(١) عن ترجمة بردية هاريس انظر: B.A.R. IV, §§ 151 ff.

ويلسون أ **الحضارة المصرية**، ترجمة أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٤٢٩

الآن جارونر: **مصر الفراعنة**، ترجمة نجيب ميخائيل، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٢٢

Faulkner, R.O., "Egypt From The Inception of the Nineteenth Dyansty to the Death of Ramesses III" C.A.H3, 2A, 1980, p. 245.

Cerny, J., " Egypt From the Death of Ramesses III to the End of the Twenty - First Dyansty" C.A.H, 2B, p. 626.

(٢) من الأمثلة التى توضح سيطرة عائلات كبار الكهنة على الوظائف الهامة، أنه فى عهد «رمسيس» كان «رمسيس نخت» كبير الكهنة آمون فى الوقت الذى كان أبوه «مرى بارست» رئيساً لمأمورى الضرائب بينما تولى اثنان من أبنائه وظيفتين من أهم الوظائف فى البلاد فكان ابنه «نسى آمون» كبيراً لكهنة آمون من بعده، وابنه و«سرماعت رع نخت» كبيراً لمأمورى الضرائب والمشرف على أرض الملك

انظر Kitchen, K.A., Third Internediate in Egypt, p. 46

(٣) هناك نص من العام الثالث للملك «رمسيس» الخامس فى وادى الحمامات يسجل استحضار حجر ماخر من محجره المشهور، وهذا أمر طبيعى، ولكن إذا علمنا أن عدد المكلفين بهذا العمل بلغ ثمانية آلاف عامل اتضح لنا ضخامة العمل الذى قطعت الأحجار من أجله أنظر جاردنر: مصر الفراعنة، ص ٣٢٥ .

الآخرين لإقامة منشآتهم المعمارية فإذا قلنا إن اغتصاب مباني الآخرين عادة مصرية لم يخترعها ملوك هذه الفترة لكان ذلك صحيحاً، ولكن الصحيح أيضاً أن الاغتصاب السابق لم يكن بهذا القدر الهائل، فضلاً عن أن أصحابه قد أقاموا عمائر تعادل أضعاف ما اغتصبوه عدة مرات، بعكس ملوك هذه الفترة الذين اعتمدوا في المقام الأول على الاغتصاب، وأن ما أقاموه لم يكن أكثر من عملية تخريب وتحطيم لآثار الملوك السابقين فإذا عجزوا عن هدم بعض المعابد الضخمة اكتفوا بمحو أسماء أصحابها من الفراعين ووضع أسمائهم عليها(١).

ترتب على تردي الأوضاع الاقتصادية أن استمر التفاوت بين طبقات المجتمع في مستويات المعيشة مما أدى إلى اضطراب أحوال مصر الاجتماعية، أضف إلى ذلك استقرار العناصر الأجنبية في مصر ووصولها إلى أرقى المناصب في الدولة، ويمكن القول إن زيادة عدد الأجانب في القصور الفرعونية كان من العوامل التي أثرت في أحوال مصر الاجتماعية، حيث زاد الزواج من أجنبيات، وزادت أعداد الجواري، واحتوت القصور إلى جانب الجواري على أعداد من الحشم عملوا خدماً وسقاه ووصفاء حتى تسللوا إلى مخدع الفرعون ذاته (٢).

(١) فعل ذلك «وسركون» الثاني في بوباسطه عندما محا إسم فرعون «رمسيس الثاني» من كل أجزاء معبده وأهداه إلى الآلهة «باست» بعد أن قام بتغيير أسماءالمعبودات الأصلية التي كرس المعبد لها في الأصل، بل أن قبر «وسركون» الثاني نفسه إنما سرقت أحجاره من آثار ترجع إلى أيام الدولة القديمة والوسطى والحديثة، وقد غالى شاشانق الثالث في ذلك كثيراً حيث أقام بوابته الهائلة التي أقامها في تانيس من عمائر يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين الدولة القديمة والأسرة الحادية والعشرين والأمر كذلك بالنسبة لمقابرهم.

ويلسون: **الحضارة المصرية**، ص ٤٣٥ Kitchen, Third Intermediate, p. 319

(٢) kitchen, K.A., " On the Princedomes of late Libyan" C.D.E., 52, 1977, pp. 40-48

Trigger, B.G. et ot, Ancient Egypt, A Social History, Cambridge, 1984, pp. 309-310

عبد العزيز صالح: **الشرق الأدنى القديم جـ ١، مصر والعراق**، ط ٢، القاهرة ١٩٨٢، ص ٤٣٥ .

فإذا كانت الحالة على نحو ما مر بنا فلا غرابة إذا رأينا حالة الحكومة مضطربة ومزعزعة ووجد الموظفون ما يغريهم على العمل لحسابهم الشخصي بدلاً من أن يعملوا لمصلحة الدولة، فكان أكثرهم طموحاً يعرف كيف ينتزع بوضع اليد بعض ممتلكات آمون التي كانت قد اتسعت، كما أن فرق الجند المرتزقة كانت دائماً على استعداد لأن تشن الغارات وتكون أداة للشغب والتمرد بينما فعلت المؤامرات السياسية فعلها في تخريب الخدمات العامة، فتدهورت المحاصيل الزراعية وكثرت المجاعات وانساق صغار القوم وراء كبارهم في أعمال السلب والنهب[1] وقد أدت هذه الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وما آلت إليه من اضطراب أحوال مصر السياسية وتفتت وحدتها خلال عصر الانتقال الثالث.

٢ - الحالة السياسية

كما سبق القول فإن تدهو الحالة الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى ضياع هيبة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة خاصة كهنة الإله «آمون» وتفشي الفساد والرشوة داخل الجهاز الحكومي، وارتداء رجال الجيش للثياب الكهنوتية للوصول لأهدافهم السياسية، ثم انتحال الألقاب الفرعونية حتى أصبحوا يكونون دولة داخل الدولة، فكان الانقسام والتفتت أمراً طبيعياً ونتيجة حتمية لما مرت به مصر خلال هذا العصر، وأصبحت السلطة موزعة بين كبير كهنة آمون في الجنوب وفرعون في الشمال، وقد حاول فراعنة مصر في هذه الفترة استعادة وحدة البلاد بوسائل مختلفة منها تعيين بعض أفراد البيت المالك على رأس الإدارات في كهانة آمون في طيبة، ومنها أيضا الزواج من الأسرة الكهنوتية الطيبية، إلا أن هذه السياسة بدلاً

---

(١) بوبوت: **مصر الفراعنة**، ترجمة زهران، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٤ .

من أن تدعم وحدة البلاد كانت من عوامل تفتتها حيث تمخض عنها تياران متعارضان، الأول رغبة الفرعون الجالس على العرش فى تسليم المراكز والمناصب العليا فى الدولة لرجال ينحدرون من سلالته مباشرة، أما الاتجاه الثانى فهو موقف الأحزاب التى سيسلب حقها فى وراثة هذه المناصب خاصة منصب «كبير كهنة آمون» نتيجة تغير الفرعون الحاكم وكان لابد من الصدام بين هذين التيارين وما كان يترتب عليه أحياناً من منازعات داخلية، ومنذ ذلك الوقت تركت البلاد فى أيدى رؤساء محليين من الذين لا يعيشون إلا على الدس والتآمر، وانتهى الأمر بأن استقل معظم هؤلاء الأمراء بالمدن الرئيسية فى مصر الوسطى والعليا (هيراقليوبولس - هرموبولس - طيبة) وأصبحوا يشيرون إلى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون، وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية وكتب اسمه داخل خرطوش، ولتوضيح ذلك يمكن القول أن هيراقليوبولس أصبحت عاصمة لمملكة يحكمها «بف ثاو عوى باست» ولعله كان من نسل الأسرة الثالثة والعشرون، كابن الملك «رودآمون»، وكان الإقليم العشرون بمصر العليا على وجه التحديد نواة لهذه المملكة، وقد امتدت لتشمل الإقليمين الحادى والعشرين شمالاً والتاسع عشر جنوباً من أقاليم مصر العليا [١] وقدحمل حاكم المملكة اسم العرش «نفر كارع» كما يتضح من خلال نقوش تمثال ذهبى للإله «حرى شف» [٢] كما تظهر لوحة النصر الكوشية اسمه داخل خرطوش [٣] وكانت زوجته تلقب بالملكة «تاشرت ان است» [٤].

(١) Grimal, N., "La Stéle Triamphale de Pi (ankh) y au Musèe du Cair. J.E., 48862 et 47086-47089 M.I.F.A.O., 105, 1981, p. 215

(٢) Petrie, W.F., A History of Egypt, Vol. III, London, 1905, pp. 270-271.

(٣) Grimal, Op. Cit., Pl. VIII, L. 70.

(٤) Daresst, G., "Fragments Haracleopolitains", A.S.A.E., 21, 1921, pp. 138-139

أما هرمويولس فقد أصبحت عاصمة لملكة متسعة يحكمها ملك هو "نمرت" الرابع ولعله كان ابناً للملك "وسر كون" الثالث الذى وضعه فى حكم هذه المدينة من قبل وقد امتدت هذه المملكة لتشمل الاقليم الثامن من مصر العليا.[١]

أما طيبة فقد أصبحت الزوجة الإلهية لآمون "شب ان وبت" الأولى تهيمن على مقادير الأمور بعد أن حجبت بمركزها الكاهن الأول الذى لم يُسمع عنه فى هذه الفترة، فضلاً عن احتفاظها بكافة حقوقها الرسمية التقليدية بوضع اسمها داخل خرطوش، ليس فقط لانها ملكة، ولكنها كمصدر للسلطة باعتبارها زوجة إله.[٢]

أما فى الدلتا فكما يتضح من لوحة النصر الكوشية فإن الأحوال بلغت ذروة التفتت السياسى إبان تلك الفترة حوالى (٧٣٠ ق.م) ففى "منف" ظل حكامها رؤساء "الما" وكهنة بتاح العظام يتوارثون حكمها، أما شرق ووسط الدلتا، فقد أشارت نفس اللوحة إلى وجود ملكين "وسر كون" الرابع فى تانيس و"ايوبوت" الثانى فى تل المقدام وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، ومن المحتمل أنه ظهرت لأول مرة إمارة لرؤساء "الما" جنوب شرق الدلتا فى "بر- جرر" (دار الضفدعة) والتى من المحتمل أن يكون موقعها عند الأطراف الشمالية لخليج السويس، كما ظهرت إمارة أخرى "للما" فى "بر- سبد" (*صفط الحنة*).[٣]

وفى شمال ووسط الدلتا ظلت " منديس" (تل الرابع وتل تمى الامديد)[٤]

(١) Garimal, Op. Cit., p. 216;

(٢) يويوت : **مصر الفرعونية** ، ص ١٦٦ - ١٦٨

(٣) Montet, p., **Geographie de L'Egypte ancienne**, I, Paris, 1957, pp. 206-208.

(٤) Gardiner, **A.E.O.**, 2, 151*

إمارة "للما" حيث أخذ حكامها يتوارثونها إبناً عن أب منذ أيام "شاشانق" الثالث كما ظهرت إمارة مستقلة فى «ثب ـ نتر» (سمنود حالياً) وامتدت لتشمل «بر ـ حبيت» (بهبيت الحجارة) و «سما – بحدت» (تل البلامون مركز شربين)(١).

وأخيراً تكونت فى وسط الدلتا إمارة لرؤساء «الما» حكمها «شاشانق» فى «بر – أوزير» (أبو صيربنا)، أما غرب الدلتا فقد كان «تف» – نخت» حاكم سايس يحمل لقب «الرئيس العظيم للغرب» ومدير إدارات مصر السفلى، وملك الأقاليم الغربية، إلى جانب الألقاب الدينية مثل «كاهن نيت» و «واجت» و «سيد العامو، وغيرها من الألقاب التى تعكس حكمه فى سايس حتى «بوتو» شمالاً، وكوم الحصن فى الجنوب الغربى، وهكذا سيطر «تف نخت» على النصف الغربى من الدلتا(٢).

مما سبق يتضح تفتت خريطة مصر السياسية بين الجنوب والشمال، وداخل هذين الإقليمين الجغرافيين فى عصر الانتقال الثالث.

---

(١) Gardiner, A.E.O., 1, 180*, 195*, 197*

(٢) Yoyotte, J., "Notes et Documents Pour Servir A L'Histoire de Tanis",Kemi, 21, 1971, pp. 3552

وقد تناول الدارس أحوال مصر الداخلية خلال عصر الانتقال الثالث بتفصيل كامل فى رسالته للماجستير انظر

أحمد دراز: **مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق. م.**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٩١ .

١ - ثانياً : ليبيا

أ- الأحوال الداخلية

١ - جغرافيا ليبيا السياسية

لا زالت الأرض الليبية صامتة تماماً فيما يختص بتاريخ ليبيا قبل استعمار الإغريق لبرقة، مما جعل البعض يرجح خلو هذه الأرض من الوثائق [١] ولذلك فإنه ليس أمام أى باحث فى التاريخ الليبى إلا الاعتماد على المصادر والوثائق التى قدمها المصريون بتسجيل أخبارهم وأخبار جيرانهم منذ أن بدأوا تسجيل الأخبار فى فترة قبيل الاسرات وقد بذلوا الجهد فى تصوير الملامح والتقاطيع والأزياء والأخبار الحربية الخاصة وزودنا بأسماء القبائل التى كانت تعيش هنا وهناك ومن بينها الليبيون، ورغم أن هذه المصادر مليئة بالفجوات والثغرات مما يدعو إلى التساؤل والاستفهام حيث أنها لم تهدف فى المقام الأول إلى تسجيل جوانب غيرها من الشعوب المجاورة وإنما جاء ذلك متضمناً تسجيلها لجوانب الحياة المصرية، وفى هذا الصدد يقول «باتس» إن تاريخ الليبيين الشرقيين قبل هيرودوت لا يجب أن يدعى تاريخاً بالمعنى المفهوم، إذ لم تصور لنا الوثائق سوى نزاعهم مع شعوب أقوى وأكثر تحضراً، كما أن هذه الوثائق هى فى الواقع تقارير حربية سجلها الجانب الآخر [٢] ومع ذلك فليس أمام الدارس للتاريخ فى هذه الفترة إلا أن يجهد نفسه قدر الطاقة محاولاً أن يستخلص من هذه المصادر ما أمكنه، وأن يعطى صورة عن الليبيين آنذاك يملأ بها

---

(١) Carter, T. II., In /expedition, The Bulletin of the University Museum of the University of Pennsylvania, Spring, 1963, Vol. 3, pp 18 ff.

(٢) Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914, p. 210

الفراغ الذى خلفه عدم العثور على نحت أو نقش أو تصوير أو صناعات من أى نوع يعطى صورة لما وجد فى هذه الوثائق، وكانت النتيجة مناقشات طويلة واستنتاجات ومقارنات وسرداً لتعدد الآراء ونتائج غير مؤكدة إلا فى القليل النادر.

الحقيقة إن الشواهد الأثرية التى ترجع إلى فترة قبيل الأسرات تعتبر أول المصادر المصرية التى تشير إلى الليبيين، وما يمكن ملاحظته أن هذه المصادر جميعها ما هى إلا مناظر عامة لا تصحبها نصوص حيث أن الكتابة المصرية لم تكن قد اكتملت بعد، أما الملاحظة الثانية فهي إن الاتجاه العام فى هذه المصادر جميعها عبارة عن مناظر حربية تشير إلى معارك بين فريقين، فريق اتخذ هيئة المصريين وفريق آخر اتخذ صفات الليبيين الذين صورهم المصريون على آثارهم فى العصور التاريخية، وأول هذه المصادر هو «**مقبض سكين جبل العركى**»[1] الذى صور على أحد وجهى مقبضها معركة جرت على البر وفى الماء بين فريق اتخذ هيئة العامة للمصريين، أما الفريق الآخر فيظهر وقد انسدلت جديلة من الشعر على جانب الرأس والصدغ لكل فرد من أفراده، مما يقربهم من هيئة الليبيين، إلا أن الفريقين قد ظهرا بجراب يستر العورة، أما معركة الماء فقد صور الفنان ثلاث مراكب على الطراز المصرى، ثم صور مركبين على طراز آخر مختلف ارتفعت فيه مقدمة المركب ومؤخرتها ارتفاعاً كبيراً، ويفترض

(١) وجد هذا الأثر فى منطقة جبل العركى تجاه نجع حمادى فسميت اصطلاحاً باسمه انظر

Petrie, F.W., **The Making of Egypt**, London, 1939.

Frankfort, H., Studies in Early Pottery of the Near East, London, 1924.

Child, V.G., **New Light on The Most Ancient East**, London, 1958.

الدريد: **الحضارة المصرية، من عصور ماقبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة**، ترجمة مختار السويفى ، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٦٩ .

عبد العزيز صالح أن المركبين الغريبتين من مراكب السواحل المصرية الشمالية الغربية القريبة من الحدود الليبية، خاصة وأن أحد الفريقين المتقاتلين على البر تغلب عليه الهيئة الليبية كما أسلفنا، بالإضافة إلى وجود صورة لمركب تشبه هذا الوصف على لوحة القربان التى عثر عليها «لوت» في تاسيلي.(١) فإذا انتقلنا إلى لوحة **صيد الأسود**(٢) فإن ما يهمنا منها أشكال الصيادين، فهم ملتحون تمام مثل الأعداء المهزومين على لوحة «نعرمر» المشهورة ويحملون الريش في شعورهم ويرتدون كيس العورة ولهم ذيول تتدلى من قمصانهم القصيرة، هذه الذيول أصبحت عنصراً مميزاً لملابس الفراعنة أنفسهم فيما بعد وطيلة التاريخ المصرى القديم ولانراه فى العصور التاريخية على غير ملوك الفراعنة إلا متدلياً من ملابس الزعماء الليبيين المصورين على جدار يؤدى إلى معبد هرم الملك «ساحو رع» من ملوك الأسرة الخامسة، وهؤلاء الزعماء الليبيون أنفسهم يلبسون كيس العورة ولهم خصلة شعر تقف منتصبة فوق حاجبهم الأمر الذى يذكرنا بالصل على جبين الفرعون (٣).

وثمة لوحات طقسية أخرى بها إشارات عابرة لعل خير ما يمثلها صلاية الفحل التي يظهر فيها الملك فى شكل ثور قوى يهزم العدو، ويعلق عليها جاردنر بقوله أن الهدف من تلك اللوحة واضح، فهى تمثل انتصار زعيم من

---

(١) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وأثرها ، القاهرة، ١٩٨٠، ص ص ١٨٧-١٨٩
هنرى لوت: **لوحات تاسيلي**، ترجمة زكى حسن، طرابلس، ١٩٦٨، ص ٢١٢ .

(٢) عثر عليها فى هيراكونبوليس، الجزء العلوى منها محفوظ بمتحف اللوفر، أما الجزء السفلى فمحفوظ بالمتحف البريطاني.

الدريد: المرجع السابق، ص ٩٤ وأنظر أيضاً; P.M., V, 104, No. 3, Childe, Op. Cit., p. 80 f
Kees, H., **Ancient Egypt, a Cultureal Topography**, London, 1961, p. 40

عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ١٩١-١٩٢ .

(٣) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٤٢٧-٤٢٨ .

مصر العليا على مصريين من الدلتا أو أعداء ليبيين(١).

ثم نأتى بعد ذلك إلى مصدر هام من مصادر فترة قبيل الأسرات ونقصد به صلاية الحصون والغنائم أو لوحة الليبيين، أو صلاية الجزية الليبية أو لوحة التحنو(٢).

وهذه اللوحات ذات دلالة أوضح من المصادر السابقة، فقد ظهر بوجهها سبعة مستطيلات ذات أكتاف لا شك أنها تشكل مدناً محصنة كانت جميعها تحارب معاً فى تحالف استطاع الملك أن ينتصر عليها، والعلامات الهيروغليفية داخل المستطيلات قصد بها أسماء الأماكن، وصور الفنان على الوجه الآخر للصلابة غنائم الحرب التى شنها ملكه، فصور صفوفاً من الثيران والحمير والكباش وصور تحتها أشجاراً زيتيه صمغية وكتب بجانبها علامة تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابية وتدل على كلمة «تحنو» بمعنى أرض ليبيا أو على الأصح الأراضى الشمالية الشرقية من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتا(٣) وتأتى أهمية هذه اللوحة من إنها تحتوى على أقدم إشارة كتابية إلى الليبيين أو التحنو أقدم العناصر الليبية التى عرفها المصريون.

من المصادر الهامة التى تشير إلى الليبيين صراحة فى فترة بداية الأسرات **صلاية نعرمر**(١) وما يهمنا من هذه اللوحة أن الفنان أظهر الملك

---

(١) جاردنر: المرجع السابق، ص ٤٢٩ وقارن عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ١٩٣-١٩٤ .

(٢) عن لوحة التحنو أنظر: P.M., V, 105, No 6

Petrie, W.F., **Ceremonial Slate Palettes,** Londone, 1953

Murray, M.A., **The Splendour That Was Egypt**, New ed. London, 1964, Pl. IXVII

جاردنر: **مصر الفراعنة**، ٤٢٦-٤٢٧ .

(٣) عبد العزيز صالح: **حضارة مصر القديمة**، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

جاردنر: مصر الفراعنة ٤٢٦-٤٢٧ ; Gardiner, **A.E.O.**, I, 119*

على وجه اللوحة وهو يرتدى تاج الصعيد يأخذ بناصية زعيم خصومه ويهم بضربه بمقمعته، وظهرت أمام الأسير علامتان كتابيتان تعبران عن إسم منطقته ويحتمل أن تكون «وع» أو «وعشى» وهو يتألف من صورة خطاف وحوض ماء أو ترعة وظل الخطاف رمزاً لأقصى الأقاليم الشمالية الغربية للدلتا على حدود الصحراء الليبية(٢).

أما نقوش الملك «سا حو رع» من الأسرة الخامسة والتى وجدت على جدران معبده الجنازى فلعلها أول نقوش تمدنا بمعلومات مفصلة بعض الشئ عن التحنو، حيث ألقت الضوء على بينة التحنو الجسدية وملابسهم، فكان هؤلاء الرجال طوالاً لهم ملامح جانبية حادة، شفاهم غليظة، لحاهم كثة، لهم شعر مميز ينمو كثيفاً على مؤخرة الرقبة تصل خصلة إلى الأكتاف مع خصلة صغيرة من الشعر فوق الجبهة، وإلى جانب الحزام المثبت به كيس العورة، كانوا يرتدون وشاحاً عريضاً مميزاً حول الكتفين يتقاطع طرفاه على الصدر، وعقد تتدلى منه حلى(٣).

بمقارنة الليبيين الذين ظهروا فى نقوش الملك «سا حو رع» مع الفريق الذى مثل على لوحات وصلايات فترة قبيل وبداية الأسرات المصرية، لا نستطيع أن نجد فرقاً كبيراً بينهم، وإن كان لتطور الفن ونضج الحضارة فى تصوير بعض العناصر الفنية علاوة على وصول الكتابة فى مصر إلى مراحل متقدمة الأمر الذى لم يتوفر للقطر الليبى لا يجعلنا نقطع بهذا الشبه رغم ذلك يمكن القول إن الفريق الذى صور

---

(١) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ترجمة ماهر جويجاتى، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٥٠-٥١ شكل ١٢ عبد العزيز صالح: **حضارة مصر القديمة**، ص ٢٢٤-٢٢٧ .

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٢٢٤ حاشية ١٦٨ .

(٣) جيهان دايزنج: «البربر الأصليون»، **تاريخ افريقيا العام**، جـ ٢ اليونسكو ١٩٨٥، ص ٤٣٨-٤٣٩ .

على وثائق فترة قبيل الأسرات والذى تغلب عليه هيئة الليبيين هم «التحنو» الذين جاء ذكرهم فى الوثائق التاريخية يوصفهم سكان الغرب.

لا شك أن بلاد «تحنو» كانت تقع غربى مصر، ولكن أى المناطق الغربية؟، الحقيقة أنه يمكننا تحديد موقع سكنى التحنو بصورة أدق من هذا الموقع العام.

هناك رأى يرى أن هذا الإسم «تحنو» كان يطلق على المكان الذى كان يجلب منه النطرون المستعمل فى مصر القديمة لتحضير طلاء أشكال الخزف والزجاج[1]. إلا ان هذه البقعة الصحراوية ليس فيها من الخيرات ما يصلح لسكنى عدد كبير من الناس، كما أن تصوير الأشجار ضمن الغنائم التى ظفر بها الملك كما اسلفنا فى لوحة التحنو يوحى بأن أرضهم لا تشمل بلاداً صحراوية فحسب، بل تشمل كذلك بقاعاً خصبة فى غرب وادى النيل، وعلى ذلك لابد من التفكير فى واحة توجد فى هذه الجهة قد تكون واحة «الفيوم»، فإذا علمنا إن الإله سبك (التمساح) منذ القدم كان يقدس فى الفيوم وان هذا الإله مُثل عدة مرات بوصفه سيد بلاد «باش» وهى كما تحدثنا نقوش الملك « سا حو رع» جزء من بلد «تحنو» علاوة على إن نفس الإله «سبك» قد وجد فى نص يرجع تاريخه إلى عهد الملك «طهرقا» يمثل بلاد «تحنو»[2].

وعلى ذلك يقرر «هولشر» أن بلد تحنو تقع فى إقليم وادى النطرون

---

(١) Holscher, W., **Libyer und Ägypter**, Hamburg, 1937, p. 21.

(٢) Macadam, M.F., **The Temples of Kawo**, II, Oxford, 1949.

والفيوم خاصة وإنه ليس هناك ما يناقض ذلك[1].

إلا أن هناك من يرى أن كلا من وادي النطرون والفيوم كانا معروفين للمصريين جيداً، وقد وجدت أسماؤها على آثار الأسرتين الرابعة والخامسة، كما أن وادى النطرون أقليم فقير يستطيع بالكاد إعالة مالا يزيد عن الألفين من البشر، وفى مستوى معيشى فقير من هنا لا يمكن أن يكون هذا المكان مقراً لهؤلاء القوم الذين كانوا مصدر إزعاج للمصريين، أما الفيوم فكان ينظر إليها منذ بداية التاريخ المصرى بوصفها أحد الأقاليم المصرية، وكانت تسمى البحيرة، أما الإله سبك فلم تكن عبادته قاصرة على الفيوم بل أن قائمة «ادفو» وصفته بأنه إله المقاطعة الرابعة من مصر السفلى، وكذلك وصف «سبك» بأنه ابن الإله «نيت» وقد عُبد في المقاطعة الصاوية، بالإضافة إلى أن حملة «سنوسرت» الأول ضد بلاد «تحنو» عادت بماشية كان من المستحيل أن تجد ما يلزمها من طعام إلا فى أراضى تقع على شاطئ البحر المتوسط، فإذا عدنا إلى الوراء قليلاً نجد أن مملكة الشمال فى الدلتا قد حاربت العناصر الليبية منذ وقت مبكر، وكما أسلفنا فإن معظم مصادر فترة قبيل الأسرات، قد أشارت إلى أن الحروب التى صورتها كانت تقع فى شمال غرب الدلتا وقد وجد ليبيون من نفس الجنس مستقرين فى المنطقة الممتدة من شمال غرب الدلتا حتى الفرع الكانوبى، وهذا يساعد على تحديد الأقاليم الزراعية التى أنستها هذه الجاليات والتى كانت صالحة لتربية الماشية والأغنام المذكورة على لوحة التحنو والتى ذكرها أيضاً سنوسرت الأول فإذا علمنا أن المناطق الخصبة فى ليبيا تقع بالقرب من الفرع الكانوبى أيضاً حيث كانت صالحة لنمو المحاصيل

---

(١) Holscher, O.P., Cit., p. 21

الزراعية فكانت «يوسبريدس» (بنغازى) صالحة لزراعة الغلال و «قورينى» (برقه) تنتج أكثر من محصول فى العام الواحد، وعليه يمكن القول أن المناطق الممتدة من شمال غرب الدلتا حتى إقليم برقة غرباً، ومن الواحات ووادى النطرون جنوباً حتى البحر المتوسط شمالاً هي أقليم «تحنو»(١).

أما تفسير «نيو برى» لوضع اسم «تحنو» بين عدد من الأشجار على لوحة الجزية سالفة الذكر والتى اعتقد انها شجرة الزيتون، ويعلل وجهة نظره بأن هناك نوعاً من الزيت ذكر باسم « حانن تحنو» (زيت من الدرجة الأولى) وأن كلمة تحنو كتبت بنفس الطريقة التى كتبت بها بلاد تحنو، وأن أشجار الزيتون تنمو بكثرة فى مريوط والواحات وبرقة(٢) وقد اتخذ أصحاب الرأى السابق هذا التفسير دليلاً على وجهة نظرهم، وإن كان الدارس يميل إلى ذلك فهو يرى أنه إذا افترضنا أن الشجرة المرسومة على لوحة الجزية هي نبات «السلفيوم» الذى اشتهرت به «برقة» (قورينى) منذ القدم ولم ينمُ فى أى إقليم آخر، خاصة وإن المصريين سموا هذا الإقليم باسم الشجرة غير المألوفة فى مصر، والمعروف أن المصريين كانوا يعرفون الزيتون جيداً ولا يعرفون شيئاً عن السلفيوم(٣) نقول إذا افترضنا ذلك كان تأييداً أقوى لوجهة النظر التى ترى أن أرض التحنو تمتد حتى إقليم برقة.

(١) Fakhry, A., Bahria Oasis, 1, 1942, pp. 5-6; Gardiner, **A.E.O.**, 1, H117* f
El-Mosallamy, A.H.S., "Libyco- Berber Relations with Ancient Egypt, The Tehenu in Egyptian Records "**Libya Antique,** 2, 1986, p. 52.

(٢) Fakhry, Op. Cit., pp. 5-6; Gardiner, **A.E.O.**, 1, 117* -119*
El - Mosablamy, **Libya Antique**, 2, 1986, p. 52

(٣) كان السلفيوم من الأمور التى لايمكن الكتابة عن برقة وتاريخها دون أن ينال ذكره ما استحقه من إطناب الحديث، حتى أن اسم برقه كان يعرف بالسلفيوم والذى لا يذكر اسمه دون أن يضاف إليها، وكان السلفيوم عماد الثروة في قورينائية، وقدر ورد ذكر السلفيوم في مصنفات القدماء كثيراً، وحرص قدماء المؤلفين على وصفه، بل ضرب على العملة، وكان الغذاء والطب من أهم مراجع مجالات استخدام النبات. عن السلفيوم انظر الهادى أبو لقمه: **السلفيوم الثروة المفقودة**، بنغازى ١٩٨٥ .

مراجع عقيله الغناى: **السلفيوم**، مصراته، ١٩٩٤، شامو: المرجع السابق ، فصل ١١

وهكذا نجد أن لفظ تحنو في أقدم العصور كان يدل على إسم مكان خاصة أقرب الجهات إلى مصر من جهة الغرب، ثم تغيرت دلالته بحيث صارت تطلق على جميع سكان المناطق الصحراوية الواقعة في غربي وادى النيل، ثم لا تلبث هذه التسمية أن تفقد دلالتها العرفية الخاصة لتصبح مجرد مصطلح جغرافي بحيث نراها تنجر بعد قيام الدولة المصرية القديمة على شعوب المنطقة الغربية أيا كانت سماتها وخصائصها العرقية وأياً كان زيهم وبذلك صارت هذه التسمية مساوية لمصطلح ليبى فى أوسع معانيه[1].

أما التمحو فلم يكونوا فرعاً من التحنو، بل كانوا جماعة عرقية جديدة لون بشرتها فاتح وعيونها زرقاء بينهم نسبة كبيرة ذات شعر أشقر[2] والحقيقة أن شواهد ما قبل التاريخ ممثلة فى تلك اللوحات البدائية المرسومة على صخور الصحراء ا لليبية، تشير إلى سكنى أصحاب البشرة البيضاء والشعر الأشقر فى فزان والمنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى وكان ذلك خلال عصر الرعاة الذى حُدد له تاريخ الألفين السادس ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد[3] والمعروف إن ذكر الوثائق المصرية للتمحو يعقب تاريخ الرسوم الصخرية بعدة قرون، حيث كان أول ذكر لهؤلاء القوم يرجع إلى عهد الملك «ببى» الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة إذ ذكر قائد جيشه «ونى» فى نقوش مقبرته فى أبيدوس، أنه قاد جيشاً ضد بدو آسيا،

---

(١) سليم حسن: **مصر القديمة**، جـ ٧، ص ٣٥-٣٦ .

(٢) Hölscher, Op. Cit. p. 24

(٣) مورى: **تادرارت أكاكوس – الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ**، منشورات مركز الجهاد الليبى، طرابلس، ١٩٨٨ ص ١٨٠ لوحة ٨٣.

كوبر: «من الصيد إلى الرعي – ماهو العصر الحجرى الحديث فى الصحراء الكبرى، «**الصحراءالكبرى**» ترجمة مكائيل محرز، طرابلس ١٩٧٩، ص ٧٨ .

هنرى لوت: **لوحات تاسيلي– قصة كهوف الصحراء**، ترجمة أنيس زكي، بيروت ١٩٦٧، ص ٦٨ .

وأن هذا الجيش كان يضم فرقه من التمحو ضمن عشرات الآلاف من شتى أنحاء الجنوب من النوبيين من إيرثت ومجاى ويام وواوات وكاو ومن بلاد التمحو[1] وفى عهد الملك «مرنرع» و «ببى» الثانى قام «حرخوف» بأربع رحلات إلى الجنوب سلك خلالها طريقين طريقاً يوازى النهر والدروب القريبة منه، وطريقاً يصل بين الواحات عبر الصحراء الغربية وفى رحلته الثالثة سلك طريق الواحة من أبيدوس ويحتمل أن يكون هو طريق درب الأربعين وهنا علم «حر خوف» أن هناك نزاعاً بين يام وبين قبائل التمحو فعمل على اصلاح مابينهما[2] وقد ثار جدل كبير حول تحديد موقع «يام» التى تعتبر نقطة النهاية فى رحلات «حر خوف» فيرى «اركل» إنها فى دارفور[3] بينما يجعلها «كيس» عند جزيرة ساى شمال الجندل الثالث[4] ويرى عبد العزيز صالح أنها تقع قريبة من مجرى النيل حول الجندل الثانى[5] ويراها «جاردنر» جنوبى الجندل الثانى ولكنها لا تصل حتى الجندل الثالث[6].

وتشير هذه الاختلافات جميعها إلى إمكانية وقوع بلاد «يام» جنوب غرب النوبة السفلى وطبقاً لنص «حر خوف» فإن بلاد تمحو تقع غرب بلاد يام «وجدت» رئيس يام قد ذهب إلى إرض التمح ليضرب التمح فى ركن السماء

---

(١) B.A.R., I, 291-294, 306-315, 319-324 .

(٢) عبد العزيز صالح: **حضارة مصر القديمة**، ص ٣٨٩

أمرى: **مصر وبلاد النوبة**، ترجمة تحفه حندوسه، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٣٤

Junker, H., "The First Appearance of the Negeroes in History",J.E.A., 7, 1921, p. 42 ff

(٣) Arkell, A.J., A History of Sudan from Earliest Times to 1821, 2nd ed. London 1961, p. 42ff.

(٤) Kees Op. Cit., p. 128f

(٥) عبد العزيز صالح: **حضارة القديمة وآثارها**، ص ٣٨٩

(٦) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ١١٩-١٢٠

الغربى[1] ويرى عبد العزيز صالح أن قبائل التمحو انتشرت فى طريق الواحات غرب النيل وامتدت حتى واحة سليمة[2] ومن المعروف أن المصريين قد اتخذوا من التمحو جنوداً لهم على هيئة فرق كاملة كما جاء على لسان «ونى»، ومعنى ذلك ان التمحو عرفوا طريقهم إلى مصر فلابد تبعاً لذلك إن ازداد عددهم، ومن ثم لا نستبعد أن يكون قادتهم قد أصبح لهم مكانة ونفوذاً ابان الفترة، ولعل مكانتهم هذه بالإضافة إلى زعزعة الأوضاع خلال عصر الانتقال الأول كانت من العوامل التى دفعت بموجات جديدة من التمحو للاستقرار فى مصر، حيث تشير الدلائل إلى إنه حدث زحف قام به قوم من الجنوب فى فترة تعاصر عصر الانتقال الأول فى مصر وانتشر بمحاذاة النيل شمالاً وقد تخطو فى زحفهم الجندل الثاني، ثم اكتسحوا فى طريقهم سكان بلاد النوبة السفلى ثم تابعوا سيرهم حتى الجندل الأول [3]كما تدل نتائج الأبحاث الأثرية فى هذه الجهات أن هؤلاء القوم من جنس واحد وهم ليسوا من الزنوج وكذلك ليسوا من سكان بلاد النوبة الأقدمين [4]وليس أمامنا ما يشار إليهم على هذا النحو إلا التمحو الذين لا يستبعد أنهم سلكوا طريقهم من الجنوب الغربى للصحراء الليبية متجهين نحو الشمال، لاسيما أن الكشوف الأثرية تدعم مثل هذا الاحتمال ، فقد عثر فى بلاد النوبة على مجموعة من المقابر لقوم ليسوا مصريين أطلقت عليهم بعثة "The Archaeological Survey of Nubia" اسم مجموعة

(١) جاردنر : المرجع السابق، ص ١١٩

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٨٩

(٣) Steindorff, G., Aniba, I, Hamburg, 1935, p. 8

(٤) Ibid., p.6

أمرى: مصر وبلاد النوبة، ص ١٣٨

(ج) أوالمجموعة الثالثة، وذلك لعدم معرفة اسمهم الحقيقى، ولكن باكتشاف مقابر هؤلاء القوم بين الجندلين الأول والثاني فى زمن يؤرخ بالفترة من حوالى نهاية حكم الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة، وحيث ان هذه الفترة تعاصر حلول فترة الجفاف الذى ازداد فى هذه الجهات منذ الألف الثالثة ق.م.، وكذلك فى عدم العثور على فخار سابق لفخارهم فى بلاد النوبة، وفى ظهور فخارهم فجأة وفى مشابهة هذا الفخار للفخار الذى عثر عليه فى وادى هوى على بعد أربعمائة كيلو متر من الجنوب الغربى للجندل الثالث بين دارفور والصحراء الليبية، كل هذا يشير إلى أن أصحاب هذه المقابر وصلوا إلى النوبة قادمين عن طريق جنوبى غربى(١) ويؤيد ذلك أيضاً أن صناعة وادى هوى أقل دقة وأخشن صنعاً من صناعة قوم المجموعة الثالثة مما يدل على أنها صناعة بدائية إذا ما قورنت بالأوانى النوبية، وهذا يشير إلى أن البداية كانت فى وادى هوى والتطور كان فى النوبة وهذا ما يقف سنداً لاحتمال أن وادى هوى كان فى طريق التمحو إلى الشمال، ويوحى فى نفس الوقت بالصلة بين التمحو وأصحاب مقابر المجموعة الثالثة وسكان وادى هوى، ويؤيد ذلك ما توصل إليه «باتس» من أن تلك المقابر كانت لتجمعات ليبية عاشت في النوبة (٢) وإذا كنا نميل إلى رأى «باتس» فى أن قوم المجموعة الثالثة ينتمون إلى الليبيين التمحو، إلا أننا لا نرى وجهة نظر فى الطريق الذى سلكوه للوصول إلى هذه المنطقة وبالتالى موطنهم الأول، حيث يرى أنهم قدموا عن طريق

---

(١) Holsher, Op. Cit., p. 55; Bates, Op. Cit., p. 254 c
Arkell, Op. Cit., p. 49 f
Bennedy Shaw, B., "Two Burials from The South Libyan Desert", J.E.A., 22, 1936, p. 47

(٢) Bates, Op. Cit., p. 252

شمالي سالكين الطريق المتجه جنوباً من واحة الخارجة واستقروا في الوادي هناك [1]وبما اننا توصلنا إلى أن المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن أن نرجح ما ذهب إليه «ستايند ورف» الذي يرى إنهم أتوا من الجنوب الغربي من كردفان واستوطنوا جهة الشلال الثاني للنيل أولاً، ويؤيد ذلك انتشار صناعة الفخار في كل مكان من النوبة وفي كردفان وصلتها الوثيقة بصناعة المجموعة الثالثة «التمحو» [2]بالإضافة إلى ذلك يمكن القول أن التمحو لم يرد ذكرهم على لسان «حر خوف» إلا في رحلته الثالثة من مناطق تقع إلى الغرب من يام مما يوحي بأنه أوغل غرباً أبعد من يام مما يوحي بأن بلاد التمحو تقع بعيداً جداً عن جنوب غرب مصر، أضف إلى ذلك أننا لم نسمع عنهم شيئاً قبل هذا الاستيطان، ويجب ألا نغفل أن هؤلاء القوم وصلوا في هجرتهم شمالاً إلى مناطق مقابلة للساحل الليبي للبحر المتوسط [3]ولعل هذا ما دفع البعض إلى الاعتقاد بأصول التمحو الأوربية[4]

وقد اختلف العلماء في نظرتهم للصفات العسكرية التي اتصف بها «التمحو»، فهناك من يرى أن التمحو (سكان النوبة السفلى) كانو من جنس غير عدواني محبين للسلام ولم يعتبرهم المصريون لائقين كرجال للجيش، وتعليل ذلك عدم وجود أسلحة ضمن الأشياء المتنوعة التي عثر عليها في مقابرهم، كما أن الحصون المصرية مثل كوبان وأيكور الموجود في قلب النوبة السفى كان يخدم فيها جنود من كرمه بينما لا نجد أثراً للتمحو[1]

---

(١) Bates, Op. Cit., p. 245

(٢) Steindorf, Op. Cit., p. 6

(٣)أحمد حسن غزال: «ملاحظات حول التاثيرات الليبية في مقابر سهل ميسار جنوب جزيرة كريت في الألف الثالث ق.م» **مجلة كلية الآداب** العدد السابع، بنغازي، ١٩٧٥، ص ٣٠٤

(٤) سليم حسن: **مصر القديمة** جـ ٧، ص٤ ; Moller, Die Gypter und Ihr Liby Schen, p. 45

وطبقا لما توصلنا إليه من أن المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن القول أن «أمرى» قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه، حيث أن عدم وجود أسلحة ليس دليلاً قاطعاً على أن هؤلاء القوم كانوا مسالمين فربما سرقت الأسلحة من تلك القبور خاصة وأنها قبور سطحية والمعروف أن اللصوص نهبوا معظم المقابر المصرية قوية البناء كثيرة السراديب[٢] بالإضافة إلى ذلك فإنه من المعروف أن «التمحو» وفدوا إلى النوبة قبل احتلال ملوك الدولة الوسطى لها ولذا لم يدخل التمحو تحت الحماية المصرية طواعية بل أن ذلك تطلب معارك طويلة ويدل على ذلك الحملة التى قادها سنوسرت الأول فى عهد والده (أمنمحات) الأول، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة حيث جاء فى نقش قصير وجد على صخرة قريبة من كروسكو، إنه فى السنة التاسعة والعشرين للملك «سحتب اب رع» (امنمحات الأول) ليعيش للأبد حضرنا لنخضع «واوات» (النوبة السفلى)[٣] وهى موطن استقرار قوم التمحو وقد أقام ملوك الأسرة الثانية عشرة شبكة من التحصينات، وبما أن هذه التحصينات أقيمت بعد استقرار التمحو فى النوبة، فإنها بالضرورة كانت للوقاية منهم وليست حماية لهم، أما كون جنود هذه القلاع كانو من كرمه وليس من التمحو، فهذا أمر منطقى حيث أنه لا يمكن أن يدافع عن القلاع جنود من التمحو ضد التمحو، و؟أخيراً فإن القول بأن المصريين لم يعتبروهم لائقين كرجال للجيش، فإن هذا يتناقض مع ما ذكره «ونى» عن اعتماده على فرقة من التمحو فى جيشه أثناء حملته على آسيا وعلى ذلك يمكن القول أن التمحو كانوا محاربين أشداء، وكثيراً ما اضطر ملوك الدولة الوسطى إلى مطاردتهم، وقد رسمت صورهم أثناء عصر الدولة الحديثة

---

(١) امرى: **مصر وبلاد (النوبة)** ص ١٤٢ - ١٤٣

(٢) Pcct, E, The Great Tomp-Robberies of the Twentienth Dynasty, 2Vol., Oxford, 1930

(٣) B.A.R., I, §473

ومن السهل التعرف عليهم بضفائرهم التى تتدلى أمام الأذن والمطروحة للخلف على الأكتاف، وكانوا عادة يضعون ريشاً فى شعورهم ويلبسون أحياناً العباءات، وكان سلاحهم هو القوس وأحياناً السيف أو العصى المعقوفة، وهذه الملامح ذكرها «هيردوت» عن السرتيين الليبيين فى القرن الخامس ق.م. ومن هنا يمكن أن نستنتج أن التمحو هم أجداد الليبيين الذين عرفهم الإغريق فى برقه[1].

أما **الماشواش** فهم شعب ليبى وحدهم «بروجش» كما ذكر «جاردنر» يقوم الماكسويس الذين ذكرهم هيردوت بالقرب من تونس ، وربما أشير للماشواش ضمن الشعوب الشمالية التى أخضعها «تحتمس الثالث» إلا أنه لم يستعن بهم، ومنذ ذلك الوقت ليس هناك ما يخص الماشواش حتى عهد «حور محب» آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد وجد اسم الماشواش على تمثال وجد فى مدخل معبد «رمسيس» الثالث بالكرنك، وأقدم أشارة للماشواش كفرقة عسكرية ضمن فرق الجيش المصرى ترجع لعهد «رمسيس» الثانى حيث ذكروا مع الشردن والكهك والنوبيين، وربما أخذ هؤلاء أسرى فى معركة ليبية قبل أو فى عهد «رمسيس» الثانى، أما فى عهد «مر نبتاح» فكان الماشواش ضمن حملة قادها زعيم الليبو مارى، وقد لعب الماشواش دوراً ثانوياً فى الحرب الأولى «لرمسيس الثالث» مع الليبيين، إلا أنهم كانو العدو الأول فى الحرب الثانية، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نسمع عن الماشواش أكثر من الليبو[2] والحقيقة أن هناك صفات كثيرة مشتركة بين الشعبين مما يثبت أنهما كانا من جنس واحد ولكنهما يختلفان فى بعض التفصيلات منها أن الليبيين كانوا لا يستعملون جراب العورة، وأنهم

(١) جيهان دايزانج: البربر الأصليون، ص ٤٣٩

(٢) Gardiner, A.E.O., I 119* - 120*

كانوا لا يختتنون، وأن كان «ونرايت» يرى غير ذلك لأن «رمسيس» الثالث فعل بهم ما فعل باللّيبو إذ قطع غلفهم وأيديهم أيضاً، بالإضافة إلى أن «مرنبتاح» يقرر فى مناسبات عدة أن عضو التذكير الليبى غير مختن، من هنا يرى «ونرايت» أن الماشواش كانوا غير مختونين أيضاً وأن اختلاف الملابس بينهم وبين الليبو كان مجرد نوع من الطراز وأن هذه الاختلافات كانت نتيجة تأثير شعوب البحر، ومنها استعمال السيف الطويل، واستعمال اشارة لابعاد الشر وهى الإشارة باليد فى هيئة القرن فى وجه الأعداء، وهذا التشابه بين الماشواش وشعوب البحر يميزهم عن الليبيين الآخرين ومن الواضح أن الماشواش حصلوا على السيوف من أقوام أكثر منهم حضارة لأنهم كانوا مجرد رعاه ربما حصلوا عليها من شعوب البحر لأن بعض هذه الشعوب وبخاصة الفلسطينيون والشردن قد حملوها كذلك، كما أن ندرة التكوينات المعدنية فى مواطن الماشواش لا تمكنهم من صنعها أما عن شكل اسم الماشواش، فيرى «ونرايت» أنه ينتهى بـ «شاه» ككثير من شعوب البحر مثل إيقواشا وتورشا وشكلش وبهذا يبدو أن الماشواش ينتمون لنفس المجموعة (١) وهنا يمكن القول أنه لايبدو أن شعوب البحر قد أثرت تأثيراً عظيماً فى الحضارة الليبية كما يزعم «ونرايت» وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الشعوب لم تستقر بل لم تنزل الأرض الليبية (سيأتى الحديث عن هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد) وحتى لو سلمنا بأن الماشواش اقتبسوا السيف الطويل من شعوب البحر فإن استخدام هذا السلاح لم ينتشر على نطاق واسع على مايبدو، وربما حصلوا عليه من شعوب البحر نتيجة التقائهم مع شعوب البحر فى الأراضى المصرية أثناء حربهم مع «منباح»، حيث إن شعوب البحر لم تذكر - باعتبار أنها على اتصال

(١) Wainwright, G, "The Meshwesh", **J.E.A.**, 48, 1962, pp. 89-99

بالليبيين - إلا مرة واحدة خلال حكم «مرنبتاح» وربما كان ذلك نتيجة لاختلاط عديد من الغارات الليبية بغزو شعوب البحر(1) أما بالنسبة لشكل اسم الماشواش فإن «باتس» يقرر أن اسم «مشو» هو شكل شائع عند البربر ويعنى الشريف أو الحر، كما أن «شا» لايمكن أن تشتق من القبائل لأنها كانت مستعملة قبل أن تظهر شعوب البحر فى أفريقيا فى عهد «مرنبتاح» (2) وعلى ذلك نرى أن الماشواش قوم ليبيون وليسوا من شعوب البحر.

أما الليبو فهم أحد الشعوب الليبية التى ذكرت فى نصوص «رمسيس» الثالث ومن قبله فى عهد «مرنبتاح»، وكان أول ذكر لهم قد جاء على أجزاء من لوحة (أو لوحات) من الجرانيت الأحمر عثر عليها فى حصن العلمين وتشير إلى أن «رمسيس» الثانى قام بغزو بلاد الليبو (3) معنى ذلك أن الملك وصل إلى برقة أو أبعد من ذلك حيث كان يقيم الليبو، ويؤيد ذلك أن تحرك «ماراى» بن ديد زعيم الليبو كان يستهدف النزول على أرض التحنو أولاً ... ان زعيم الليبو ماراى بن ديد انقض على اقليم تحنو برماته(4) وقد سبق أن ذكرنا أن اقليم «تحنو» يمتد حتى إقليم برقة، فإذا نظرنا إلى الغنائم التى حصل عليها المصريون من الليبو والماشواش نجد أنها تشمل ماشية وأغناماً وثيراناً وحميراً، وهذه الحيوانات لا تعيش إلا فى مناطق رعوية

---

(1) دريتون - فانديه : **مصر**، ترجمة عباس بيومى، القاهرة ١٩٥٠، ص ٤٧٧

چيهان ديزانج: **البربر الأصليون**، ص ٤٤١ -٤٤٢

(2) Bates, Op. Cit., pp. 42-47

Zibelius, K., **Afrikanische orts, Und Volkernamen in Hieroglyphischen Und Hieratischen Texten**, Wiesbaden, 1972, p. 185

(3) Row, A., **A History of Ancient Cyrenaica**, Cairo, 1984, p. 4

(4) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٣٠٠

غنية إن لم تكن زراعية، والحقيقة أن أقليم برقة وما يليه من الأراضى الليبية يتميز بذلك، أما القول بأن رمسيس الثانى قام بغزو بلاد الليبو فهذا دليل على أن هذا الفرعون قد سيطر على بلاد التحنو المجاورة لمصر، أو أنهم خاضعين له، وخير دليل على ذلك ما قام به الفرعون من بناء سلسلة من الحصون فى الصحراء الغربية من راقودة إلى زاوية أم الرخم(١) وآخر هذه الحصون يحد القسم الشمالى من الحدود الغربية لإقليم تحنو كما تقع معظم هذه الحصون فى أراضيهم ، وهذا أمر ما كان ليحدث لو لم تكن هذه الأرض تحت سلطانه.

والحقيقة ان بناء هذه الحصون خلف موطن التحنو يشير إلى أن هذه القبيلة لم تعد مصدر خطر بالنسبة لمصر، وأن الخطر الحقيقى المتوقع يكمن فى قبيلة «الليبو» خاصة فى الوقت الذى بدأت فيه هجرات شعوب البحر تتدفق على آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه، لذلك أدرك الفرعون خطورة الموقف لو أغار الليبو على مصر فى تلك الظروف ولإتقاء هذا الخطر بادر ببناء تلك الحصون.

بدأ الليبيون يلعبون دوراً هاماً فى التاريخ المصرى بعد ذلك، فقد اشتركوا فى الحروب ضد «مرنبتاح» و «رمسيس» الثالث وكان أميرهم محرضاً للحروب التى لعب الماشواش وشعوب البحر دوراً هاماً فيها، ثم استطاعوا بعد حروب رمسيس الثالث أن يتسللوا إلى البلاد وأن يحتل بعضهم مراكز هامة فيها، وكان ذلك نتيجة لاضطراب أحوال مصر

Habachi, I., "The Military Posts of Ramesses II on the Coastal Road and(١) Western of the Delta" **B.I.F.A.O.**, 80, 1980, pp. 13-30.

O'connor, D., "Egypt 1552- 664B.C." **C.A.H**[*]., II982, pp. 922-923.

Rowe, Op. Cit., p. 4

السياسية والأمنية بعد «رمسيس» الثالث، حيث اضمحلت سلطة الفرعون وفقد هيبته الإلهية، وبالتالى اختل الأمن الداخلى وبدأ الصراع بين طوائف المجتمع المختلفة، وتعتبر مؤامرة الحريم التى تعرض لها «رمسيس» الثالث من أبرز الأمثلة على اضطراب الأحوال السياسية والأمنية في تلك الفترة، ومما تجدر الإشارة الإشارة إليه أن أحد المتهمين فى تلك المؤامر ة كان من الليبو وكان يعمل حاجباً فى القصر الملكى (١) كما نشبت حرب أهلية فى عهد «رمسيس» الخامس والسادس وفى عهد رمسيس الحادى عشر قامت ثورة ضد «امنحتب» كبير كهنة آمون، وثورة أخرى قام بها «بانحس» نائب الملك فى النوبة (٢) وهكذا يبدو أن اضطراب أحوال مصر الداخلية فى تلك الفترة أدى إلى إهمال الحدود الغربية حيث تركت مفتوحة نسبياً بعد رمسيس الثالث، حتى أصبحنا بعد ثلاثين عاماً من موته نرى الليبيين يتجولون فى مصر في جماعات للسلب، ويسرد دفتر يومية العمال فى الجبانة الملكية بغرب طيبة عدة أيام كان العمل معطلاً بسبب الليبو، وحينما كانت تأتي هذه العصابات إلى العاصمة كانت تسبب الاضطرابات وتقضى على الأمن فيها (٣).

عندما حل الاستعمار الإغريقى على ليبيا لاحظوا تشابه العادات

---

(١) Cerny, J., "Egypt from the Death of Ramesses III to the End of the Twen- First Dynasty C.A.H*, 1980, pp. 606-620.
Edgerton, W.E., and Wilson, J, **Historical Records of Ramesses III**, Chicago, 1936, pp. 81-82.
Gardiner **A.E.O.**, I, 121* - 122*.

(٢) Cerny, **C.A.H***., II B, 625-626.

(٣) Ibid, pp. 620- 626.

والأعراف التى كانت سائدة لدى الليبيين فى زمانهم مع «التمحو» والشعوب الأخرى السابقة عليهم، وهذا التشابه يجعلنا نعتقد بأن القبائل الليبية التى عرفها المصريون هم الأسلاف المباشرون للقبائل الليبية التى وجدها الإغريق، فحل الأدرماخداى محل التحنو، والجلجاماى محل الليبو و النسامونيين محل الماشواش، وسكن الأسبت جنوب برقة حتى بنغازي، بينما استقر البكاليس فى توكرا (توخيره)[1] وعلى ذلك يمكن توزيع القبائل الليبية التى وجدها الإغريق عند استعمارهم ليبيا وفقاً لما ذكره «هيرودت» على النحو التالى، قبيلة الأدرماخداى وهى أقرب القبائل الليبية إلى مصر حيث يمتد اقليمها من حدود مصر الغربية حتى ميناء «بلونس» (سيدى برانى) ثم قبيلة الجلجاماى التى يمتد إقليمها من سيدى برانى حتى جزيرة «أفروديدوس» (جزيرة كرسة) غربى درنه، وهم الذين نزل الإغريق بأرضهم وقادوهم بعد ذلك من ازيرس إلى الموقع الذى أسست فيه مدينة قوريني، ثم قبيلة الأسبوستاى ويليهم من جهة الغرب قبيلة الأوسخيساى الذين كانو يقطنون مناطق المراعى، وكانت تقيم بالقرب منهم قبيلة البكاليس وهى قبيلة صغيرة العدد ويتصل إقليمها بالبحر عند توكره (توخيرة)، ومن أشهر القبائل الليبية وأكثرها عدداً هى قبيلة النسامونيس التى كانت تقيم حول خليج سرت، ويشير هيرودت إلى أن هذه القبيلة كانت تترك قطعانها بجوار البحر صيفاً حيث تذهب إلى واحة أوجله لجنى البلح، وفى ذلك إشارة إلى أن موطن هذه القبيلة لم يقتصر على المنطقة الساحلية فقط بل كان يمتد إلى الداخل حيث كانوا يسيطرون على واحة اوجله، أما المناطق الجنوبية فكانت تسيطر عليها قبيلة الجرامنت التى كانت لها علاقة تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحية ومع الشعوب الافريقية من ناحية أخرى[2].

---

(١) Rowe, oP. Cit., pp. 8-9.

(٢) Bates, Op. Cit., p. 195

٢ - الحالـــة الاقتصـــادية

بالنظر إلى جغرافية ليبيا يمكننا معرفة مصادر ثروتها، وبالتالى أهم الحرف التى مارسها سكانها، والحقيقة أن ليبيا تتمثل فى مظاهر السطح المختلفة، ففيها السهول سواء ساحلية أو واحات، وبها أيضاً الهضاب المختلفة، بالإضافة إلى الصحراء التى تحظى بالنصيب الأكبر منم مساحة هذا القطر، وفيمايتعلق بالمناخ والنبات، فهى مختلفة من قسم إلى آخر، فنجد السهول الساحلية تتمتع بمناخ البحر المتوسط وتنمو بها النباتات وأشجار النخيل والموز، كما أنها تُقطع بعدد من الأودية التى تنحدر إليها من الهضبة وهى غزيرة المياه فى فصل الشتاء، وتكثر فى الأجزاء الغربية ظاهرة البحيرات العذبة التى هى فى الأصل أجزاء من المستودع المائى الباطنى انهارت سقوفها فبدت على شكل بحيرات(١)، وتزداد الأمطار غزارة على مناطق الهضاب خاصة هضبة قورينائية، وقد أدت هذه الأمطار بالإضافة إلى اعتدال المناخ ورطوبة الجو إلى نمو الغابات الطبيعية، ومنها أشجار الصنوبر والبلوط، وتشتهر هضبة قورينائية بزراعة الحبوب والفاكهة والخضروات والبقول، وتقل الأمطار وبالتالى النباتات كلما اتجهنا جنوباً نحو الصحراء حيث تنمو الحشائش التى يعتمد عليها السكان فى الرعى، ويعتبر إقليم قورينائية من أشهر مناطق الرعى فى العالم القديم، حيث كانت تكثر به الأغنام والأبقار والخيول، أما اقليم الواحات الصحراوية، فمناخه صحراوى عديم الأمطار ويشتهر بزراعة النخيل، ويعتمد هذا الإقليم اعماداً كلياً على المياه الجوفية الغزيرة التى تكفى لزراعة الحبوب وتربية الحيوانات(٢) وعلى ذلك اختلفت حرف السكان وتنوعت من منطقة إلى أخرى.

---

(١) ابراهيم زرقانه : **جغرافية الوطن العربى** – المملكة الليبية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٤٤–٥٩ .

(٢) عبد العزيز طريح : **جغرافية ليبيا**، القاهرة ١٩٧٠، ص ١١٤–١١٥ .

أما **حرفة الصيد**، فيمكن القول أن ليبيا تعتبر معرضاً متنوعاً للحيوانات البرية، حيث توجد هذه الحيوانات بكثرة على طول الحدود الشمالية للصحراء الليبية، وطبيعي أن تعتبر حرفة الصيد من عناصر الحياة الاقتصادية للقبائل الليبية، وفى نص يرجع تاريخه إلى عهد «تحتمس الأول» وصف الليبيين بأنهم حملة جلود، وذلك لكثرة استعمالهم لجلود الحيوانات التى يصطادونها، كما صورت الآثار المصرية الليبيين وهم يرتدون الجلود ملابس لهم، كما أن الملكة «حتشبسوت» حصلت على عدد من جلود الفهود من قبيلة التحنو طول الواحد منها خمسة أذرع وعرضه أربعة [1] ومن النقوش المصرية أيضاً نتبين أن التحنو والليبو كانو يضعون فوق رءوسهم ريشة من ريش النعام كحلية شخصية، وقد دفعهم ذلك بالطبع إلى اصطياد النعام باستمرار، هذا إن لم يكونوا قد حاولوا استئناسه، كما أن بعض الصور والرسوم الصحراوية تظهر لنا كثرة تنوع الحيوانات التى كانت موجودة فى الفترة التى نحن بصددها والأسلوب المتبع فى اصطيادها والأدوات المستخدمة فى ذلك، فتظهر بعض الرسوم الصيادين فى جماعات منتظمة يعملون على صيد الحيوانات بالشباك أو بالأسلحة البسيطة كالهراوات التى يثبتون فى أطرافها رءوس حراب حجرية، أو يستخدمون النبال والرماح، وتُظهر رسوم أخرى بعض الصيادين وهم يرتدون ملابس جلدية ويلبسون أقنعة من رؤوس الحيوانات كالغزلان وحمار الوحشى والذئاب والفهود وتمكنهم من خداع الحيوانات التى يريدون اصطيادها، وتُظهر رسوم أخرى صيادى الزراف والنعام [2] ومن الطبيعى أن هذه

(١) Bates, Op. Cit., p. 193 B.A.R., II, § 225

(٢) هنرى لوت: **لوحات تاسيلى– قصة كهوف الصحراء الكبرى**، ط ١، ترجمة أنيس زكى حسن، بيروت، ١٩٦٧، أشكال ٢٤، ٣١، ٤٢، ٤٤، ٥٩، ٦٨ .

مورى: **تادرارت اكاكوس – الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ**، ترجمة عمر البارونى وفؤاد الكعبازى، ليبيا، ١٩٨٨، أشكال: ٨١، ٩٥، ٩٨، ١٠٢ .

الرسوم مرتبطة بالبيئة التى كان يعيش فيها الرسام، وأن الحيوانات كانت من أهم الأشياء فى حياة انسان الصحراء.

وأشار « سترابون» إلى أن السكان المجاورين لخليج سرت كانوا يمارسون صيد السمك حيث يساعدهم عليه عامل المد والجذر[١] وأشار «هيردوت» إلى أن قبيلة النسأمونيس كانت تصطاد الجراد الذى يجفف فى الشمس ويطحن ثم ينثر على اللبن ويُشرب[٢].

وهكذا يتضح أن الصيد كان من أهم الحرف التى مارسها الليبيون ويعتبر مصدراً كبيراً من مصادر رزقهم وكسائهم.

أما عن **الرعى** فتشير النصوص إلى الأعداد الكبيرة من الحيوانات المستأنسة التى كان المصريون يستولون عليها من الليبيين وقت الحرب ويستوردونها منهم فى أكبر الظن وقت السلم، ومن ذلك استيلاء الملك «سنفرو» على ١٣١٠٠ رأس ماشية من الليبيين وقد خلدت ذكرى هذه المعركة على حجر بالرمو[٣].

وفيما ورد من أخبار مصورة على بقايا جدران المعبد الجنائزى للملك «ساحو رع» أنه غنم اعداداً كبيرة من الثيران والغنم والبقر والحمير والماعز، وفى عهد «امنحتب» الثالث يظهر الماشواش الذين دخلوا مصر فى خدمة الملك، رعاة لما كان يستورد من ليبيا من ماشية كانت تربى فى مصر ويستخرج منها الدهن، وكذلك استولى «مرنبتاح» أثناء غزوه للمناطق

---

(١) Strabo, XVII, 17

(٢) هيردوت: ٤: ١٧٢

(٣) **Urkunden**, 1, 235 - 249
B.A.R., 1,§ 146

الليبية على ١٣٠٨ رأساً من الماشية[١] ومن عهد «رمسيس» الثالث تشير بردية «هاريس» إلى أن هذا الفرعون استولى على أعداد كبيرة من الماشية من جيرانه الليبيين[٢] أما الخيول فلم تعرف فى ليبيا إلا فى وقت متأخر نسبياً بعد أن تم إدخالها إلى المنطقة من مصر كما قام الليبيون بتربية النحل، وقد أشار هيرودت إلى ذلك وأضاف بأن الصناع المهرة يستطيعون صناعة عسل صناعى أيضاً[٣].

وهكذا نرى أن الليبيين كانوا يعتمدون اعتماداً كبيراً فى حياتهم الاقتصادية على تربية الحيوانات وقد وجهوا اهتمامهم إلى ذلك بعناية فائقة وأظهروا خبرة ودراية فى هذا المجال، وقد ساعدهم على ذلك وفرة المراعى واستاعها وصلاحيتها لتربية أنواع مختلفة وبأعداد كبيرة من هذه الحيوانات.

وقد أتاحت خصوبة التربة ووفرة المياه فى بعض المناطق لليبيين أن يعملوا بالزراعة منذ وقت مبكر، وأول اشارة صريحة إلى الزراعة الليبية تأتي من الأسرة التاسعة عشرة، فقد ورد فى لوحة «اتريب» أن «مرنبتاح» بعد انتصاره على الليبيين أخذ كل عشب يأتي من حقولهم، ولم يعد هناك حقل مزروع، كما نهب ما فى مخازن الرئيس الليبى من حبوب[٤].

وعندما أخذت مصر تعتمد على الجند المرتزقة من القبائل الليبية فى جيشها كان هؤلاء يأخذون أجرهم على هيئة أقطاعات من الأراضى يقومون

(١) Bates, Op. Cit., p. 95
Wainwright, G., "The Meshwash", **J.E.A.**, 48, 1962, pp. 89-99

(٢) أنظر أعلاه ص ٨ حاشية ١

(٣) هيردوت ٤ -١٨٣

(٤) Wilson, J., **A.N.E.T.**, pp. 376-378
Bates, Op. Cit., p. 95

بزراعتها، وفي هذا دليل كافٍ على إنهم كانوا يعرفون الزراعة ويقومون بها، وقد ذكر هيرودوت خصوبة منطقة نهر «كينوبس» (وادى كعام) الذى أقيمت عليه مدينة «لبدة» ومنطقة «يوسبريدس»، وتعتبر الأولى من أخصب المناطق التى تزرع قمحاً فى العالم إذ تغل محصولاً يماثل بذره ثلاثمائة مرة، وتغل الثانية محصولاً يماثل بذره مائة مرة فى السنوات الخصبة(١) وقد أشار «ديودور» إلى أن بعض القبائل الليبية كانت تمتلك أرضاً تزرعها وأن الإقليم المجاور لـ «قوريني» (برقة) يتميز بتربة خصبة حيث ينتج محاصيل متنوعة كالحنطة والكروم والزيتون(٢).

وعلى ذلك يتضح أن القبائل حاولت استغلال الأراضى الصالحة للزراعة داخل إقليمها قدر استطاعتها وزرعت ما تحتاج إليه من محاصيل كالقمح والشعير والزيتون والكروم والنخيل، وتشكل الزراعة أحد الدعائم الرئيسية لاقتصادها.

أما التجارة فقد كان لموقع ليبيا أثر كبير فى السيطرة على الطرق التجارية سواء منها مايربط بين البحر المتوسط وأواسط أفريقيا وخاصة مع السودان وتشاد أو تلك التي تربط شرق القارة وغربها، وقد عرف الليبيون التجارة منذ وقت مبكر، وقد عثر فى مصر على بقايا أثرية لا تأتى إلا من وسط القارة مثل قطعة مقوسة من أنياب العاج والتى وجدت فى المعبد العتيق فى «نخن» فترة بداية الأسرات (٣) كما ورد فى نصوص الملكة حتشبسوت أنها حصلت من قبيلة التحنو على عاج وسبعمائة سن فيل ومن الصعب الحصول على هذه الأشياء من أى مكان آخر عدا السودان

---

(١) هيرودوت ٤: ١٩٨

(٢) Diodorus, III, 49 - 50.

(٣) عبد العزيز صالح: **حضارة مصر القديمة**، ص ٢١٦ .

وتشاد[1] وكان من بين الغنائم التى استولى عليها «مرنبتاح» من الليبيين أوانى فضية وكؤوس شراب من الفضة وتروساً وسكاكين بلغ عددها ٣١٧٤ قطعة، كما أن هذا الملك غنم من الماشواش سيوفاً من البرونز عددها ٩١١١ سيفاً، وقد أشير إلى سيوف الماشواش أيضاً فى غنائم «رمسيس» الثالث وقد لفت نظر المصريين فى هذه السيوف طولها غير العادى الذى يبلغ من ثلاثة إلى أربعة أذرع[2].

ومما تجدر ملاحظته أن المصادر التاريخية لم تشر إلى وجود المعادن فى ليبيا مما يرجح حصول الليبيين على هذه الأشياء من أماكن أخرى ربما من أوربا، وكان ذلك عن طريق التبادل التجارى، حيث كانت هذه القبائل تصدر إليها بعض المنتجات الزراعية والحيوانية، وتستورد فى مقابل ذلك المعادن، ومن المرجح أن جزيرة «بلاتيا» كانت مركزاً تجارياً تقصده القبائل الليبية المقيمة فى داخل برقة[3].

ونظراً لأهمية هذه المنطقة من الناحية التجارية، فقد أسس القرطاچيون مراكز تجارية على طول خليج سرت[4] تنتهى عندها القوافل التى تحمل

(١) Urkunden, IV, 373.
B.A.R., II, 225
Bates, Op. Cit., p. 101

(٢) Wainwright, J.E.A., 48, p. 95.
B.A.R., III, § 250.

(٣) Boardman, J., The Greeks Over Seas, London, Penguin Books, 1964, p. 170.

(٤) لايمكن تحديد تاريخ تأسيس كل المستوطنات الفينيقية فى شمال أفريقيا، إلا أنه من المتفق عليه أن قرطاچة كانت أولى المدن الفينيقية فى شمال إفريقيا ثم تلى ذلك تأسيس المراكز التجارية الأخرى مثل «لبدة» و «أويا» (طرابلس الحالية) ثم «صبراته» وغيرها بالإضافة إلى هذه المدن الرئيسية وجدت مراكز أخرى صغيرة تربط بين تلك المدن مثل «أساريا» (قرية سعيداً والمايا» و «فاكس» وهى واحة بين الزاوية والمايا، ثم «كاراكس» ثم «يوفرانتا» إذا علمنا أنه اتفق على تأسيس قرطاچة فى الربع الأخير من القرن التاسع ق. م. يمكن القول أن هذه المدن والمراكز قد تلك ذلك ربما فى القرن السابع أو السادس. عن مناقشة ذلك انظر

أبو المحاسن عصفور: **المدن الفينيقية**، بيروت، ١٩٨١، ص ٦٣-٦٨ .

أحمد محمد منيشة: **التاريخ السياسى والاقتصادى للمدن الثلاث**، بنغازى، ١٩٩٣، ص ٣٣-٣٨ .

منتجات أفريقيا وترسو بها السفن التى تنقل منتجات أوربا حيث يتم التبادل التجارى، وكانت المنتجات الأفريقية تأتى عن طريق ليبيا إلى أسواق أوربا، وكان من أشهر هذه المنتجات العاج، حيث عثر فى كريت على أختام وتمثال لقرد، ثم الصوف والجلود والأخشاب وعلى رأسها الأبنوس الذى كان يأتى من أثيوبيا، والأصباغ وريش النعام وبيضه الذى يعثر عليه بعد الحين والآخر فى قبور الانزوسكيين فى إيطاليا، والزيت والحبوب والملح والصمغ والذهب الذى يأتى عن طريق الجرامنت، هذا بالإضافة إلى تجارة العبيد التى كانت رائجة فى هذه الفترة(١).

أما الواردات فكان أهمها الأسلحة والأدوات المعدنية والأوانى الفضية والأقمشة والخزف والزجاج والفخار (٢)وسائر ما احتاج إليه الليبيون ورغبوا فيه ولم يتمكنوا من صنعه وكان الليبيون يلعبون دوراً كبيراً فى هذه التجارة مع الأفريقيين من جهة ومع القرطاچيين من جهة أخرى، ويتولون قيادة القوافل التجارية ويسيطرون سيطرة تامة على الطرق الصحراوية، وأهم هذه الطرق التجارية، الطريق الساحلى من مصر حتى يوسيريدس (بنغازى) والطريق المتجهة من طيبة (الأقصر) بمصر العليا إلى واحة الخارجة فالداخلة فالفرافرة فالبحرية فسيوه فالجغبوب، ومن هناك يتفرع الطريق إلى أوجله ثم سرت إلى فزان، وهناك طريق يتجه جنوباً من أوجله إلى الكفره ومنها إلى دارفور، وطريق من طرابلس إلى فزان ثم تشاد، وكانت البضائع تنتقل على ظهر الثيران أو العربات التى يجرها الثيران، وقد عثر على بعض الرسوم الصخرية التى تصور ذلك(٣).

---

(١) Bovill, E.W., **The Golden Trade of The Moors**, London, 1968, pp. 18-22.

(٢) Bates, Op. Cit., p. 103.

(٣) Bates, Op. Cit., p. 107.

ثانياً : الشمال الإفريقى وشعوب البحر

يعتبر عصر الدولة الحديثة من أهم الفترات التى خلفت لنا من المصادر المكتوبة والمصورة ما يلقى أكبر قدر من الضوء على التاريخ الليبى قبل هيردوت، ذلك أن عصر الدولة الحديثة قدر له أن يعاصر ويعانى تحركات الهجرات الضخمة التى تسببت عن ضغط أقوام هندو- أوربية من البلقان والبحر الأسود على السكان السابقين لإغريق العصر الكلاسيكى فى جزر سواحل البحر المتوسط، إذبنداية القرن الرابع عشر ق. م. سقطت كريت فى أيدى الآخيين، واتجه هؤلاء يبحثون عن موطن جديد، ولكن لم تلبث هجرات هندو - أوربية جديدة وعنيفة ان وفدت على شرق البحر المتوسط ودفعت أمامها السكان مما سبب عصراً من «الإزاحة السكانية» - ان صح هذا التعبير- شعروا بوقعها بعنف فى الشرق الأدنى القديم وفى آسيا الصغرى، وجزر بحر إيجه وبلاد اليونان، وقد أطلق المصريون على هذه القبائل الوافدة اسم «شعوب البحر[1]».

ابان هذه الفترة اشتدت غارات الليبيين على مصر حيث بدأوا فى الهجمات ضد المصريين بجراءة، وجاء أول هجوم خطير من الغرب فى بداية عهد الملك «ستى» الأول، والمعلومات المتوفرة عن هذا الهجوم أمدتنا بها الصور المنقوشة على أحد جدران معبد الكرنك حيث أشير فى تلك النقوش إلى هؤلاء المهاجمين باسمهم القديم «التحنو» ولعل المقصود هنا أقوام «الماشواش» التى سنراها فيما بعد تشكل السواد الأعظم من

(١) عن الاضطرابات فى شرق البحر المتوسط وشعوب البحر انظر:
Barnett, R.D.," The Sea People", **C.A.H'**., 2A, 1980, pp. 359-371
Albright, W. F., " The Sea People in Palestine", **C.A.H'**., 2A, 1980, pp. 507-515.
Wainwrigh, G.A., "Some Sea Peoples and Other in the Hittite Archives" **J.E.A.**, 25, 1939 pp. 148-152.

الحملات الليبية اللاحقة ضد مصر(١) أما في عهد «رمسيس» الثاني فقد اضطر هو الآخر للتصدى للمحاولات الليبية في الدخول إلى مصر، حيث تشير النقوش إلتي زينت مسلاته المكتشفة في تانيس إلى ضم وحدات عسكرية من الليبيين إلى الجيش المصرى، وفي هذا دليل على أن هذا الفرعون هو الذى وضع اللبنات الأولى للسياسة التي سيسير على هديها خلفاؤه والمتمثلة في إبعاد خطر هؤلاء الليبيين عن طريق الاستنجاد بهم بالرغم من إنهم مبعث الخطر أصلاً، وعلاوة على ذلك نجد أن «رمسيس» الثاني ينشئ سلسلة من الاستحكامات تمتد على طول الساحل المصرى المطل على البحر المتوسط غربى الدلتا حتى العلمين الحالية، بل وفي أماكن أبعد من ذلك غرباً، وهناك نص في وادى السبوع بمنطقة النوبة مؤرخ بالسنة الرابعة والأربعين من عهد «رمسيس» الثاني يشير إلى أسرى التحنو المستخدمين في بناء المعبد هناك(٢).

وهكذا نرى تصميم فرعون مصر على وضع منطقة «مراقية» البطنان وقوريني (برقه) تحتالمراقبة العسكرية من عدة نقاط مبثوثة على طول الساحل وكانت هذه الاستحكامات كافية لاتقاء مخاطر جيرانه الليبيين فترة حكمه، إلا أن فترة الراحة الطويلة التي منحها «رمسيس» لنفسه قرب نهاية حكمه لم تكن تتفق والتحركات التي تجري فيما وراء الحدود الغربية لمصر، ومن هنا تجددت المحاولات الليبية للنزوح إلى مصر، حيث ظلوا يتدفقون نحو غرب الدلتا، وزاد من خطرهم انضمام شعوب البحر إليهم،

(١) El- Mosauamy, Op. Cit., pp. 39-40.

(٢) Faulkner, R.O., "Egypt from Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III", **C.A.H.**, 2A, 1980, pp. 229-230.

Row, A., "A History of Ancient Cyrenaica", **A.S.A.E.**, Cahier No. 12, 1948,p. 4

Habachi, **B.I.F.A.** O., 80, pp. 13-30; **P.M.**, VII, 368-369.

جاردنر: مصر الفراعنة، ص ٢٩٨ .

وهكذا يبدو أن أخريات أيام رمسيس الثانى الهادئة قد أعطت قبائل الليبو الفرصة لإخضاع الماشواش والحصول على تأييد بعض شعوب البحر وتدمير القلاع والحصون والاندفاع بقواتهم صوب الواحات الشمالية[1].

وترجع أسباب هذا الزحف من وجهة نظر بعض المؤرخين[2] إلى عدة أسباب، منها زوال شخصية «رمسيس» الثانى ذات الشهرة الحربية، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية حيث أن ليبيا بلد فقير لم يكن فيما مضى يقوم بأود سكانه الأصليين، ولهذا كان السكان المهاجرون لمصر خلال كل العهود دائمى الرغبة فى أن يتركوا حياة الصحراء ويتمتعوا بالأمن والراحة على حدود وادى النيل، وإن كان الدارس يرى أن هذا سبب غير منطقى بهذ الصورة، حيث أنه من المعروف أن المناطق الشرقية من ليبيا غنية بمحصولاتها وحيواناتها - ولاتزال - بدليل ما كان يذكره الفراعنة من الغنائم الكثيرة التى يحصلون عليها من حملاتهم ضد الليبيين، فهل من المنطق الحصول على هذه الغنائم من مناطق صحراوية فقيرة، بالإضافة إلى أن غنى هذه المناطق سيكون من أسباب اندفاع الإغريق لاحتلال الإقليم الشرقي من ليبيا خاصة إقليم قورينائية - وعلى ذلك يجب البحث عن أسباب أخري لنزوح الليبيين ألى مصر.

ويفسر «نلسون» العوامل الاقتصادية فى هذه التحركات تفسيراً ربما يكون مقبولاً، حيث يرى أن شعوب البحر حين اخضعوا كريت أصبحوا الخلفاء الطبيعيين للتجارة البحرية الكريتية، ومن المحتمل أنه فى تلك الفترة كانت التجارة البحرية المصرية قد أصابها الخمول، من هنا كان الصراع

---

(١) يويوت: **مصر الفرعونية**، ص ١٣٩ .

(٢) Wilson, J., "The Libyans and the End of the Egyptian Empire", **A.J.S.I.**, II, 1935, p. 35

بين شعوب البحر ومصر من أجل تجارة البحر المتوسط، وربما كان ذلك هو السبب الذى جعلهم ينضمون لليبيين ضد مصر فى هذه الحرب[1].

من هنا نرى أن شعوب البحر كانوا يعرفون دوافع الليبيين فى محاولة النزوح إلى مصر أو أن هؤلاء كانوا بالفعل مستقرين فى غرب الدلتا.

على أية حال مأن انقضت خمس سنوات على اعتلاء «مرنبتاح» عرش مصر حتى تعرضت البلاد لهجمة ليبية خطيرة، حيث تمكن «ماراىً» بن ديد أمير الليبو أن يجمع بين الحلفاء من جنسه «قهق وماشواش» إلى خمسة من شعوب البحر هم إيقواشا والتورشا واللوكا والتشردن والشكلش وأن يأخذ معه كل محارب حسن وكل رجل قتال فى قبيلته وقد أحضر معه زوجه وأطفال[2] وكذلك فعل خلفاؤه إذ جاءوا بنسائهم وأطفالهم، كما جاءوا بالماشية والأسلحة، ومع ذلك فإن الحاجة هى التى دفعت بهم إلى هذه المغامرة، وتصورهم نقوش الكرنك بأنهم «.... كالديدان لا يهتمون بأجسامهم، بل كانوا يحبون الموت ويحتقرون الحياة وقلوبهم متعالية على أهل مصر... رؤساؤهم ، لقد أتوا إلى أرض مصر سعياً وراء الطعام الذى يسدون به أفواههم [3]على أية حال تمكن الفرعون «مرنبتاح» من الانتصار على الليبيين عند حقول «البر- ار» الواقعة شمال غرب منف، وتمكن «ماراى» بن ديد من الهرب[4].

إن ارتداد الليبيين أمام «مرنبتاح» لم يمنعهم من إعادة الكرة ومحاولة العودة إلى مصر بعد ذلك بحوالى ثلاثين عاماً، فكان على «رمسيس» الثالث

---

(١) Ibid, p. 75.
(٢) **B.A.R.**, III, § 579.
(٢) **B.A.R.**, III, §§ 569-592.
(٤) Bates, Op. Cit., p. 60.

أن يرد حملتين قويتين نقرأ فى الأولى منها أسماء الليبو والسبد والماشواش يعاضدهم شعوب البحر، وفى حربه الثانية كان الماشواش هم العنصر الغالب ومعهم أسماء كثير من القبائل والبطون منهم الليبو والأسبت والقايقس والهسا والبقن، والواقع إن تهديد شعوب البحر فى عهد «رمسيس» الثالث لم يقتصر على تحالفهم مع القبائل الليبية فحسب، وإنما تحالفت أقوام كثيرة أخري منهم للإقامة بصفة دائمة لابمصر وحدها وإنما بسوريا وفلسطين أيضاً، وقد أحضروا معهم نسائهم وأطفالهم وما يملكون فى عربات تجرها الثيران وهاجموا مصر فى السنة الثامنة من حكم «رمسيس» الثالث من الشمال عن طريق البحر ومن الشرق عن طريق فلسطن، وكان من هذه الأقوام البلست والثكر والشكلش والدانونا والوشش والشردن، وقد تمكن رمسيس الثالث من رد هذا الخطر، وإن نجحت بعض هذه الأقوام فى الإقامة بصفة دائمة فى الشرق الأدنى(١).

الحقيقة أن هناك مسألة يجب مناقشتها بشئ من التفصيل، وهى كيف تم التحالف بين شعوب البحر وبين الليبيين؟

انقسم المؤرخون حيال هذه المسألة إلى اتجاهين، الأول يرى أن هذا التحالف قد تم على الأرض الليبية، حيث إن شعوب البحر حين فكرت فى الاتجاه جنوباً، كان الشاطئ الأفريقى عند برقة أقرب إليهم من أى نقطة أخرى، من هنا نشأت علاقات ودية بين ليبو برقة وشعوب البحر، وكانت السيطرة على تجارة البحر المتوسط هى السبب الذى جعل هذه الشعوب

---

(١) Edgerton, W.F., and Wilson, J., **Historical Records of Ramesses III**, Chicago, 1936, pp. 35--38.

Nelson, H., "The Naval Battle Pictured at Medinet Habu", **J.N.E.S.**, 2, 1943, pp. 40-55; Faulkner, **C.A.H'**., pp. 244-247

تتحالف مع الليبيين ضد مصر، وكانت الزعامة فى هذا التحالف لليبيين دائماً، وهذا يعنى أن القبائل الليبية كانت قوية ومتحضرة مما سمح بأن يدين لها بالزعامة أصحاب الحضارة الإيجية السابقة للحضارة الإغريقية الكلاسيكية[1].

أما الاتجاه الثانى فيرى أصحابه أن الفراعنة قد اصطدموا بجيوش شعوب البحر هذه إما فى فلسطين وإما على ساحل دلتا النيل، وهذا يعنى أن تحالف شعوب البحر مع الليبيين قد تم داخل الأراضى المصرية، وتعليل ذلك أن الملك «مرنبتاح» قد قاد بنفسه - حوالى نفس الفترة التى كان يحارب فيها ضد ليبيا وهذا مافعله رمسيس الثالث أيضاً حملة أو عدة حملات ضد شعوب البحر فى فلسطين، وعلى ذلك فمن المستحيل القول بأن هذه الأقوام قد هاجمت مصر من الغرب مع الليبيين، لأن ساحل مراقبه (البطنان) القورينائى، شبه القاحل لا يكفى لإغراء هذه الأقوام الغازية بتجشيم أنفسها عناء عبور البحر بمراكبها لمجرد الحصول على غنائم لا تعدو بضعة قطعان من الماشية وبعض الأسرى الليبيين، ثم أن جزيرة «فاروس» المواجهة لدلتا النيل قد اتخذت كمرسى لمراكب أولئك الغزاة[2] ولو كانت شعوب البحر قد استقرت فى ليبيا لكان لها الزعامة فى هذا التحالف

(١) فوزى جاد الله : «مسائل في مصادر التاريخ الليبى قبل هيردوت» ، **ليبيا فى التاريخ**، بنغازى، ١٩٦٨، ص ٦٨ .

Wilson, J., A.J.S.L., p. 75.

(٢) قامت بعثة جامعة بنسلفانيا فى عام ١٩٦٣ بالتنقيب عن آثار الليبيين فى عصر البرونز الذين سكنوا برقة معاصرين لمصر القديمة وجاء ذكرهم فى نصوصها فى القرنين الثالث عشر ق. م. واشتركوا في الحروب بين شعوب البحر وبين المصريين، ومحاولة العثور على مواقعهم الساحلية ولكن البعثة لم توفق فى تحقيق أهدافها.

Carte, T.H., In Expedition, The Buletin of the University Museum of the University of Pennsylvania, Spring, 1963.

بصفتها الفريق الأقوى المنتصر الذى استطاع التغلب على القبائل الليبية ويستقر بأرضهم بغض النظر عن مستوى الحضارة الذى لايمكن أن يفرض زعامة فريق مهزوم على فريق منتصر، فالكلمة هنا للقوة وليست للحضارة، كما أن الاستقرار يعنى الإقامة وممارسة الحياة اليومية وبالتالى كان لابد من وجود ما يشير إلى إقامتهم فى هذه المناطق، إلا أنه لم يعثر حتى الآن على أثر إيجابى يشهد بأن شعوب البحر هذه قد قدمت إلى ليبيا واستقرت بها على نحو دائم فى تلك الحقب التاريخية علاوة على ذلك فإن مجريات الأحداث تشير إلى أن هذا التحالف قد تم على الأرض المصرية وكان وليد المصالح المشتركة بين الفريقين، حيث أن قبيلة الليبو قد اجتازت أرض «مارماريكا» متجهة نحو المناطق الغربية من مصر، وتصف نقوش الكرنك[١] هذه المناطق بأنها كانت مكشوفة أمامهم قبل أن يتولى «مرنبتاح» عرش مصر ويبدو من سياق النص أن المهاجرين الليبيين بسطوا سيطرتهم عليها، وبعد هذا التوغل فى الأراضى المصرية ربما وجد هؤلاء الليبيون، حلفاء لهم من الماشواش والقهق الذين كانوا موجودين منذ عهد «رمسيس» الثانى، حيث اننا نستبعد أن يشجع تقدم الليبو فى الأراضى المصرية، بنو جلدتهم على الانضمام إليهم وعمل زعيم الليبو على الاستعانة بهم لتحقيق هدفه فهم أخبر من غيرهم بقتال المصريين وأعرف بمسالك البلاد. ولابد أن نجاح الليبو فى الاستيطان على نحو ما مربنا، شجع أيضاً المرتزقة من شعوب البحر ابان تلك الفترة على التمرد فى نهاية حكم «رمسيس» الثانى حيث أن الملك «مرنبتاح» يؤكد فى حديثه لرجال بلاطة وقوع الغزو الخارجى والثورة الداخلية فى وقت واحد « ... أقوام الأقواس التسعة ينهبون تخومها والثوار يغزونها كل يوم» فلعل المرتزقة فى الجيش المصرى من شعوب

---

(١) B.A.R., III, §§ 572-592.

البحر حاولوا انتزاع شئ لأنفسهم وسط تلك الظروف ولعل تلك الحالة التى آل إليها أمرهم هى التي لفتت انتباه زعيم الليبو لاستمالتهم والاستعانة بهم، وربما كان هذا ما دفع البعض إلى القول بأن المتحالفين مع الليبو كانوا جنوداً مصريين فارين من الخدمة فى الجيوش المصرية قاموا بالانضمام إلى أقوام الليبو والماشواش للقتال معهم ضد القوات المصرية[1].

ابان تلك الفترة تعرضت مصر لهجوم شعوب البحر الزاحفة عن طريق فلسطين[2]معنى ذلك أن هجومهم على مصر، ربما تزامن مع زحف الليبو فوجد كل منهما في الآخر حليفاً له، وبما أن الليبيين كانوا قد استقروا فى مناطق غرب الدلتا« ... لقد نفذوا إلى حقول مصر مرات حتى النهر العظيم، ولقد نزلوا وأمضوا أياماً كاملة وشهوراً قاطنين»[3] فقد كان لهؤلاء اليد العليا وبالتالى كان لأميرهم الزعامة، وحيث أن أناشيد النصر تنقش بعد تحقيقه فذكرت أن زعيم الليبو قد انقض على أقليم التحنو كله ثم ذكرت بعد ذلك الشردانا والشكلش وإيقواشا ولوكا والتورشا من شعوب البحر مما جعل البعض يعتقد بأن الليبيين تقلدوا قيادة هذه الكتل غير المنسجمة من شعوب البحر من ليبيا وهاجموا بها مصر، إلا أن التحالف فى الحقيقة تم داخل الأراضى المصرية.

بعد فشل الليبيين فى دخول مصر عنوة، اتخذ ضغطهم شكلاً آخر، وهو وإن كان أقل ظهوراً للعيان إلا أنه ربما كان أكثرَ فاعلية، وتمثل ذلك فى التغلغل البطئ الذى شجعه تجنيد المصريين للمرتزقة فى جيوشهم، فبعد انتصارات «رمسيس» الثالث واستقرار الأمور فى مصر، كان يستجلب

---

(١) شامو: **الإغريق فى برقة**، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى، بنغازى، ١٩٩٠، ص ٤٣ .

(٢) Naville, E., "Did Menephtah Invadesyria", **J.E.A.**, 2, 1915, pp. 195-201.

(٣) **B.A.R.**, III §.

الأعداد الغفيرة من بدو الغرب الأشداء فينشط بهم جيشه ويتخذ من صفوفهم حرسه الخاص، وبالتدريج أصبح الجيش المصرى مع نهاية الأسرة العشرين فى أغلبه يتألف من جند المرتزقة ذوى العناصر الليبية، وقد استقر هؤلاء فى واحات الصحراء الغربية خاصة الداخلة والبحرية فضلاً عن الوادى نفسه كما استقرت جماعات منهم فى أهناسيا، وتمركز بعضهم فى «تل بسطه»، وهكذا أخذ هؤلاء ينشطون فى وادى النيل جاليات عسكرية يرأس كل منها زعيم ليبى يحمل لقب كبير الـ «ما» أى زعيم الماشواش، ويبدو أن هذه الجاليات قد احتفظت بليبيتها عبر الأجيال ومع ذلك فإن هذه العناصر الليبية قد تشربت مقومات الحضارة المصرية واندمجت فى ثقافتها وساعد انحطاط السلطة المركزية فى مصر هؤلاء الزعماء الليبيين على تأسيس أسر حاكمة حقيقية داخل مصر، وانتهى الأمر بأحد زعماء هذه الأسر الليبية التى نزحت إلى الفيوم بأن اعتلى عرش الفراعنة ونعنى به «شاشانق» مؤسس الأسرة الثانية والعشرون[١].

---

(١) Cerny, C.A.II., pp. 616-619, Gardiner, **A.E.O.**, I, 120*.

Kitchen, Third Intermediate, pp. 105-108.

عبد العزيز صالح: **مصر والعراق**، ص ٢٨٠ .

محمد الطاهر الجيرارى: «شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة» **مجلة البحوث التاريخية**، جـ ٢، مركز الجهاد الليبى، ١٩٨١ .

الفصل الثالث

الشمال الإفريقى فى عصر الأسرة السادسة والعشرون

أولاً: مصر

أ- الأحوال الداخلية

١ -ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرون

٢- السياسة الداخلية لملوك الأسرة

ثانياً: ليبيا

أ- الأحوال الداخلية

١ -الاستعمار الإغريقى فى ليبيا

دوافعه - نتائجه

ثالثاً: مصر وليبيا

أ- بسماتيك (الأول والثانى)

ب- ابريس وامازيس

الشمال الإفريقى فى عصر الأسرة السادسة والعشرين

تمهيد

تبوأت مصر خلال عصر النهضة الصاوى مكاناً مرموقاً فى المجتمع العالمى، والمقصود بالعصر الصاوى هو الإشارة إلى النظام والثقافة اللذين سادا خلال عهود الملوك من بسماتيك الأول المؤسس الحقيقى للأسرة السادسة والعشرون حتى عهد «بسماتيك» الثالث آخر ملوك الأسرة، إلا أن هذه النهضة كان لها من المقدمات والعوامل ما ساعدها على الوصول إلى هذه المرحلة، فمنذ ان قام زعماء الليبو والماشواش خلال الحكم الليبى المضطرب فى القرن الثامن ق.م. بتوحيد الأقاليم التى تقع غرب الدلتا حول مدينة «سايس» بينما ظلت المناطق الأخري من البلاد مقسمة، ولا شك أن تلك الأراضى المترامية الأطراف والملتحمة المتاخمة لليبيا والبحر المتوسط كانت قادرة على اجتذاب الدعم الأجنبى (الليبى ثم الإغريقى) كما كانت معقلاً أمام هجمات الغزاة سواء النوبيين أو الأشوريين، ومنذ حكم الأسرة الرابعة والعشرين (تف نخت - وباك ن رنف) (بوخوريس) ثم خلال حكم أمراء سايس (نخاو با - نخاو الأول) قامت هذه المملكة بعرقلة اعتداءات النوبيين بل ومنازعتهم فى حكم مصر، ثم قام «بسماتيك» الأول ابن «نخاو» الأول بخوض صراع شديد مع الكوشيين ثم الآشوريين ونجح فى إعادة توحيد مصر، وبعد أن كان حكام سايس مجرد أمراء محليين أصبحوا هم ملوك الأسرة القومية الوحيدة.

---

(١) «سايس» هى صا الحجر الحالية، والتى ذكرتها النصوص القديمة باسم «ساو» واشتهرت لدى الإغريق باسم سايس، وهى تقع على الضفة الشرقية لفرع رشيد شمال صا الحجر الحديثة على بعد ٧ كم شمال غرب بسيون (محافظة الغربية)، وكان إقليم «ساو» يسمى فى المصرية القديمة (نت محيت) تمييزاً له عن الإقليم الرابع الذى يقع جنوبه ويسمى (نت رس) أى إقليم نت الجنوبى والذى كان تابعاً له فى عصر ما قبل التاريخ انظر:

Gardiner, A.E.O., II, 198*.

أولاً : مصـــــــر

أ- الأحوال الداخلية

١ - ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرين

في بداية الأمر يمكن القول إن الأشوريين كان لهم الفضل الأول (دون عمد) في قيام الأسرة السادسة والعشرين، حيث كانوا المعول الذي حطم العقبة الكبرى (الكوشيين) التي حالت دون قيام هذه الأسرة منذ عهد «تف نخت».

اعتمد الآشوريين في إدارتهم لشئون مصر بعد احتلالها على يد «اسرحدون» على تعاون عملائهم من أبناء الوطن المحتل، فكان ذلك دافعاً لأن يغير هؤلاء الأعوان موقفهم بمجرد عودة الآشوريين إلى بلادهم «.. أبعدت جميع الكوشيين إلى خارج البلاد ولم ابقِ على واحد منهم ليقدم لي فروض الولاء والطاعة، وحل محلهم في جميع ربوع مصر ملوك وحكام وضباط ومراقبوا موانى وموظفون وإداريون جدد .. »[1] إلا أنه بعد رحيل «اسرحدون» تمكن «طرقا» من استرداد «منف» بعد طرد الحامية الآشورية منها، مما اضطر «آشور بنيبال» (الذي خلف اباه على عرش نينوى) إلى إرسال حملة عسكرية عام ٦٦٦ ق.م. هزمت «طهرقا» وهنا استقر رأى الملك الآشورى على مطاردته، فعزز قواته بفرق عسكرية من فينيقيا وقبرص وسوريا بالإضافة إلى الوحدات التي أرسلتها ممالك الدلتا، وتوغل الآشوريون في أقاصي صعيد مصر، وسيطروا على الوجه القبلي وامتد سلطانهم على الأرجح إلى أسوان، بعد ذلك قام الملك الآشوري باستبعاد بعض العناصر المصرية التي لم يرتح إليها وولى من يثق فيه من الأمراء

(١) Oppenheim, L., A.N.E.T., 1969, p. 294

على مختلف أقاليم مصر ثم عاد إلى بلاده، وكما حدث فى المرة السابقة حاول بعض الأمراء استدعاء طهرقا لمحاربة الآشوريين، إلا أن الحامية الآشورية كشفت تدبيرهم فقضت على رسلهم وسيق قادة التمرد إلى نينوى حيث لاقوا حتفهم، ولم يمنح آشور بنيبال أياً منهم حياته إلا نكاو الأول أمير «سايس» فثبته فى مملكته ربما باعتباره وريث الأسرة الرابعة والعشرين وسليل أكبر بيت منافس لبيت طهرقا، كما منح ابنه «بسماتيك» امارة اتريب (بنها) ربما للاستعانة بهما وبكفاءتهما فى خدمته[1].

حوالى عام ٦٦٤ ق.م. توفى «طهرقا» فى نباتا بعد أن أشرك معه فى الحكم خلال السنة الأخيرة ابن عمه «تانوت آمون» الذى قرر أن يسترد مصر، فقام بحملة هى صورة من حملة الملك «بي (عنخى) وحققت حملته هو الآخر نجاحاً حيث قتل «نكاو» الأول أثناء المعارك وتوافد زعماء الدلتا يعلنون استسلامهم وأنابوا عنهم «باخرورى» أمير «بى سويد» (صفط الحنة) لتقديم فروض الولاء والطاعة «.... نهض قائد مسكن سويد الأمير باخرورى قائلا: يمكن أن تقتل من تريد وتبقى على حياة من تريد دون أن يشكك أحداً فى عدالتك عندئذ رد الجميع فى صوت واحد امنحنا الحياة ياسيد الحياة، فلا حياة بدونك، سنخضع لك صاغرين وكما قررته منذ اليوم الأول يوم توجت ملكاً[2] إلا أن نصر «تانوت آمون» كان قصير الأجل، فمرة أخرى أرسل «آشور بنيبال» جيوشه إلى مصر عام ٦٦٠ ق.م. تقريباً وأعاد الاستيلاء على منف وانسحب «تانوت آمون» إلى طيبة ثم إلى نباتا بعد أن

---

(١) عبد العزيز صالح : **مصر والعراق**، ص ٢٩٨ .

Hall, H. R., "Egypt Under the Aliens; **C.A.H**[*]., 2 1975, p. 285
Kitche, Third Intermediate, pp. 392-393.

(٢) لوحة الحلم وعنها انظر: جاردنر: مصر الفراعنة، ص ٣٧٨ - ٣٧٩
B.A.R., IV, §§ 932-933
Kitchen, **Third Intermediate**, pp. 392-393.

اجتاح الآشوريون عاصمة آمون ونهبوها وأشعلوا النار فيها وسطوا على الكنوز التى تراكمت فى المعابد على امتداد قرون طويلة، وبذلك وضع حداً للسيطرة الكوشية التى كانت أسمية فقط منذ الغزوة الآشورية الأولى حيث كان عمدة طيبة و «شين وبه» الزوجة الإلهية لآمون يحكمان طيبه لحسابهما الخاص وأن تضامنهما مع نباتا كان ضعيفاً، ثم كان نهب طيبة وسلبها نذيراً بانتهاء عالم بأسره حيث انهارت أسطورة حرمة معابد فرعون تحت ضربات الآشوريين، وبموت «تانوت آمون» فى نباتا انتهت الفوضة السياسية التى كانت مختفية وراء السلطة النوبية الوهمية والتى تمحورت حول مراكز ثلاث هى نباتا وطيبة ومنف[1].

وعلى ذلك استعاد الآشوريون التقسيمات السياسية السابقة على الغزو الكوشى، واكتفوا احيانا بتغيير الحكومات القائمة، وتصدرت «سايس» ممالك الدلتا، وكانت تشمل المناطق التى حازتها المملكة فى عهد «تف - نخت» بالإضافة إلى إمارة أتريب، وظلت دوائر الاستيطان الليبية القديمة فى أيدى أحفاد أعداء بيـ «عنخى» القدامى من سبنتيوس (سمنود) إلى بى سويد، واستمرت مملكة تانيس قائمة تحت زعامة «بادى باست» الثانى.

٢ - السياسة الداخلية لملوك الأسرة

كان بسماتيك الأول أكبر المستفيدين من الفراغ السياسى الذى تركه اختفاء «تانوت آمون» وريث الأسرة الخامسة والعشرين وقد استغل هذا الوضع الاضطرارى لإقامة أسرة حاكمة جديدة وإعادة استقرار مصر، وفى سبيل تحقيق ذلك عمل على تجميع السلطة الداخلية فى يده على غفلة من الآشوريين، وعلى حساب منافسيه من الأمراء الذين عاشوا فى نظام

---

(١) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٣٨٠ .
Vonzeissi, H., **Athiopen Und Assyrenin Egypten**, 1944, pp. 39-40.

أقطاعى شجعه الآشوريون للأبقاء على تمزيق السلطة بينهم[1] كما كان عليه أن يتغلب على أطماع كهنة آمون رع فى طيبة، بالإضافة إلى التغلب على الضعف العسكرى والاقتصادى فى سبيل تحقيق ذلك اتبع «بسماتيك» سياسة التهديد والترغيب، فمنذ البداية اعترف به الآشوريون بصفته الملك الوحيد المتربع على عرش مصر وعهدوا إليه بإدارة البلاد شريطة أن يحول دون حدوث أية ثورة داخلية، ولم تكن مهمته سهلة ميسورة فقد استطاع أن يسيطر على غرب الدلتا بأكمله وعلى مملكتى «أتريب» و «هليوبوليس» إلا أن امارتين فقط من أمارات زعماء الما القديمة الواقعتين فى وسط الدلتا لم تعترفا بحكمه وهما «سبنتيوس» (سمنود) و «بوزيريس» ففى الأولى كان «أكناش» الثانى أميراً حاكماً وكاهناً للإله «اونوريس – شو» وزعيماً لـ «ما» وقائداً للجيش، وفى الثانية كان «بماى» خلف «شاشانق» الخامس أميراً حاكماً وكاهنناً «لأوزير» وزعيماً لـ «ما» وقائداً للجيش، إلا أن الأمارتين عجزتا عن الصمود طويلاً نظراً لتجاورهمار ولمجاورتهما لملكة «بسماتيك»،

أما فى «تانيس » فإن «بدو باست» وربما «نفر كا رع» كانا يعتبران أنفسهما ندين لـ «بسماتيك» الأول، لذلك فإن السيطرة التامة لبسماتيك على ملوك الدلتا لم تتم إلا فى العام الثامن من حكمه[2].

وقد لعب الأجانب دوراً هاماً فى سد احتياجاته العسكرية، حيث كان العنصر الفعال فى جيشه مجلوباً من الخارج وبصفة خاصة من الكاريين والأيونيين [3]ويذكر «هيردوت» أن بسماتيك تغلب على أمراء الدلتا

(١) عبد العزيز صالح: **مصر والعراق**، ص ٣٠٠ .

Trigger, **A.E.**, p. 277.

(٢) Kitchen, **Third Intermediat**, p. 400-402.

جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٥٧–٤٥٨ .

(٣) Trigger, **A.E.**, p. 284.

المنافسين له بمساعدة مجموعة من مقاتلى الإغريق الذين قدموا فى سفنهم وهم يرتدون دروعاً من البرونز تسربل معظم أجسامهم، وأشار إليهم هيردوت بأنهم مجموعة من قراصنة البحار من أهل أيونيا وكاريا تصادق معهم بسماتيك واستعان بهم فى حروبه مع أمراء الدلتا وتمكن بواسطتهم من تحقيق النصر والانفراد تماماً بالحكم.(١) ولكن هناك من يعتقد أن أولئك المقاتلين كانوا يشكلون المدد الحربى الذى ارسله «جيجس» ملك ليديا طبقاً لمعاهدة تحالف عقدها مع بسماتيك قبل ذلك ولم تعرف أخبار تلك المعاهدة إلا من الكتابات الكلاسيكية التى أشارت إلى أن ذلك النصر يعود إلى موقع «سايس» الجغرافى حيث كانت تتاخم البحر المتوسط وتعتبر بذلك بوابة لسياسة خارجية نشطة(٢).

أما مصر الوسطى فقد وجد بسماتيك مساندة من جانب «سماتاوى تف نخت» أمير أهناسيا وربما يرجع ذلك إلى وجود تحالف قديم بين بسماتيك وأمير أهناسيا، حيث أن «سما تاوى تف نخت» ربما كان ينتمى إلى هذه الأسرة من جهة الأم، فأمه كانت أميرة تدعى «تاخروان تا احيت ورت» وقد ذكرت بردية «رولاند» أن «سما تاوى تف نخت» قد نشأ فى بلاط سايس وعلى تمثالين لـ «بادي إيزيس» الأول يذكر أنه عُين أميراً فى «نيت جر»، وعلى ذلك فإن «بادى إيزيس» هذا ربما كان قد تزوج من أبنة «نخاو» الأول أو «نخاو با» أو أستفانيتس (تف نخت الثانى)، ومن هنا كانت مساندتهم لـ «بسماتيك» الأول، تلك المساندة التى كانت عظمية الفائدة، إذ وفرت للك «سايس» الإشراف على طرق التجارة النهرية عبر وادى النيل،

(١) هيردوت: الكتاب الثانى فقرة ١٥٢ .

(٢) Spalnger, A., "The Concept of the Monarchy During the Saite Epoch, on Essay of Synthesis" Orientalia, XIVII, 1978, p. 16.

ومرور تجارة القوافل مع واحات الصحراء الغربية ومع النوبة وليبيا[١].

بعد ان استقر الأمر لبسماتيك فى الدلتا ومصر الوسطى، بدأ يرنو بناظريه نحو طيبة التى كانت شبه مستقلة تحت أمرة «منتو ام حات»، غير أن شأنها كان قد بدأ يضعف منذ انتهاء حلفها مع نباتا وتدمير الآشوريين لها، وعمل «بسماتيك» على الاستفادة من هذا الوضع، فقبل أن يبقى «منتو ام حات» وزملاؤه فى وظائفهم طيلة حياتهم، بل أن بسماتيك قبل أن يخلف ابن «منتو أم حات» أباه فى وظيفته ككاهن رابع لآمون وحاكم للجنوب حتى وفاته فى العام الخامس والعشرين من الحكم، ومن ثم فقد اختفت هذه الأسرة من مركز القيادة فى طيبة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن بسماتيك فاوض شبتن ويه» الثانية الزوجة الإلهية لآمون وأخت «طهرقا» على أن يتركها فى منصبها بشرط أن تتبنى إبنته «نيتو كريس» [٢]ومن خلال هذا التبنى كانت «نيتو كريس» تحكم طيبة باسم الملك، وضمن بسماتيك بذلك لإبنته الإشراف الروحى على معابد آمون وأتباعه، والإشراف المادي على ثروات طيبة وقد زودها بإقطاعات أخرى من مصر الوسطى ومن الدلتا، كان بعضها إهداء ات من المعابد وربما من الأثرياء أيضاً، وجعل لها حاشية وأتباعاً تشبه حاشية الملكات وتخير رؤساءها من رجال الدلتا، وقد تجددت هذه العملية نفسها عندما اضطرت «نيتو كريس» أن تتقبل «عنخ نس نفر ايب رع» إبنة بسماتيك الثانى كخليفة لها فى المستقبل، والأمر الجديد هنا، أن «عنخ نس نفر ايب رع» حملت أثناء الاحتفال بهذا

(١) Kitchen, **Third Intermediad**, p. 402-403.

Trigger, **A.E.**, 284.

جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٥٨ .

(٢) عثر على لوحة كبيرة بمعبد الكرنك تسجل هذا الحدث وتؤرخ إياه فى شهر طوبة، السنة التاسعة من حكم بسماتيك الأول

Caminos, R.A., "The Nitocris Adoption Stele "**J.E.A.**, 50, 1964, pp. 71 ff.

التبنى لقب «الكاهن الأعظم لآمون» وهذه الوظيفة لم تحصل عليها من قبل أية زوجة إلهية، ومع ذلك فإنها لم تصل إلى المرتبة الأخيرة التى هى أكثر أهمية حتى ماتت نيتو كريس فى العام الرابع من حكم «ابريس»[1].

وفى سبيل القضاء على الأمراء الأقطاعيين سلك «بسماتيك» أيضاً سنة اتبعها خلفاؤه من بعده، وهى الإيحاء إلى كبار أولئك الإقطاعيين بالتبرع بجزء من ثراوتهم العقارية للمعابد التى تحتضنها الدولة مع استمرار الدولة فى نفس الوقت على سياسة خلع المناصب الكهنوتية التشريفية على المقربين إلى الملك حتى يستفيدوا من مخصصاتها ويقللوا من تضخم ثروات معابدها واحتكارات كهنتها، ولايثقلون في الوقت ذاته على ميزانية الدولة بأعباء كبيرة، وبهذا فإن هؤلاء الملوك أشعروا الإقطاعيين المتبرعين بأن حكومتهم لا تبغى أن تقاسمهم ثرواتهم لصالحها الخاص وإنما لصالح الأرباب، كما أشعروا أنصارهم أصحاب الأنعامات الجديدة بأن أنعاماتهم يمكن أن تعود ثانية إلى الأرباب[2] وبذلك عمل على إعادة تنظيم الجهاز الإدارى فى الدولة، ولكنه لم يتدخل فى شئون حكومة الوجه القبلى بصورة مباشرة، وإنما لجأ هو وخلفاؤه إلى تدابير تكفل لهم السيطرة الكاملة على الجنوب، فاتبعوا أسلوب العطاء مقابل الولاء (كما فعلوا مع منتو ام حات وشبتن وبه الثانية) كما اتبعوا أيضاً أسلوب تعيين موظفين من أهل الشمال لإدارة شئون الجنوب مثل «ابى» الذى عينته «نيتو كريس» رئيساً للخدم أى مديراً على أملاكها فى طيبة وأيضاً الحاكم الجديد لأدفو والكاب، كما

---

(١) Kitchen, **Third Intermediat**, p. 403-404.

عبد العزيز صالح : **مصر والعراق**، ص ٣٠٠-٣٠١ .

جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٣٨٧ .

جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٥٨ .

(٢) عبد العزيز صالح : **مصر والعراق**، ص ٣٠١-٣٠٢ .

اعتمد الملوك الصاويون على العائلات الكبيرة فى الحفاظ على النظام والأمن العام، وأعاد «بسماتيك» إلى منف دورها السياسى والإدارى وذلك بنقل العاصمة إليها وإن أبقى المقر الملكى والجبانة الملكية فى مدينة سايس(١).

بهذه الإجراءات المتتابعة رأى بسماتيك أنه حقق التوازن بين أولياء السلطة فى مملكته، فالصعيد قسم سلطاته بين قوى مختلفة، والدلتا أغرى بعض كبارها بمناصب فى الصعيد، وأبنته أشرفت باسمه على كهنوت آمون وأملاكه، ولم يبق أمام بسماتيك الآن إلا طرد الآشوريين.

والحقيقة أن بسماتيك لم يجاهر الملك الآشورى العداء من البداية وقبل أن يتمكن من تدعيم موقفه فى الداخل، بل أن أى خطوة يتخذها لإخضاع أعدائه فى الداخل أو فى الجنوب كانت تحظى برضاء ملك آشور وموافقته، إلا أن الظروف التى كانت تمر بها آشور فى تلك الفترة أدت إلى امتناع «بسماتيك» عن دفع الجزية لها، حيث كانت الأخيرة تقاسى كثيراً من المتاعب التى بدأت فى عيلام وبابل، فضلاً عن ثورات الولايات السورية، والأشتباك مع ليديا فى معارك طاحنة، وقد اتصل «بسماتيك» بملك ليديا «جيحس» وتم التحالف بينهما واستمر من حوالى ٦٦٤ إلى ٦٥٧ ق. م. على أن ينجد الواحد منهما الآخر وقت الأزمات، وربما قوى هذا التحالف انغماس الآشوريين فى مواجهة الثورات التى اندلعت فى كل ركن من أركان امبراطويتهم، والتى كان لمصر دور كبير فى انفجارها إما بالمساعدة وإما بالتحريض(١).

---

(١) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٣٣ .

(٢) Luckenbill, **A.R.A.B.**, II, §§ 784 - 785.

هيردوت الكتاب الثانى: ١٤٧ – ١٥٧ .

Spalinger, A., "Assurbenipal and Egypt", **J.A.O.S.**, 94, p. 316.

والحقيقة أنه ما أن جاء العام الثانى عشر من حكمه حتى أتم طرد الحاميات الآشورية من مصر تماماً[1] وإن كنا لا ندرى شيئاً على وجه اليقين عن كفاح المصريين ضد آشور، ولا كيفية إجلاء حاميتها عن مصر، لأن النصوص المصرية لم تذكر شيئاً مفصلاً عن هذا الحدث، والأمر كذلك بالنسبة للنصوص الآشورية، ومن هنا كان من الصعب علينا أن نتعرف بالضبط على كيفية إنهاء الحكم الآشورى فى مصر، وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن «بسماتيك» الأول بعد أن تمكن من استعدة الوحدة فى مصر تمكن من إعداد جيش قوى من الصعيد والدلتا، وضم إليه جنوداً من الأيونيين والكاريين، واكتسح بهذا الجيش الحاميات الآشورية التى كانت تعسكر فى الدلتا، ففر هؤلاء إلى فلسطين وتحصنوا فى أشدود، ورأى «بسماتيك» كما رأى «أحمس» من قبل فى حرب الهكسوس، أنه لا اطمئنان له إلا إذا اجتث الشر من جذوره، ومن ثم فقد تعقبهم إلى هناك، وانتهز الفرصة ليعيد لمصر شيئاً من مركزها فى غربى آسيا.

على آية حال إذا كنا نحمد لـ «بسماتيك» جهاده لتحرير مصر من الآشوريين، وإعادة الوحدة لها، إلا أننا نأخذ عليه تشجيعه للأجانب من مدنيين وعسكريين على الإقامة فى البلاد، مما كان له أسوأ الأثر فى الفترة اللاحقة، صحيح أن هناك قسماً من السكان الوطنيين كان مكرساً للحرب، ولكن صحيح أيضاً أن اليونانيين الذين تعمد «بسماتيك» تشجيعهم على الانضمام إلى جيشه (ربما ليتم بهم الموازنة بين المحاربين الذين كانوا تحت النفوذ المباشر للأمراء المحليين فى أقاليمهم الخاصة) كانوا سبباً مباشراً أو غير مباشر فى إضعاف الروح القومية، وإبعاد المصريين تدريجياً عن الجيش، هذا فضلاً عن الجيوش التى وجهها «جيجس» إلى «بسماتيك» جاء فى آثارها تجار أيونيين أسعدهم كثيراً الإقامة فى أرض بمثل هذا الخصب

---

(١) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٦٣ .

والثراء، وسرعان ما استغلوا مهارتهم كتجار فكانوا يقومون بنقل القمح إلى بلادهم فى مقابل فضة يدفعونها للملك الصاوى، وبمرور الزمن أخذت الثروة تتكدس فى أيديهم يحميها نفوذ الحاميات من أبناء جلدتهم التى انتشرت على التخوم الغربية والجنوبية والشمالية الشرقية، ويروى «هيردوت» أن بسماتيك الأول أوصى بتكوين طائفة من التراجمة لتيسير التفاهم بين الوافدين الإغريق وبين هيئات الجيش والبلاط والإدارة[1].

وقد سار خلفاء بسماتيك الأول على نهجه فى الاعتماد على المرتزقة الإغريق فى الجيش، فيشير هيروت إلى أن المصريين قد استعانوا فى عهد «نكاو» الثانى بالإغريق فى بناء أسطولهم على غرار السفن المقاتلة الإغريقية من ذوات الثلاث صفوف من المجاديف [2] كما استعان بهم «بسماتيك الثانى»، ويتضح ذلك من النصوص التى سجلت حملته على الجنوب، ومن هذه النصوص نقش تذكارى شهير دونه بعض مرتزقة الإغريق الذين كانوا ضمن جنود تلك الحملة على ساق أحد تماثيل «رمسيس» الثانى القائمة عند بوابة معبد «أبو سنبل» [3]، كما يشير نص منقوش على لوحات بالقرب من البوابة الثانية فى معبد الكرنك إلى جند المرتزقة بجنسياتهم المختلفة [4] والمصدران يدلان على اعتماد الفراعنة على المرتزقة الإغريق، أما الملك «ابريس» (واح ايب رع) فكان يقرب الأجانب إليه كثيراً خاصة الأغارقة، والكاريين وأكثر من ذلك أنه ترك الأغارقة

---

(١) عبد العزيز صالح: **مصر والعراق**، ص ٣٠٣، هيردوت ٢: ١٥٤ .

Gyles, M.E., **Pharaonic Policies and Administration (663-323 B.C.)**, Carolina, 1959, pp. 20- 23

(٢) هيردوت ٢: ١٥٩، Spalinger, A., **J.A.R.C.E.**, 15, pp. 49 f.

(٣) امرى: **مصر وبلاد النوبة**، ص ٢٣٢ .

(٤) Sauneran, S., & Yoyotte, J., "La Campagne Nubinne de Pasammetique II "**B.I.F.A.O.**, L, 1952, pp. 187 ff.

يرتدون الدروع ويسيرون مسلحين فى طرقات المدن كما يشاعون وبلغ تذمر المصريين ذروته عندما أرسل الفرعون جيشاً من المصريين و (الماخيموى) فقط لنجدة «ادكران» الليبى ضد إغريق برقة [1] وقد أُشيع أن الفرعون قد دفع بجنده المصريين (الماخيموى) إلى برقة بقصد التخلص منهم هناك، لأنه كان يشك فى ولاتهم له، مما أدى فى نهاية الأمر إلى الصراع بين العناصر الأجنبية والمصرية فى الجيش، وانتهي هذا الصراع بمقتل «ابريس» حيث خلفه «أحمس» الثانى (امازيس) على عرش مصر[2].

لقى الملك الجديد قبولاً حسناً من المصريين المناهضين للأجانب، وتلك كانت العقبة الأولى التى اعترضته، حيث أن الفرعون كان يدرك تماماً أنه لا يمكنه أن يطمئن إلى سلامة البلاد وأمنها إلا بوجود هؤلاء الجنود المرتزقة، لأن الحالة فى غربى آسيا كانت قد وصلت إلى أبعد حد من السوء ضد مصر، كما أن قوة اليونانيين قد ازدادت في البحر المتوسط ولم يكن من حسن السياسة إضعاف الجيش وجلب عداوة جميع الدويلات اليونانية وشل اقتصاد مصر إذا ما تعرض للتجار الأجانب وطردهم من مصر، وفى نفس الوقت كانت الروح الوطنية قد تأثرت بسبب وجود الأجانب، ولهذا فقد لجأ «أمازيس» إلى وسيلتين لحل المشكلة، الأولى أنه إرضاءً للشعور الوطنى خاصة فى الجيش، أمر باستدعاء اليونانيين من الحاميات التى على الحدود وارسال الجنود المصريين ليحلوا محلهم، ثم أمر باسكان هؤلاء الأجانب فى أحياء معينة من «منف» ليظلوا تحت رقابة بلاطه كما ألحق بعضهم بحرسه الخاص، أما التجار الإغريق الذين انتشروا فى دلتا مصر من شرقها إلى غربها وتوسعت إمكانياتهم حتى أصبحوا يمتلكون سفناً لها أحواض فقد

---

(١) سيتناول الباحث هذه النقطة فيما بعد بالتفصيل

(٢) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٣٩٢ ، Gyles, Op. Cit., pp. 34-35

أمر بإزالة مستودعاتهم التجارية من كل أنحاء البلاد، وفى مقابل ذلك منحهم مدينة نقراطيس (١).

وقد أدت سياسة «أمازيس» إلى حفظ التوازن بين استرضاء المصريين وبين اتقاء خطر الكلدانيين ومن بعدهم الفرس، حيث نجح فى عقد المعاهدات مع الدول الصديقة ومن بينها «قورينى» (برقه) حيث تزوج من إبنة ملكها وكانت تدعى «لاديكا» وهى من أصل أغريقى، وهذا التصرف من جانب الفرعون يجعلنا نعتقد أن القبائل الليبية فى تلك الفترة كانت لا تمثل أى تهديد لمصر خاصة بعد هزيمتهم أمام الإغريق فى معركة «أراسا» حيث أن هذا الزواج يعتبر تحدياً سافراً لليبيين وتغيراً كبيراً فى سياسة مصر تجاه ليبيا، عندما توفى الملك « أحمس» الثانى (أمازيس) فى نهاية عام ٥٢٦ ق.م، كان قد ترك لابنه وخليفته «بسماتيك» الثالث تركة مثقلة بالأعباء تحدق بها الخطار ويكاد الغزو الفارسى يطبق عليها بعد أن تأجل عدة سنوات بسبب الموقف الدولى الذى كان يشتعل بالمتغيرات المصيرية لمعظم دول المنطقة، وبسبب حكمة أحمس نفسه، علاوة على مصرع ملك فارس (قورش الكبير) فى معركة ضد الثيرانيين عام ٥٢٩ ق. م، وفى عام ٥٢٥ ق.م. كان الملك الفارسى «قمبيز» يتقدم بجيوشه إلى حدود مصر الشرقية معلنا بذلك قرب نهاية العصر الصاوى.

والحقيقة أن العصر الصاوى هو عصر ازدهار ورخاء، ساعد عليه ما قام به ملوك هذا العصر لإرساء قواعد السلام والأمن بين ربوع البلاد،

---

(١) هيردوت ٢ : ١٦١- ١٦٣، ١٦٩ P.M., IV, 50; Trigger, **A.E.**, pp. 285-286

عن تأسيس نقراطيس انظر: Petrie, F., **Naukratis**, I, London, 1886, pp. 7-8

Cook, R.M., "Amasis and the Greek in Egypt", **J.H.S.**, L VII, 1937, pp. 272-278

Davis, W.M., " The Cypriots at Naukrates", **G.M.**, XLI, 1980, pp. 7-10.

والضرب بشدة على أيدى الأشرار وقطاع الطرق مما مهد الطريق أمام فلاحى مصر إلى مزاولة أعمالهم العادية، وانعكس ذلك بالتالى على المحاصيل الزراعية المصرية وتطورها كماً وكيفاً، وخلال موسمين أو ثلاثة تضاعفت ثروة البلاد، كما عمل فراعنة هذا العصر على إنماء التجارة بين مصر وبين الإغريق والفينيقيين، ويشير إلى ذلك محاولة «نكاو» الثانى ربط الدلتا بالبحر الأحمر بطريق مائى (لتشجيع التجارة البحرية وزيادةالاستفادة من مواردها) بشق قناة تجرى من فرع النيل اليوباسطى القديم حتى خليج السويس أو البحيرات المرة قرب مدينة الإسماعيلية الحالية، وأيضاً إيفاد هذا الفرعون بعثة بحرية للدوران حول أفريقيا بهدف الكشف والمعرفة وفتح أسواق التجارة أملاً فى توسيع النفوذ المصرى[1].

ونلمس هذا الرخاء الاقتصادى فى كثرة الإنعامات والهبات التى أغدقها الفراعنة على المعابد المصرية بل والأجنبية، فتشير لوحة كبيرة عثر عليها فى الكرنك إلى كثرة الهبات والعطايا والثروات التى انهالت على «نيتو كريس» إبنة بسماتيك الأول، عند وصولها إلى طيبة لتصبح زوجة إلهية لآمون، حيث حصلت على ما لايقل عن ٢٢٣٠ فدان، كما زودها رجال الكهنة بمواد تموينية وفيرة أضيفت إليها كميات ضخمة من الخبز إسهمت فى تقديمها معابد المدن الرئيسية، ويشير إلى ضخامة هذه الثروة وكيل لإدارتها[2].

وعلى لوحة «لابريس» من ميت رهينة يذكر أنه أهدى معبد «بتاح» هبة معفاة من الضرائب تضم الأقاليم المجاورة بما عليها من ماشية وخدم

---

(١) عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص ٣٠٤ — Trigger, A.E., p. 284

(٢) جاردنر: مصر الفراعنة، ص ٣٨٦ — B.A.R., IV, §§ 933 ff

Trigger, A.E., p. 302

وماتنتجه الأرض من محاصيل [1]وقد أسهم «أمازيس» فى إعادة بناء معبد «دلفى» الذى كان قد تهدم ومنح العديد من المعابد اليونانية هدايا سخية[2].

كما نلمس الرخاء الإقتصادى أيضاً فى مدى ثراء المقابر التى شيدها الأشراف فى طيبة أو فى جبانات «منف» القديمة، وما أقامته «عنخ نس نفر ايب رع» إبنة «بسماتيك» الثانى من جهاز إدارى صاوى فى طيبة أظهر ترفاً وبذخاً يمكن أن نتصوره من إبداع المقبرتين اللتين أقامهما فى العساسيف «شاشانق» بن «حار سا ايسه» و «بادى نيت» ، وكانا يشغلان منصب رئيس استقبال آمون، فإذا كان هذا يخص الأشراف ورؤساء الاستقبال، فما بالنا بمقابر الملوك وآثارهم التى انتشرت فى شمال الوادى وجنوبه، وقد تركز أهمها فى رحاب ثلاث مدن كبيرة هى «سايس» و «منف» و «طيبة» وعلى سبيل المثال أقام الملك «أحمس» الثانى (أمازيس) للألهة «نيت» البوابات الضخمة، كما أنه شيد معبداً لوحى الإله آمون فى واحة سيوه[3].

كما نلمس هذا الرخاء الاقتصادى فى ذلك العصر من خلال استعانة الفراعنة بالجند المترتزقة بأعداد كبيرة، وأيضاً استقرار التجار الأجانب فى مصر وإقامة الوكالات التجارية، فالجند المرتزقة يحتاجون إلى موارد كبيرة للإنفاق عليهم، وإقامة الوكالات التجارية يشير إلى كثرة البضائع التى يمكن المتاجرة فيها ويشير أيضاً إلى استقرار الأمن والنظام فى البلاد.

مما سبق يمكن القول ان «بسماتيك» الأول مؤسس الأسرة السادسة

---

(١) Trigger, A.E., p. 302

(٢) جاردنر : **مصر الفراعنة**، ص ٣٩٥ — Hall, **C.A.H**²., 2, 1975, p. 304.

(٣) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٦٣، ص ٤٦٨ .

أحمد فخرى: **واحة سيوه**، ترجمة جاب الله على جاب الله، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٨٦-١٩٥ .

والعشرين قد استفاد من كافة الأوضـاع المحيطة به سواء فى الداخل أو الخارج، فتقرب من الآشوريين حتى قضوا له على قوة خصومه فى الشمال والجنوب، وأخذ يعمل على تجميع السلطة الداخلية فى يده فى ظل تبعيته للآشوريين، وما أن تم له ذلك وعلم بخلافات العرش فى آشور حتى أعلن استقلاله وطرد الحاميات الآشورية من مصر، ويتضح من العرض السابق أن فراعنة الأسرة السادسة والعشرينن لم يعيروا الغرب اهتماماً كبيراً إلا قرب نهاية الأسرة خاصة بعد أن أسس الإغريق مدينة قورينى التى أصبحت لا تمثل خطراً على ليبيا وحدها بل على مصر أيضاً، وعدم اهتمام ملوك الأسرة الأوائل بالغرب يوحى بأمرين، إما أن تكون القبائل الليبية أصبحت من الضعف بحيث لا تمثل أى خطر على مصر، أو أن هذه القبائل قد انشغلت بأمورها الداخلية وبدأ صراعها مع إغريق قورينى، أما الأمر الثانى هو أن جذور بسماتيك وأسرته الليبية، ربما جعلت هذه القبائل تنظر لتلك الأسرة باعتبارها حاكمة لكل المنطقة بمعنى تبعية هذه القبائل للسيادة المصرية حتى ولو كانت من الناحية الإسمية فقط، وهذا مادفع «ادكران» الليبى إلى الاستعانة بفرعون «ابريس» فى صراعه مع المستوطنين الإغريق.

ثانياً: ليبيا

أ- الأحوال الداخلية

١ -الاستعمار الإغريقى فى ليبيا

دوافعه - نتائجه

قبل أن نتعرض للاستعمار الإغريقى فى ليبيا يجب أن نشير أولاً إلى حركة الاستطان والانتشار الإغريقي ودوافعها بصفة عامة، فقد أدت حركة البعث والإحياء ثم قيام دولة المدينة فى شبه الجزيرة اليونانية وفى جزر بحر إيجه وعلى ساحل آسيا الصغرى إلى تحقيق الوعى القومى للإغريق كأمة واحدة متميزة عن غيرها من شعوب العالم القديم، أمة لها تراث فكرى ودينى وأخلاقى وسلوكى مشترك وهو ما تعكسه أشعار هومر فى الإلياذة والأودسا، وقد دُعم هذا التراث الحضارى الإغريقى بمرور الزمن، وأصبح وجوداً يفرض نفسه على عوامل الانفصال الجغرافى والبحرى وعلى اللهجات المحلية للغة اليونانيين، بل وعلى العبادات المحلية والإقليمية، وقد لعب معبد دلفى المقدس دوراً أساسياً فى وحدة هذا التراث[١]. كما جعلت الدورات الأوليمبية وما صحبها من مهرجانات رياضية هذا التراث حقيقة يمارسها الإغريق فى لقاءاتهم، فكانت هذه الدورات فرصة لتبادل وجهات النظر بين مختلف العناصر الإغريقية، وتوثيق الروابط بينهم والتعرف على اتجاهات الرأى العام فيما بينهم، فضلاً عما كان يجرى بالضرورة من معاملات أخرى كالبيع والشراء أو تبادل التجارة [٢].

---

(١)عبد اللطيف احمد على : **التاريخ اليونانى - العصر الهللادى**، جـ ٢،١، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٨ -١٩ ، ١٣٤ - ١٤٢، ٤٢٧ - ٤٣١

Park, J., and Wormell, A **History of the Delphic Oracle**, I, Blckwell, 1939, p. 71.

Lang, A., **The Last Oracle From Delphi**, London, 1887.

(٢) سميت الدورة الأوليمبية بهذا الإسم نسبة إلى بلدة أوليمبيا على الضفة الشمالية لنهر ألفيوس بإقليم إيليس (غرب البلوبونيز) ويقال إنها بدأت عام ٧٧٦ ق. م.

Gardiner, F., **Athleties of the Ancient world**, Oxfird, 1930, pp. 25; 32-33.

سيد الناصري: «الألعاب الأوليمبية القديمة» **المجلة التاريخية**، جـ ٢١، ١٩٧٤، ص ٣٠ وما بعدها.

عبد اللطيف أحمد على: **التاريخ اليونانى**، ص ١١٢-١١٦ .

بفضل هذا كله أصبحت الحضارة الإغريقية قوة طاردة وديناميكية، وراحت تبحث عن مناطق للإنتشار في ربوع العالم، وجدير بالذكر أن الانتشار والإستيطان كانا صفتين أساسيتين للحضارة الإغريقية، وهذا ما ميزها عن غيرها من الحضارات القديمة التي فضلت أن تبقى داخل موطنها ومن أجل مواطنيها، ولهذا فحركة الانتشار والاستيطان ترجع إلى أيام الحضارة الموكينية وظلت قائمة حتى العصر الهلينستي والروماني[1] ولاشك أن طبيعة بلاد اليونان ذات المساحات المحدودة والتي تفتقر إلى كثير من المقومات الضرورية دفع الإغريق إلى الهجرة والبحث عن مواطن جديدة للاستقرار بالإضافة إلى ذلك كان هناك عوامل خارجية ساعدت الإغريق على حركة الانتشار والاستيطان ونقصد بذلك تدهور امبراطوريات الشرق القديم وبالذات تدهور السيطرة الفينيقية على مياه شرق البحر المتوسط بسبب الغزو الآشورى المستمر للمدن الفينيقية الأم والتي كانت تحد من نشاط الإغريق، وكانت الإمبراطورية الآشورية فى فترة قوتها (٩٣٤ – ٧٤٥ ق.م) قد قضت على القوة السياسية للشعوب الآرامية فى سوريا وفلسطين وفينيقيا، وبإسقاط هذه القوى أصبح هناك فراغ كبير فى المنطقة، ولم يعد ينافس الإغريق كقوة بحرية سوى قرطاجة تلك المستوطنة التى أنشأتها صور على ساحل أفريقيا الشمالى[2] أما فى آسيا الصغرى فلم يكن هناك سوي دولتا فريجيا وليديا، وقد دُمرت الأولى على يد القبائل الكمرية القادمة من مناطق الاستبس، وبقيت ليديا فأقامت

---

(١) سيد الناصرى: **الإغريق – تاريخهم وحضارتهم** ، ط ٢، القاهرة ١٩٨٥، ص ١٣٣ .

(٢) عن الغزو الآشورى لبلاد الشام انظر

Raux, G., **Ancient Iraq**, Pelican Books, London, 1964.

Olmstead, A.T., **Western Asia in the Days of Sargon II** (722-705 B.C.) 1909;

Aharoni, **the Lnd of the Bible**, London, 1970.

جسوراً من الصداقة والتعاون مع الإغريق، ولم يكن الفرس قد نهضوا كقوة ذات نفوذ فى مياه البحر المتوسط.

أما العوامل الاقتصادية، فقد أدى تكدس دول المدن فى المساحات الضيقة، وتمسك كل منها باستقلالها، إلى الاحتكاك وقيام المنازعات بسبب الحدود أو المصالح والتنافس من أجل السيطرة التجارية، حتى تفرض كل مدينة نفوذها على أكبر رقعة فى العالم، وقد ساعد على ذلك تزايد عدد السكان بدرجة لا تتناسب مع المساحات المتاحة، ومن ثم دفعت مشكلة البحث عن الغذاء، السكان إلى الهجرة، وقد ساعد البحر وقيام الأساطيل الصغيرة على هذا الانتشار[1]والواقع أن وضع المواطن الإغريقى (السياسى والاجتماعى) كان مرتبطاً بما يملك من أرض، وقد أدى ذلك إلى انتشار السخط بين السكان الفقراء وكثيراً ما أدى اليأس السياسى بين الطبقات المعدمة إلى ترك الوطن والبحث عن وطن جديد يحققون فيه ذاتهم، بل أن الصراع الاجتماعى دفع الطبقات المتذمرة إلى الهجرة، ولهذا نجد أن بعض المستوطنات دخلت فى صراع سياسى واجتماعى مع المدينة الأم التى أنشأتها كما حدث بين كورنثا ومستوطنتها كور كيرا، وقد وجد المواطنون المثقلون بالديون فى الهجرة منفذاً للهرب تخلصاً من أعبائهم المالية وبداية لمرحلة جديدة من الحرية بدلاً من البقاء تحت نير عبودية الدين[2].

ولم تقتصر حركة الاستيطان على الباحثين عن الطعام من المعدمين أو أولئك الهاربين من الديون، بل شملت بعض النبلاء الذين حرموا من أراضيهم بحق قانون الإرث الإغريقى الذي كان يقضى بأن يرث الإبن

(١) عبد اللطيف أحمد على: **التاريخ اليونانى**، ص ٧٥-٨١ .

(٢) إبراهيم نصحى: **إنشاء قورينى وشقيقاتها**، بنغازى، ١٩٧٠، ص ٩-١٠ .

الأكبر فقط كل الضياع حفاظاً على الملكية، ومن ثم وجد الأبناء الآخرون أنفسهم مضطرين للبحث عن ضياع جديدة فى أرض جديدة، ويجب ألا نغفل عشق الإغريق للمغامرة والجرى وراء الثروة لإرضاء الغرور الطموح خاصة الشباب منهم[1].

علاوة على ما تقدم، يبقى عامل أساسى وهو الثورة البحرية والتجارية الكبرى نتيجة التطور فى فن صناعة السفن ذات الطوابق العديدة، خاصة السفن ذات الثلاث صفوف من المجاديف، أو ذوات الخمسين مجدافاً، وبذلك لم يعد الإبحار مرهوناً بهبوب رياح معينة فى مواسم بعينها، بل أن سرعة السفن تضاعفت، كما ساعدت الكشوف الجغرافية على ركوب البحر حيث أصبح الإنتقال سهلاً وميسراً وبالتالى فتحت مناطق جديدة للتجارة، وكان القمح عاملاً أساسياً لأن كثيراً من المدن الإغريقية كانت تعتمد عليه فى غذائها الأساسى، وعلى ذلك كانت التجارة حتمية اقتصادية للمدن الإغريقية بعكس دول الشرق الأوسط التى كانت مكتفية ذاتياً من الناحية الاقتصادية، والتى كانت تجارتها مقتصرة علي الرفاهيات وليس الضروريات بعكس الإغريق[2].

هذه هى دواف الاستيطان الإغريقى بصفة عامة، فهل توفر فى ليبيا من العوامل ما ساعد على جذب هذا الاستيطان إلى أراضيها؟

الحقيقة أننا إذا نظرنا إلى أحوال ليبيا الاقتصادية (كما أسلفنا فى الفصل الأول) نجد أن بها من المقومات الاقتصادية (خاصة إقليم برقة) ما جعل هؤلاء المعمرين الإغريق شغوفين بهذا الإقليم الواسع الذى استعاضوا به عن وديان بلادهم الضيقة وعن جذورهم الصغرية التى تُغطى

(١) سيد الناصرى: **الإغريق**، ص ٣٦ .

(٢) سيد الناصرى: **الإغريق** ، ص ١٣٧ .

بالصخور، حيث وجدوا فى هذا الإقليم مساحات شاسعة يمكن استصلاح أراضيها بسهولة، بالإضافة إلى أن الأمطار الغزيرة تهطل على هذا الإقليم فى فصل الشتاء فتروى هذه السهول خاصة فى منطقة «قورينى» حيث «... تبدو السماء مثقوبة..» لذا فقد تحمس أولئك المعمرون للإقامة بهذه الأرض الخصبة التى ينمو فى ترابها أنواع كثيرة من النباتات، ويعتبر إقليم «يوسبيريدس» هو الأكثر خصوبة، وأن منطقة «كينيبسى» (وادى كعام) تنتج من المحاصيل ما يعادل إنتاج يوسيبريدس ثلاث مرات [1] أما فيما يتعلق بمنطقة «قوريني» نفسها فإن رواية هيردوت تعتبر أقرب إلى الصدق، فهو يقول « .. أن التفاوت فى درجات الارتفاع يحدث تبايناً بين المحاصيل، فمحاصيل المنطقة الساحلية هى أول ما ينضج ويصير جاهزاً للحصاد والقطاف، وعندما ينتهى موسم جمع هذه المحاصيل، فإن المنطقة الوسطى الموازية للسهل الساحلى تبلغ أوان نضجها وهذه ه هى المنطقة المسماه بمنطقة التلال، وأخيراً فإنه عند انتهاء موسم محاصيل هذه المنطقة الوسطى، فإن محاصيل المنطقة العليا تبلغ أوان نضجها هى الأخرى، بحيث أنه عندما تكون ثمار الموسم الأول قد استنفذت واستهلكت تظهر ثمار الموسم الأخير، وهكذا فإن مواسم جنى المحاصيل فى قوريني تتواصل على مدي ثمانية أشهر[2].

فإنه بالنظر إلى جغرافية ليبيا الطبيعية نجد أن هيردوت جاء بوصف مطابق للواقع، حيث أنه بانتهاء جبال أطلس بسفوحها التونسية تأتي منطقة جبلية أخرى هى مرتفعات جبال نفوسه فى إقليم طرابلس وهى على شكل قوس مكونة بينها وبين الساحل سهل الجفارة المشترك ما بين تونس

---

(١) هيردوت ٤: ١٩٨ .

(٢) هيردوت ٤: ١٩٨ - ١٩٩ .

وليبيا، ثم يأتى خليج سرت شرقى هذه المنطقة، والذى يفصل ما بين إقليم طرابلس وإقليم برقة، ثم بعد ذلك شرقاً منطقة الجبل الأخضر وهي أكثر المناطق خصوبة على الساحل الليبى، وفى هذه المنطقة الأخيرة تتوالى مستويات الارتفاع الطبوغرافى فهناك المنطقة الساحلية تليها الهضبة الوسطى وأخيراً الهضبة العليا. هذا التنوع الطبوغرافى أدى إلى اختلاف كميات المطر الساقطة واختلاف درجات الحرارة، كل هذا أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية وأيضاً اختلاف مواسم جنيها، من هنا يتضح أن هيردوت قد زار بنفسه المنطقة التى وصفها فاستطاع بالتالى رسم هذه الصورة الدقيقة لتعاقب مواسم محاصيلها.

تعتبر الحبوب خاصة الشعير والقمح أهم المنتجات الزراعية وأكثرها تأثيراً فى اقتصاد ليبيا، حيث نجده يتصدر قائمة المنتجات الزراعية فى حسبات الداميورجى [(١)].

وقد وصف أقليم قورينائية بأنه أحد مخازن العالم القديم لتصدير القمح، ويؤيد ذلك نقش (لوح امدادات الحبوب) الذى عثر عليه فى قورينى ويرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن الرابع، وبالتحديد إلى الفترة من ٣٣٠ ق. م إلى ٣٢٦ ق.م وهى الفترة التى تعرضت فيها بلاد اليونان للمجاعة، حيث يشير هذا النقش إلى أن مدينة قورينى أمدت أكثر من

---

(١) الداميورجى هي لفظة يونانية تعنى الشخص الذي يعمل من أجل الشعب، ويشير «اوليفيريو» إلى أن لهذا الإسم معنيين الأول مهنى ويعنى الشخص الذى يقدم للشعب متطلباته، والثانى إدارى يتعلق بالإدارة العامة، ويرى «شامو» أن هذه الوظيفة قد أنشئت بعد سقوط الملكية فى قورينى حيث آلت أراضى الملك إلى المسئولين من رجال الحكومة المكلفين بتحصيل الإيرادات اللازمة لتغطية مصروفات الكهنوت المقدس.

Chientore, G., Rivista eli Filologia, "Demiurgi in Ereta, Torino, 1930, p. 54.

Oliverio, G., **Documenti Antichi Dell Africa Italiana Cirenaica**, Vol. I, 1932, p. 101

شامو: **الإغريق فى برقة**، ص ٢٧٠ .

أربعين مدينة إغريقية بكميات من الحبوب بلغت ثمانمائة وخمسة آلاف مكيال إغريقى، حصلت أثينا منها وحدها على مائة ألف مكيال[١] ولا شك أن هذا النقش يدل على وفرة القمح بشكل كبير فى قورينى، مع الأخذ فى الاعتبار الإستهلاك والتخزين المحلى، وما يمكن أن يكون قد بيع فى أسواق أخرى.

وقد اشتهر إقليم قورينائية كذلك بإنتاج الفاكهة والتى أهمها الكروم حيث ينتج الإقليم عدة أنواع من العنب منها العنب مبكر النضج والعنب الأسود الذى يستعمل نبيذاً والعنب الجاف (الزبيب) والتين[٢] وتنتج حقول قورينائية خضروات وبقول منها الحمص والفول والعدس والبصل والثوم وكذلك التوابل كالكمون ووتشيد النصوص القديمة بنوعية زعفران ليبيا الذى كانت تزين به مذابح «أبوللو» في فصل الربيع كما كانت هذه البلاد مشهورة بجمال زهورها[٣].

كما كانت ليبيا تزرع الزيتون وتنتج زيته وقد ورد الزيت والزيتون ضمن قوائم المنتجات الزراعية التى حدد المدبرون والزراعيون أسعارها وتتحدث سجلاتهم عن اللوز والتين كما أن أشجار السرو والصنوبر والسدر من نباتات ليبيا، وكانت تصنع من بعض هذه الأشجار أخشاب من نوعية ممتازة، وكانت أخشاب السرو أفضل أخشاب البناء وقد ظهرت فى قورينى سقوف لبعض المنازل من خشب الثويا يرجع تاريخ إقامتها إلى السنوات

---

(١) Coster, C.H., "The Economic Position of Cyrenaica in Classical Ages", S.R.E.S., 1951, pp. 16-17.

Tod, M.N., **Aselection of Greek Historical Inscription**, Vol. 2 Oxford, 1962, p. 273.

Hasebroek, mJ., **Trade and Polities in Anient Greece**, London, 1965, p. 140.

(٢) رجب الأثرم: تاريخ برقة السياسى والاقتصادى، بنغازى، ١٩٨٨، ص ١٠١ .

(٣) Coster, Op. Cit., p.17.

الأولى من الاستيطان الإغريقى، كما كان النحاتون يصنعون تماثيل رائعة من خشب اللوتس، كما كانت أشجار النخيل تنمو فى هذا الإقليم، وقد أشار هيردوت إلى أن قبيلة النسامونيين كانت تشد الرحال فى موسم جمع التمور إلى واحة أوجله لجنى ثمار هذه الشجرة الصحراوية (١) هذا بالإضافة إلى نبات السلفيوم والذى كان من أهم عوامل جذب الانتباه لأهمية هذا الإقليم الاقتصادية وبالتالى الاستيطان الإغريقى فى ليبيا.

كانت تربية الحيوانات مصدراً آخر لثراء الاقتصاد الليبى في العصور القديمة، وليس هذا بغريب مادامت الظروف مواتية لإقليم فسيح غنى بمراعيه الواسعة، وقد ورد فى نقوش الداميورجى أن الخرطان والحشائش البرية والتين كانت تباع فى الأسواق العامة وفى ذلك دلالة على أن تربية الحيوانات كانت منتشرة فى ليبيا حيث تجد الغذاء الكافى لإطعامها، وقد مرينا فى الفصل السابق ذكر بعض هذه الحيوانات التى كانت تربى فى ليبيا والتى أشارت إليها النصوص المصرية ومنها الأغنام، وأيضاً الأبقار التى كانت تقدم كقرابين للآلهة(٢).

وإذا كانت الزراعة وتربية الماشية مزدهرة فى ليبيا كثيراً فإن نصيبها من الصناعة كان على العكس من ذلك، إلا أن صناعة الفخار كانت متقدمة إلى حد ما، حيث عثر على كميات كبيرة من الفخار فى مقابر قورينى، كما أن جهات أخرى من إقليم برقة مثل بنغازى وتوكره وطليميثة كانت مراكز

---

(١) Grote, G., A History o Greece, Vol. 4, London, 1906, pp. 19-26.

(٢) Bates, Op. Cit., p. 218.

(٣) Sadawya, A., "The Greek Settlement in Cyrenaica with Notes on Pottory Discovered There", Libya in History, p. 95.

وانظر كذلك شامو: المرجع السابق، ٢٩٥ وما بعدها.

هامة لصناعة الفخار، وهى تدل على أن إقليم برقة كان من أهم مراكز صناعة ا لفخار على شواطئ البحر المتوسط، كما أن ورش ضرب العملة كانت تتميز ببعض الأهمية مما يشير إلى أن تجارة ليبيا الخارجية كانت نشطة فى تلك الفترة[1].

ثالثاً: مصر وليبيا

أ- بسماتيك (الأول والثانى)

إذا كانت الاحتفالات المهيبة التى أقامتها طيبة لتصاحب مراسم تبنى «شبتن وبة لنيت اقرت» قد رسخت توحيد البلاد، فلا يعنى ذلك بالضرورة ان «بسماتيك» الأول قد سحق كل مقاومة لسلطته، فقد رفض بعض صغار الملاك وأمراء الدلتا الاعتراف بالسلطة الجديدة (كما أسلفنا) وقد اختار هؤلاء السير فى الطريق الذى يعرفه جيداً المنشقون المعارضون من أهل الشمال منذ عصر الدولة الوسطى (قام «منتوحتب» الثانى بمطاردة المعارضين السياسيين فى الواحات كما قام «سنوسرت» فى عهد والده «امنحات الأول»، بحملة ضد مناوئي النظام ومعارضيه الذين لجأوا عند الليبيين) وهو طريق ليبيا [1] وسوف نلاحظ أن ليبيا قد لعبت دوراً هاماً فى سياسة مصر الداخلية إبان العصر المتأخر، حيث كانت ملاذ الثوار الفارين من مصر، كما كانت مركزاً لتنظيم الثورات داخل مصر نفسها (سنورد ذلك بالتفصيل فيما بعد) فى حوالى عام ٦٥٥ ق.م تعرض الإقليم الغربى من «اوكسير نخوس» (البهنسا) بمصر الوسطى وحتى البحر المتوسط لموجات من القبائل الليبية، لا يستبعد أن يكون هؤلاء المنشقون

---

(١) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٢٠١، ٢٠٧، ٤٥٨ .

وراءه أملاً منهم فى استعادة ما فقدوه على يد «بسماتيك» الأول، إلا أن هذا الأخير أخذ زمام المبادرة وجمع جيشاً عن طريق تجنيد أفراد من بين سكان الأقاليم الموحدة، وهو حدث بارز ينم عن فطنة فى السياسة وبُعد النظر، فربما أراد بسماتيك أن يُشعر هؤلاء المواطنين بأهمية دورهم فى الدفاع عن بلادهم بأنفسهم، وزحف «بسماتيك بجيشه غرباً وطرد الليبيين كما كان يحدث أيام الدولة الحديثة[١].

وتحتفظ الأعمدة التى أقيمت على امتداد طريق دهشور بذكرى حملة «بسماتيك» الأول المظفرة والتى فى أعقابها وضع الفرعون الحاميات عند الحدود الغربية (ماريا) والحدود الشرقية (دفنى) والحدود الجنوبية (الفانتين)[٢] وأصبحت هذه الأخيرة خط الحدود الفاصل بين مصر ومملكة نباتا، وكانت العناصر المكونة لهذه الحاميات من جنسيات متعددة، منها الماشواش الذين ينتمى إليهم «بسماتيك» ويروى «هيردوت» خبر أولئك الماشواش الذين ثاروا على مليكهم بسبب إبعادهم عن أسرهم للخدمة عند الحدود، وعدم منحهم أجازة لفترة طويلة، وكذلك تفضيل «بسماتيك» للإغريق عليهم لقدراتهم الخاصة، فتركوا مواقعهم وارتحلوا إلى الجنوب حيث رحب بهم ملك بلاد كوش، وأقطعهم مساحة فسيحة من الأرض، وعندما لحق بهم «بسماتيك» قبل أن يعبروا الحدود المصرية رجاهم العودة ولكنهم لم يأبهوا لرجائه[٣] ومهما كانت درجة المبالغة فى تلك الرواية، فلابد أنها تنطوي على نواة تاريخية، ومن المرجح أن يكون جند الماشواش

(١) Spalinger, A., "Psametichus King of Egypt, "**J. A.R.C.A.**, XIII, 1976, pp. 133 ff.

(٢) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٣٨٩ .

Goedicke, H., (Psammetik I und Libyer), **M.D.A.I.K.**, 18, 1962, pp. 26-49.

(٣) هيردوت ٢: ٣٠

Olmstead, A.T., **History of the Persian Empire,** 5th ed., Chicago, 1966, pp. 417,20

القدامى قد فضلوا الهجرة إلى بلاد كوش بعد أن بات واضحاً أن «بسماتيك قد قبض على ناصية الأمور بيد من حديد وان دورهم لابد وأن يتقلص ليفسح المجال لذلك الجنس الجديد الذي تجمع حول الملك، ويبدو أن بسماتيك قد ارتاح لتلك النهاية التي خلصته من العناصر البالية العتيقة فى جيشه، وكذلك عناصر الشغب والشقاق الذين ارتحلوا مع المتمردين.

وربما كان وجود هؤلاء الماشواش فى كوش سبباً فى توجيه «بسماتيك» الثانى حملة حربية ضدها، حيث أنه حوالى ٥٩٢ ق. م أسس «انلمانى» أسرة كوش الثانية فأنهى بذلك حالة السلم المستقرة منذ عهد «تانت آمون» حيث كان لهذه الأسرة أطماع فى مصر، فحاولت استعادة نفوذها، ذلك النفوذ الذى كان قد ضاع عقب فرار «تانت آمون» من طيبة، وكما أسلفنا فإن ملك كوش رحب بالماشواش المنشقين على فرعون مصر، ربما أملاً فى مساعدتهم لهم على العودة إلى مصر مما دفع «بسماتيك» الثانى إلى توجيه حملة إليهم فى عام حكمه الثالث(١).

ويوجد حتى الآن مصدران على الأقل يسجلان خبر تلك الحملة، الأول يمثله نقش (كارى) شهير دونه بعض مرتزقة الإغريق الذين كانوا ضمن جنود تلك الحملة على ساق أحد تماثيل رمسيس الثانى القائمة عند بوابة معبد «أبو سنبل» (٢) أما المصدر الثانى فهو بقية من نص منقوش فى لوحة بالقرب من البوابة الثانية فى معابد الكرنك يتضمن حملة بسماتيك الثانى على بلاد كوش، ويهمنا من هذا النقش إشارته إلى وصول الجيش المصرى إلى مابعد الجندل الثالث ليؤكد انتصاره(٣) ونجحت الحملة المصرية على

(١) Habachi, L., "Psmmatique II Dans La Region de la Premiere Cataracte" **Orients Antique, XIII, 1974, pp. 317 ff**

(٢) امرى : **مصر وبلاد النوبة**، ص ٢٣٢ .

(٣) Sauneron, S., & Yoyotte, J., La Campagne Nubienne de Psmmatique I, "**B.I.F.A.O.**, 51, 1952, pp. 187-189.

كوش طبقاً للمصادر المصرية المذكورة نجاحاً كان متوقعاً ومعتاداً في معظم الحملات المصرية على كوش.

خلاصة القول أن «بسماتيك» الأول وخلفاؤه باعتمادهم على الإغريق والكاريين في قواتهم الحربية، تمكنوا من إزاحة القوات القديمة ذات الأصول الليبية التي لا هم لها سوى اقتسام السلطة، كما استطاعوا أن يحطوا من شأن ممالك الشمال الليبية وذلك بفتحهم الباب أمام إنشاء مستوطنات للإغريق والكاريين الذين كانوا خير معين لهم في بسط نفوذهم على مصر كلها.

٢ - إبريس (واح ايب رع) و إمازيس (أحمس الثاني)

كان لتطور الأحوال الداخلية في ليبيا في تلك الفترة أثر كبير على علاقتها بمصر ، خاصة بعد الاستيطان الإغريقي في قوريني، يذكر هيرودت أنه طوال فترة «باطوس» الأول المؤسس الذي حكم أربعين سنة، ومن بعده إبنه اركسيلاوس الذي حكم ست عشرة سنة لم يكن يقطن مستوطنة قوريني سوى المهاجرين الأول[١].

والحقيقة أن هذه العبارة تستحق المناقشة، حيث أن رفاق «باطوس» إن كانوا قد قدموا فعلاً إلى سواحل ليبيا على ظهر مركبين من ذوات الخمسين مجدافاً فإن عددهم في هذه الحالة لن يكون كبيراً وقد لا يجاوز المائتين، ومن الصعب أن يتمكن هذا العدد الصغير من العيش قرابة جيلين في بلد غريب مثل ليبيا دون أن يندثروا أو يذوبوا في هذا المجتمع الجديد، وتعليل ذلك في أمرين، إما أن يكون هناك أفواج أخرى من المهاجرين، وبالتالي

---

(١) هيردوت ٤ : ١٥٩ .

لابد أن يكون هناك اتصال مستمر بين المستوطنة الناشئة والمدينة الأم مما مهد لنزوح الكثيرين للحاق بجماعة «باطوس»، كما أن هذا النزوح لم يقتصر على العنصر الثيرانى فقط بل شمل معظم الجزر الإغريقية الأخرى.

كما أن المهاجرين الأول لم يصطحبوا معهم النساء إلى ليبيا، فلو ظلوا متقوقعين على أنفسهم لانتهوا قبل نهاية الفترة التى ذكرها هيردوت، لذلك لم يجد هؤلاء بداً من الاقتران بنساء ليبيات، بغية تكوين أسر لهم فى موطنهم الجديد، والحقيقة أن هذا الزواج المختلط لم يكن من الأمور النادرة فى قورينى، إذ أن قرائن لاحقة قد أيدت حدوثه، فقد ذكر «بنداروس» فى البوثية التاسعة أن أحد أبناء «تيليسكوانيس» القورينى قد تقدم إلى ملك «الجيلجاماى» طالباً يد ابنته، فكان عله أن يشترك مع غيره من الإغريق والفرسان الليبيين فى سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائزة له، وكان الفائز هو «اليكسيداموس» الإغريقى، وقد حياه الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز[1] ولقد عقد هذا الخيط من السكان الإغريق علاقات طيبة مع الليبيين، وقد ساعد على استمرار هذه العلاقات بعض الوقت أن الليبيين لم يفطنوا لخطورة قيام مستوطنة إغريقية على أرضهم، ومن ناحية أخرى التزم الإغريق حدودهم وتعاونوا مع السكان المحليين فى النشاط الاقتصادى، حيث كانت القبائل الليبية تسيطر على نبات السلفيوم، وكان الإغريق فى حاجة ماسة إليه، واستمرت العلاقة على هذا المنوال طيلة عهد «باطوس» الأول وابنه «أركسيلاوس» الأول[2].

وإن كان هناك من يرى أن الخلافات كانت قائمة بين القبائل الليبية وبين

---

(١) مصطفى عبد العليم: **دراسات فى تاريخ ليبيا القديم**، بنغازى، ١٩٦٦، ص ٥٦ .

(٢) رجب الأثرم: **تاريخ برقة السياسى والاقتصادى**، ص ١٢٣ .

الإغريق منذ أن جاء هؤلاء الإغريق إلى ليبيا، عندما اتهم الإغريق القبائل الليبية بالخيانة عندما لم يرشدوهم إلى مكان مناسب لإقامة المدينة. معتقدين أن الليبيين تعمدوا أن يقودوهم ليلاً حتى لايمروا بأخصب بقعة في إقليمهم تسمى «إيرازا» خشية أن يراها الإغريق أثناء مرورهم بها (١).

عندما اعتلى «باطوس» الثانى عرش قورينى، نجح فى الحث على المزيد من الهجرات الإغريقية للحلول بمدينة قورينى، حيث أدرك أنه ليس في وسع جزيرة «ثيرا» وحدها أن تمده بما يكفى من المعمرين الجدد لتعزيز التواجد الإغريقى في قورينى، فأغراهم بإقطاع كل وافد جديد قطعة من الأرض الزراعية، وهكذا تدفق المهاجرون الإغريق على قورينى، من كل حدب وصوب، خاصة من شبه جزيرة «البيلوبونيز» وجزيرة كريت وباقى الجزر الإغريقية الأخرى، ولم يكن أمام «باطوس» الثانى لكى يفى بالتراماته تجاه الوافدين الجدد سوى اغتصاب أرض الليبيين، فانتزع منهم أراضيهم، ومنذ ذلك الوقت حل العداء الصريح محل العلاقات الطيبة التى كانت قائمة بين الليبيين والإغريق لذا لم يجد «ادكران» زعيم قبيلة الاستستاي الليبية، إلا الاستنجاد بفرعون مصر «ابريس» (واح ايب رع)(٢).

وكان استنجاد الليبيين بمصر أمراً طبيعياً، وذلك للعلاقات الطيبة بينهم وبين مصر على مدى عدة قرون، كما أن الملوك الصاويين كانوا يعتبرون ليبيا ضمن ممتلكاتهم المصرية وربما كان «ابريس» يعمل على ضم عدد جديد من المرتزقة الليبيين(٣) ويرى «لويد» إن جند «الماخيموى» الليبيين هم الذين دفعوا إيريس لمساعدة الليبيين، وفوق هذا وذاك ، وعلاوة على غنى

(١) هيردوت: ٤ : ١٥٨ ،
(٢) Gyles, Op. Cit., p. 32.
(٣) Ibid, p. 33.

هذه المنطقة اقتصادياً، فإن نمو «قورينى» كمدينة إغريقية أصبح ينظر إليها على أنها تهدد أمن الحدود الغربية لمصر، كان ذلك هو العامل الرئيسى للمساعدة المصرية للقبائل الليبية ضد الإغريق[1] ويمكن القول أن الرغبة فى التوسع كانت دافعاً آخر حيث أن إيريس كان من الملوك الصاويين الذين حاولوا بناء إمبراطورية جديدة[2].

وقد حرص الفرعون على أن تكون الحملة برمتها مؤلفة من الماخيموى والمصريين حيث منع العناصر الإغريقية العاملة فى جيشه من الالتحاق بهذه الحملة خشية خيانتهم وانحيازهم إلى بنى جلدتهم إغريق قورينى[3] إلا أنه من المعروف أن المرتزقة بصفة عامة يعطون ولاءهم لمن يدفع لهم أكثر بصرف النظر عن العدو الذى يحاربونه، فقد حارب مرتزقة من الإغريق ضمن صفوف الجيش الفارسى والمعروف أن الفرس هم ألد أعداء للإغريق[4].

كما تبرهن الأحداث بعد ذلك على أن إخلاص المرتزقة ووقوفهم إلى جانب «ابريس»، وأخيراً يمكن النظر إلى الجيل الثالث أو الرابع من المرتزقة الإغريق الذين عاشوا في مصر وحصلوا على أرض لحسابهم، أنهم قد مصروا وأصبحوا مصريين إلى حد ما، وبالتالى كان ولاؤهم لمصر نفسها[5].

---

(١) Loyd, A.E., pp. 17, 343.

(٢) Spalinge, Orientalia, 47, pp. 12 f.

(٣) Kienitz, Op. Cit., p. 29.

(٤) Parke, H., **Greek Mercenary Soldiers**, Oxfrord, 1933, pp. 23 f.

Olmstead, **Hist. of the Per. Emp.**, pp. 245.

Burn, A.R., **Persia and Greek the Defence of the West 546 - 478 B.C.**, London, 1962, pp. 236 f.

(٥) هيردوت ٤ : ٤ - ١٢ .

وهكذا يبدو أن دوافع «ابريس» فى أن تقتصر الحملة على جنود الماخيموى والمصريين دون المرتزقةالإغريق هى، أولاً اعتقاده الخاطئ بضعف قوة قورينى العسكرية بالإضافة إلى أنه ربما كان لايثق فى ولاء الماخيموى لذا أرسلهم إلى المعركة وأبقى على من يثق فيهم من المرتزقة حتى يحافظوا على أمن المملكة، وكان هذا الموقف قد أُتُخذ ذريعة ضد الفرعون وإتُهم على أثره بأنه دبر هذه الحملة للتخلص من المحاربين المصريين والماخيموى حتى يزداد تسلطاً على مصر(١).

خرج جيش «قورينى» الإغريقى لملاقاة الحملة المصرية، حيث عسكر الإغريق فى إقليم «إيرازا» الذى يعتبر الحد الأقصى للأراضى الخصبة فى قورينى من ناحية الشرق وهناك من يرى أن «إيرازا» كانت عند «أم الرزم»(٢) إلا أن «إيرازا» لو كانت حقاً عند «أم الرزم» فإن هذا يعنى أن القورينيين قد ارتكبوا مجازفة يصعب تصورها، بالابتعاد عن إقليمهم مسافة تقدر بحوالى مائتى كيلومتر، والتوغل وسط إقليم الليبيين المعادين لهم مما يحملهم عبء نقل مؤنتهم وعتادهم مسافة طويلة فى منطقة وعرة، ويعرضهم لقطع خطوط الإمدادات، وكذلك وقوعهم نهباً لحرب العصابات من جانب القبائل الليبية وإذا لم يكن معقولاً ولا مقبولاً أن يقدم القورينيون على مثل هذه المجازفة بالذهاب إلى أم الرزم وهى البعيدة عن الطريق الساحلى المألوف، فإنه لم يكن كذلك معقولاً ولا مقبولاً أن يضيف الجيش المصرى إلى متاعب زحفه الطويل من مصر، متاعب أخرى بأن يترك الطريق الساحلى المألوف ويشق طريقه عبر الصحراء، بمعنى آخر فإن «أم الرزم» لم تكن الموقع المناسب من الناحية الاستراتيچية لكلا الفريقين وعليه

(١) عبد العزيز صالح: **مصر والعراق**، ص ٣٠٦ .

(٢) **Pacho, Voyage dans la Marenaique - la Cyrenaique**, Paris, 1979, p. 83.

لابد أن تكون «إيرازا» هذه قريبة من الساحل أو على الساحل نفسه، ربما عند درنة[1].

ظل الجيش الإغريقى المزود بمؤن كافية يترقب وصول الحملة المصرية التى لابد وأن يكون عبورها الشاق لمسافات صحراوية طويلة قد أنهك جنودها، ثم اندلعت المعركة بين الجيشين قرب نبع «ثيستس» (عين مارة قرب درنه) الذى اختاره الجيش الإغريقى كمسرح للمعركة بسبب توافر المياه هناك ، وعجزت القوات المصرية عن مقارعة إغريق قورينى فأبيدت أعداد كبيرة من تلك القوات التى لم يتمكن من الإفلات والعودة إلى مصر سوى قلة من العناصر المهزومة، وقد انعكست نتائج هذه المعركة على كل من مصر وليبيا، حيث أن هزيمة الحملة المصرية كانت السبب المباشر فى الثورة ضد «ابريس» والتى أدت فى النهاية إلى الإطاحة به وتنصيب «أحمس» الثانى (امازيس) خلفاً له، أما فى ليبيا، فقد تحولت قورينى من بلدة محدودة السكان مزعزعة الوجود، تكتنفها المخاطر بسبب وجودها وسط منطقة غريبة ومعادية، الى مدينة كبرى مكتظة بالسكان ومرهوبة الجانب عسكرياً حتى أصبحت أكثر من ند لمصر مما دفع «امازيس» فرعون مصر إلى اتباع سياسة الوفاق معها حتى أنه تزوج من «لاوديكا» وهى امرأة إغريقية سواء كانت ابنة «باطوس» الثانى أو ابنة أحد أعيان قورينى[2].

ما أن تربع «أركسيلاوس» الثانى على عرش قورينى، حتى بدأت الصراعات بين أفراد البيت المالك، حيث دخل أركسيلاوس فى خصومات مع أخوته وأجبرهم على الفرار من المدينة، فاستجاروا بالقبائل الليبية

(١) ابراهيم نصحى: **أنشأ قورينى وشقيقاتها**، ص ٥٦ .

(٢) هيرودوت ٢ : ١٨١ Trigger, A.E., p. 344

المجاورة، فتوجهوا إلى سهل خصيب على بعد مائة كيلو متر من قوريني وأسسوا هم وأشياعهم مدينة «بارك» (برقة)[1].

ونكاية في اركسلاوس الثانى، قام أخوته بتأليب الليبيين ضده وتحريضهم على الثورة، وما كان هؤلاء فى حاجة إلى التحريض لأنهم لم يكونوا قد نسوا ذكرى اغتصاب والده «باطوس» الثانى لأراضيهم، ومما زاد حنقهم ضد الإسرة الباطية وعجل بقيام الثورة ، هو احتكار أسرة باطوس لتجارة نبات السلفيوم، وكان الليبيون قد اعتادوا على تحقيق أرباح كبيرة من وراء جنى وبيع هذا النبات الفريد الذى لم يكن ينمو إلا فى تلك المنطقة والذى اشتد عليه الطلب فى كل مكان نظراً لفوائده الطبية التى لاتحصى، لذا فإن الليبيين تضرروا كثيراً من جراء احتكار ملك قوريني لسوقه، وخرج الملك على رأس قواته لقمع التمرد، غير أن الليبيين كانوا قد استوعبوا نتائج هزيمة المصريين فى إيرازا، فرفضوا الدخول فى معركة فورية ضد إغريق قوريني، وفضلوا استدراج جيشهم بعيداً باتجاه الشرق، واخذ اركسيلاوس يطاردهم حتى مشارف الصحراء، وعندما وصلت جموع هؤلاء إلى مكان يسمى «ليوكن» رأى الليبيون أن الفرصة أصبحت مناسبة لخوض المعركة ضد الجيش الإغريقى، وتمكنوا من سحقه، وبذلك انتقموا لهزيمة حلفائهم المصريين فى إيرازا، وقتل اركسيلاوس الثانى على يد أخيه الذى أعلن نفسه وصياً على باطوس الثالث[2] وكان من نتائج هذه المعركة، أن ضعفت قوريني وبرزت «برقة» لتأخذ مكان الصدارة بين مدن قوريناثية، كما أن المصلح «ديموناكس» (الذى أحضره باطوس الثالث لإصلاح الوضع فى قوريني) أدرك أهمية العنصر الليبى وتأثيره فى وضع

(١) هيرودوت ٤ : ١٦٠ Boardman and Hays, **Excavation at Tocra**, London, 1966; p.13

(٢) Burn, A.R., **The Lyric Age of Greece**, London, 1960, p.139

قورينى فحاول ضم طبقة «البيرى اويكوى» [1] مع الطبقة الأولى حتى يرضى الليبيين خاصة وأنهم متحالفون مع الفئة المتمردة على السلطة الملكية، وبذلك هدأت الأمور، ولم تقع أية مصادمات طيلة عهد باطوس الثالث الذى التزم باصلاحات «ديموناكس».

ويجب الإشارة هنا إلى انه ربما كان لمصر ضلع كبير فى هذا التمرد وانتصار الليبيين، فالليبيون استدرجوا الإغريق جهة الشرق ربما لكسب الوقت حتى يصل مدد مصرى كان فى الطريق إليهم، فلو لم يكن هناك وعد مصرى بهذا المدد لكان الأجدى أن يتجه الليبيون جنوباً لاستدراج الإغريق فى المناطق الصحراوية، كما أن هناك من يذكر تأييد خارجى لهذه الثورة، كما أن بعض العناصر المقيمة فى المدينة الإغريقية والمؤيدة لمصر قد ساعدت «ليارخوس» على قتل أخيه[2] وهذا يشير دون شك إلى وجود حزب مؤيد لمصر داخل قورينى، وان مصر كانت على اتصال بهؤلاء المؤيدين لها. ومن نقش يرجع تاريخه إلى فترة حكم ملك بابل «نبوخذنصر» الثانى والذى يتحدث عن حملة قادها الملك البابلى ضد جيوش فرعون مصر

---

(١) يرى بعض المؤرخين أن هذه الطائفة تمثل الليبيين المتأغرقين الذين ساهموا فى إنشاء مستوطنة قورينى وتعاونوا مع المستوطنين الأوائل فى زراعة أراضيهم، وتزوج المستوطنون من بناتهم، أو أن هذه الفئة هم أبناء النساء الليبيات من آباء إغريق، ولذلك مُنحوا حقوق المواطنة ووضعوا مع الطبقة الأولى. انظر مصطفى عبد العليم : المرجع السابق، ص ١٣٢ .

Jones A., **Cities of the Eastern Roman Empire**, Oxford, 1937, p. 353.

وإن كان «شامو» يرى أن هذه الطائفة كانوا إغريقاً يعيشون فى الريف لأن الإغريق لا يُدخلون فى عداد مواطنيهم العناصر غير الإغريقية. شامو: الأغريق فى برقه، ص ٧٨، وإن كان الباحث يرجح الرأى الأول، لأن مستوطنة قورينى زراعية الطابع، فلعل الأغريق قد استعانوا بالأهالى من الليبيين فى مجال الزراعة التى يتقنها الليبيون وخاصة زراعة الحبوب التى اشتهر بها الإقليم، وقد وضعهم ديموناكس ضمن الطبقة الأولى لتصحيح وضع خاطئ خاصة وإن كان ديموناكس جاء إلى قورينى عقب انتصار أخوه الملك وحلفاؤهم الليبيين، وبهذا يرضى يموناكس الليبيين من ناحية ويعترف بالأمر الواقع من ناحية أخرى.

«أمازيس» حوالى ٥٦٨ ق.م خلص «مازارينو» إلى القول بأن النقش يفيد اشتراك إغريق قوريني تحت قيادة «ليارخوس» (الذى اغتال أخاه اركسيلاوس الثانى) فى خوض الحرب المصرية ضد الكلدانيين بجانب حليفهم المصري «أمازيس»(١).

إلا أن هناك من يرى أن هذا الرأى يرتكز على حجة واهية، بحجة أن النقش المسمارى المذكور قد تعرض لكثير من التشويه وطمس الكلمات بحيث يصعب على المرء أن يستنبط منه نتائج تاريخية مؤكدة، ويستطرد صاحب هذا الرأى مستنكراً إمكانية فرض امازيس حمايته على قورينى حتى أنه يشرك قواتها الإغريقية فى حربه ضد الكلدانيين فى الوقت الذى هُزم هو نفسه على يد هذه القوات فى إيرازا، كما يرى أنه ليس من المعقول أن يرسل ملك قورينى الإغريقى مشاة جيشه المسلحين إلى مصر دون أن يذكر هيرودت هذا الحدث الهام فى تاريخه ولو فى بضعة سطور، وأخيراً فإن صاحب هذا الرأى يستبعد تدخل مصر فى خصومات البيت المالك فى قورينى وما ترتب على ذلك من اغتيال «اركسيلاوس» الثانى، بحجة أن هذا الأمر لم يذكره إلا قلة من المؤرخين المتأخرين من أمثال «بلوتارخ» بينما لم يشر إليه هيردوت مع أنه المصدر الأساسى فى تاريخ هذه المدينة، وهكذا فإن هذه الأسباب مجتمعة تحمل صاحب هذا الرأى على التشكيك فى جدوى ماذهب إليه «مازارينو» واعتباره محض افتراض لايقوم على بينه(٢).

إلا أن الباحث يميل إلى ما ذهب إليه «مازارينو» حيث أنه من الممكن تفنيد ما اعتمد عليه «شامو» فى وجهة نظره، فالنقش المسمارى لم يطمس

(١) شامو: **الإغريق فى برقة**، ص ١٧٥ .

(٢) Wiseman, D.J., **Chronicles of Chaldaean Kings**, London, 1956, pp. 94-95.
Massarino, S., Fra Oriente ed Occidente Ricercbe Di Storia Greca Arebaica, Florencc, 1947

عن آخره، وربما توصل «مازارينو» إلى ما توصل إليه من خلال ما تبقى من النص خاصة الأسماء، فكيف لهذا الرجل البحاثة أن يذكر مثل هذه الأسماء دون أن يكون تحت يده ما يؤيد قوله؟ ثم أن هذا النص ذُكر من قبل الأعداء، فلو كان نصاً مصرياً لقلنا أن الفرعون ذكره ليبين سيطرته على ليبيا والتى يرفضها «شامو» ونحن معه فى هذا الرفض، اعتماداً على سياسة «أمازيس» السليمة والتى أراد بها أن يضم إلى جانبه أكبر عدد من الحلفاء ضد الأعداء على الحدود الشمالية، الشرقية إذا ربما كانت هذه القوات تطوعاً من جانب «ليارخوس» رداً للجميل الذى أسداه امازيس فى صراعه مع «اركسيلاوس» الثانى، ثم يتعجب «شامو» من اشتراك قوات إغريقية فى جيش «أمازيس» بعد هزيمة جيشه الأخيرفى يرازا ويبدو أن شامو قد نسى أو تناسى زواج أمازيس من «لاديكه» الإغريقية، ونسى هدايا الفرعون بل ومساهمته فى إعادة بناء معبد دلفى وكل هذا حدث بعد هزيمة جيشه فى إيرازا، والمعروف أن السياسة لا تعرف العاطفة، فأعداء اليوم يمكن أن يكونوا أصدقاء الغد والعكس صحيح، (وسوف نرى تحالف الإغريق والفرس ألد الأعداء ضد الليبيين) حيث أن «أمازيس» كان قد تحالف مع «باطوس» الثانى (كما أسلفنا) أما اركسلاوس الثانى فكان يتصف بشخصية معاكسة لأبيه حتى أنه لقب بالعنيد، وربما نقض حلف أبيه مع ملك مصر الذى وجد بدوره الفرصة سانحة فى الحرب الأهلية بين اركسيلاوس واخوته، فشجع الثورة وانتصر الليبيون وتمكن «ليارخوس» من قتل أخيه وأصبح وصياً على العرش فكان عليه أن يظهر ولاءه واعترافه بفضل مصر.

أما ثانى الأدلة التى اعتمد عليها «شامو» هو أن هيردوت لم يذكر هذا الحدث الهام فى تاريخه ، إن الذى لا مراء فيه هو أن فقرات الكتاب الليبى

بالذات تفتقر إلى طراز ذلك الجهد الذى بذله مؤرخنا بشكل جلى عبر بقية فصول وفقرات تاريخه الكبير، ولعل السبب فى هذا التباين هو أن هيردوت لم يقم بتدوين فقرات الكتاب الليبى إلا فى زمن لاحق فلم يتوفر لديه الوقت الكافى لتنقيحه وتحسين نصه فجاء فج الأسلوب والصياغة ويفتقر إلى الحبكة واحكام العبارات، كما أن هيردوت فى أحيان كثيرة يذكر خرافات ليس لها قيمة وفى نفس الوقت لا يذكر أحداثاً تاريخية هامة، كما أنه إذا كان هيردوت قد نجح بوجه عام فى إعطائنا صورة صادقة عن تاريخ قورينى، إلا أن هذه الصورة كانت ناقصة، والحقيقة أن كل ما ذكر هنا من قول «شامو»[1] نفسه ويكفى هذا لتفنيد حجته الثانية.

خلاصة القول أن ملوك مصر الصاويين قد جابهتم إبان حكمهم لمصر مشاغل عاجلة وملحة، إما داخل مصر نفسها، وإما على حدودها الشرقية أو الجنوبية فلم يتوفر لديهم الوقت الكافى لتوسيع دولتهم المصرية باتجاه المناطق الغربية الليبية التى لم يتمكن أقوى أسلافهم من الملوك المصريين إخضاعها اللهم إلا اسمياً، وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد، أن بعض الزعماء الليبيين كانت تربطهم بفراعنة مصر بعض وشائج الولاء الصورى.

(١) شامو: الإغريق فى برقة، ص ٢٠١، ٢٠٥ .

الفصل الرابع

الشمال الإفريقى فى عصر الاحتلال الفارسى

أولاً: مصر

أ- الأحوال الداخلية

١ - الاحتلال الفارسى لمصر

٢- الفرس فى مصر

ثانياً: ليبيا

أ- الأحوال الداخلية

١ - الحالة الاقتصادية والاجتماعية

٢ - الحالة السياسية

ثالثاً: مصر وليبيا

أ - قمبيز

ب- «دارا» الأول

الشمال الإفريقى فى عصر الاحتلال الفارسى (٥٢٥-٤٠٤ ق.م)

أولاً : مصـــــــر

الأحوال الداخلية

أ- الاحتــلال الفــارسى لمصـــر

فى الأيام الأخيرة من عهد الفرعون «أحمس» الثانى (الأسرة ٢٦) كان الموقف الدولى يشتــعل بالمتـغيـرات المصـيـرية لمعظم دول العـالم نتـيـجـة لاحتكاكات وصـدامـات طويلة، فـمنذ حـوالى ٥٥٣ ق.م قـامت ثورة فـى مملكة «ميديا» انتـهت بسقوط ملكها «استياجس» أسـيراً فى قبضـة ملك الفرس «قورش» الثـانى، وبموت «استيـاجس» انتقل ملك دولته إلى الأسرة الفارسية الأخمينية فتضاعفت قوتها[1] كان هذا يعنى انقلاباً وشيكاً فى موازين القوى فى المنطقة، وفى كل لحظة كان ينتظر مد نفوذ الفرس إلى كل أقطار المنطقة.

واتقاء لخطر الفرس عقـد «أحمس» الثـانى (امازيس) حـوالى عام ٥٤٦ ق.م معاهدة دفاع مشترك مع «نابونيد» عاهل بابل و «كرويسوس» ملك ليديا و«بوليكراتس» حــاكم ســامــوس[2] وفـى نفس العــام (٥٤٦ ق.م) قــام «كرويسوس» بشن حرب وقائية ضد «قورش» كانت نتيجتها انتصار الفرس وخضوع كل آسيا الصـغرى لسلطان الفرس، ثم تساقطت بقية دول المنطقة تباعـاً فى القبـضـة الفارسـية سـواء بقـوة السلاح أو بالاسـتسلام دون قـتـال، فخضعت كليكيا ثم القلاع السورية والفلسطينية، كما استسلم الفينيقون [3].

(١) Hall, H. A.; **The Ancient History of the Near East**, p. 529, N.I.

(٢) Hall, **C.A. H3.**, Vol. 2, p. 305

(٣) Herodotus III : 19

Olmstead, **Histo. of Pers; Emp.**, p. 34 - 36 .

چورج رو: **العراق القديم**، ترجمة حسين علوان، ط ٢، بغداد، سنة ١٩٨٦، ص ٥١٣– ٥١٨

معنى ذلك أنه لم يبق فى المواجهة سوى مصر التى كان عليها أن تتوقع الهجوم الفارسى فى أية لحظة، وعمل «أحمس» الثانى (امازيس) كل ما فى وسعه لتتجنب مصر ذلك، إلا أن محاولاته ضاعت سدى، فمع عهد ابنه «بسماتيك» الثالث (٥٢٦-٥٢٥ ق.م) كان العصر الصاوى قد اقترب من نهايته، حيث كان الملك «قمبيز والذى اعتلى العرش بعد مصرع «قورش» يتقدم على رأس جيوشه إلى حدود مصر الشرقية يؤازره بحراً أسطول حربي كبير كانت فينيقيا قد وضعته تحت تصرفه (١).

والحقيقة أن «قورش» كان قد خطط لغزو مصر بنفسه حتى يستكمل هيمنة النفوذ الفارسى على المنطقة بأثرها، ومن ثم رأينا «قمبيز يتابع تنفيذ الخطة بمجرد قضائه على الاضطرابات والمؤامرات التى اندلعت عند توليه العرش، واستكمل تجهيزاته العسكرية، وهناك من يرى أن «قمبيز» كان يهاب غزو مصر لأنه كان يجهل أحوالها الداخلية كما كان يخشى الصحراء ومسالكها الوعرة المجدبة، وساعدته الأقدار على تخطى هذه العقبات وذلك بانظمام «فانيس» أحد المغامرين الإغريق إليه، وكان هذا الرجل قد عاش فى مصر أكثر أيامه يقود فيها فرقة من مرتزقة الإغريق، ثم اضطر إلى الهروب فى عهد «أحمس» الثانى لخلاف وقع بينهما، فوضع «فانيس» خدماته تحت تصرف «قمبيز» وكشف له عن كل مايدور فى مصر من صراع بين الحكومة المصرية والجاليات الإغريقية، كما اطلعه على امكاناتها الدفاعية، وعن أحوالها المختلفة، كما بصره بالمخاطر التى سيلاقيها عند عبوره الطرق الصحراوية المؤدية إلى مصر، ونصحه بالاتجاء إلى البدو الرحل الذين يعرفون مسالك الصحراء وأن يجزل لهم العطاء حتى يدلوه على أقصر الطرق، وقدم شيوخ البدو الجمال المحملة بالمياه وساقوها إلى

(١) Herodotus III : 1; Hall, 2, C.A. H³., p. 310.
عبد العزيز صالح: **مصر والعراق**، ص ٣١١؛ جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٧١

محطات مرور الجيش الفارسى فى طريقه إلى مصر[1] وهكذا تحقق حلم «قمبيز» وقاد جيشه ومعه «فانيس» فضلاً عن نفر من اليهود الذين أصبحوا يدينون بالولاء للفرس منذ أيام «قورش» الثانى الذى فك أسرهم وأعادهم إلى أورشليم مكافأة لهم على خيانتهم للبابلين ومساندتهم للفرس على فتح بابل، ومن هنا كانوا على استعداد للانضمام إلى جيوش «قمبيز» ضد مصر علاوة على أن قورش كان فى نظر الكثيرين منهم بمثابة المسيح المخلص[2] وأخيراً جاءت الأنباء بتجمع الفرس فى غزة، ثم سرعان ما تقدمت جيوشهم نحو سيناء، والحقيقة أن «هيردوت» يعتبر المصدر الرئيسى لأحداث تلك الفترة من تاريخ مصر، فيتحدث عن حداثة سن «بسماتيك» الثالث، وقلة خبرته فضلاً عن تجريد مصر من حلفائها، كما أن جيشها كان يعتمد فى غالبيته على المرتزقة من الإغريق، فإذا أضفنا إلى ذلك خيانة «فانيس» ومساعدة اليهود للفرس، وأثناء القتال قدم إغريق «برقه» خضوعهم لـ «قمبيز»، مما كان له أسوأ الأثر فى نفوس المصريين، فإذا تذكرنا ذلك كله يمكن أن نتنبأ بنتيجة الحرب قبل أن تدور وحاها بين الفريقين.

يقول هيردوت لما اجتاز الفرس الصحراء وأقاموا معسكرهم على مقربة من معسكر المصريين عند المصب البيلوزى وقد صمموا على قتالهم، وهناك انتقم جند المصريين الذين كانوا يتألفون من إغريق وكاريين، من «فانيس» بعد أن جر على مصر جيشاً اجنبياً، وذلك باحضارهم أولاده الذين كان قد

(١) Ghirshman, R., **Iran from The Earliest Times to The Persian Conquest,** London, 1965, pp. 131-136.

Egood, P.G., **The Later Dynasties of Egypt,** Oxford, 1951, pp. 112-113

(٢) عذرا ٦ : ٣-٥؛ أشعيا ٢٤، ٢٨، ٤٥، ١

تركهم فى مصر حين مضى إلى بلاد العجم وأخذوهم إلى الميدان وساقوهم إلى المعسكرين على مرأى من أبيهم يذبحونهم الواحد تلو الآخر على وعاء كبير ثم مزجوا بدمهم الذى تجمع فى الوعاء خمراً وماء فشرب منه كل الجند، واندلع القتال حنيئذ وكان شديداً حتى هلك الكثير من المتحاربين، وفى النهاية اضطر المصريون إلى الانسحاب(١).

انسحب «بسماتيك» الثالث انسحاباً غير منظم لا يمكنه من إعادة تشكيله مرة أخرى، كما لم تسعفه خبرته بحماية المنافذ المؤدية إلى فروع النيل والتى تؤدى بدورها إلى قلب مصر، مما جعل الطرق مفتوحة أمام الغزاة، فتعقبوا أدبار الجيش المصرى إلى «منف» وحاصروها، ويذكر سليم حسن عن المؤرخ «بوليانوس» أن قمبيز اتخذ حيلة طريفة لشل مقاومة المحاصرين، حيث أمر بأن تجمع القطط والكلاب وبعض الحيوانات التى يقدسها المصريون وسيقت فى مقدمة الجيش الفارسى، فلم يجرؤ المصريون على استخدام أسلحتهم خشية أن يجرحوا أو يقتلوا بعض من يمثل ألهتهم (٢).

من الواضح أن «هيرودت» الذى كان يكره الفرس أكثر من حبه للمصريين، قد استنكر هزيمة الجيش المصرى أمام الفرس، فحاول أن يبحث له عن الأعذار والمبررات ما ينفى عنه هذه الهزيمة، فيبرز أن الجيش المصرى لم يقاتل لو قاتل لانتصر ونسى «هيرودت» عوامل الانتصار فى أية حرب، من تسليح وتنظيم وقيادة، وغيرها والحقيقة أن هزيمة الجيش المصرى كانت أمراً واقعاً، فسقطت «منف» فى قبضة الفرس، وقُبض على الملك الصاوى، وبذلك سقطت الأسرة السادسة والعشرون الفرعونية فى مصر وأصبحت ولاية فارسية.

---

(١) Herodotus III : 13

(٢) سليم حسن: **مصر القديمة**، جـ ٣٧٧ .

ب - الفرس فى مصر

كان «قمبيز» الملك الفارسي الأول الذى دخل مصر فاتحاً، وكانت نظريته فى حكمها ترتكز على الاستفادة من أخطاء من سبقوه من الغزاة الآشوريين، الذين فشلوا فى إقامة ما يمكن أن يسمى جسوراً للربط بينهم وبين الشعب المصرى، كما لم يحاولوا الاقتراب من مشاعر المصريين بأن يتخذوا الألقاب الفرعونية مثلاً، أو يرتدوا الزى الملكى المصرى، حتى يحاولوا الاهتمام بالديانة المصرية ومعابدها(١)، وقد اختلفت الحال تماماً باستيلاء الفرس على مصر، فقد أعلن ملوكهم أنفسهم فراعنة، واتخذوا الألقاب الفرعونية العديدة وارتدوا التاج المزدوج توكيداً لسلطانهم على أرجاء مصر، بل أن «مانيتون» نسب إليهم الأسرة السابعة والعشرين الفرعونية بدءاً بالملك قمبيز، وقد سجلت المصادر المصرية محاولات هذا الملك للتوسع التدريجي فى ممارسة المراسم المصرية، واعتناق العادات والتقاليد المصرية، وذلك إكساباً لحكمه وصفة الشرعية، بالإضافة إلى نظام التأريخ الذى وضعه قمبيز لأحداث عهده فى مصر لنفس الهدف، واعتمد هذا التأريخ على اعتبار فتح مصر قد حدث فى وقت أسبق من الواقع أى منذ أن أصبح قمبيز ملكاً على فارس، وهكذا وعلى نفس المنوال أرخ للحوادث التى وقعت بعد فتح مصر، وهذا النظام كان مصرى الأصل فلم يستنكره المصريون(٢).

إلا أن «قمبيز» قد أتُهم باقتراف العديد من الأعمال التى تشير إلى اتباعه سياسة وحشية همجية فى مصر منها قسوته بل ووحشيته ضد

(١) Hall, H. R. " The Persian Invasion "**C.A.H**^{3}., 2, 1975, p. 310.

(٢) Possener, G., **La Permiere Domination Perseen en Egypte**, Caire, 1936, p. 33 NOT.

الديانة المصرية، فمثل بجثث الموتى كما فعل بجثة «أمازيس»، كما أنه طعن العجل أبيس فأدى إلى قتله، كما أنه أمر بفتح القبور القديمة ليشاهد الموتى[1].

ويقول «استربون» في حديثه عن مدينة هليوبوليس «والمدينة الآن مهجورة وهى تضم المعبد القديم المبنى على الطراز المصرى وهو يقوم دليلاً على جنون قمبيز وانتهاكه لحرمة المعابد، وهو الذى أخذ يدنس المعابد تارة بالنار وتارة بالحديد مخرباً ومحرقاً كما كان فعله فى المسلات المقدسة فبعضها لا يزال قائماً والبعض ملقى على الأرض وأكلت النيران معظمه»[2].

أما «ديودور» فيذكر مثل ذلك عند حديثه عن طيبة «ولقد ظلت تلك المبانى قائمة إلى عصور متأخره جداً، أما الفضة والذهب والمصنوعات العاجية الثمينة والأحجار الكريمة فقد نهبها الفرس عندما أحرق قمبيز المعابد المصرية، ويقال أن الفرس نقلوا حينئذ هذه الثروات إلى آسيا وجلبوا الصناع من مصر ليبنوا لهم قصورهم الشهيرة فى برسيوليس وسوسا وميديا[3]..

ويقول «بلوتارخ» كان الكلب قديما في مصر يحظى بأعظم تمجيد، ولكن قمبيز ذبح العجل أبيس ورماه فلم يدن منه أى حيوان ولم يأكل منه سوى الكلب، وبذلك فقد هذا الحيوان منزلته العالية[4].

---

(١) Herodots, III : 16; 27-29; 37

(٢) وهيب كامل: **استرابون فى مصر**، ٢٧

(٣) وهيب كامل : **ديودور الصقلى فى مصر**، ٤٦ .

(٤) بلوتارخوس: **إيزيس وأوزوريس**، ترجمة حسن صبحى البكرى، القاهرة ١٩٥٨، فقره ٤٤ .

كما يشير نص يموطيقى إلى أن قمبيز قد خفض دخل العديد من المعابد إلى النصف حتى عهد البطالمة(١).

كما أن اليهود تفاخروا بعد ذلك فى إحدى وثائقهم، بأن معبدهم لم يمس بينما أجحفت كل معابد الآلهة المصرية بعد غزو قمبيز لمصر(٢) من الواضح هنا أن كل الاتهامات السابقة كانت انعكاساً لما سجله الكتاب الكلاسيك بصفة عامة و «هيردوت» بصفة خاصة، وقد اعتمدت كلها على روايات الكهنة وأفراد الشعب المصرى أى أنها لم تعتمد على مصادر تاتريخية موثوقة لذلك دخلت فيها الخرافات والأساطير، وعلينا هنا أن ندع الآثار تتحدث ربما تأتى لنا ببعض الأسانيد التى تنفى هذه الاتهامات أو على الأقل بعضها.

فقد عثر فى حفائر السرابيوم بمنف على العديد من اللوحات الأثرية التى ترجع إلى العهد الفارسى فى مصر، منها لوحة مؤرخة باليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الصيف من السنة السادسة من عهد قمبيز (أى السنة الثالثة له فى مصر) وقد نقشت هذه اللوحة نسقان من النقوش، الأعلى منها يصور الإله أبيس وعلى رأسه قرص الشمس والحية المقدسة ويعلوه دعاء جنازى يقول «أبيس أتون ذو القرنين على رأسه ليته يوهب كل الحياة»، وفى نفس النسق العلوى صور قمبيز راكعاً تعلوه بعض ألقابه «حورسماتاوى» ملك الوجه القبلى والوجه البحرى مسوتى رع الإله الطيب سيد الأرضين(٣).

(١) Olmstead, Hist. of The Pers. Emp., p. 91

(٢) Cowley, A.E., Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C., Oxford, 1932, Pap. No. 30

(٣) توجد هذه اللوحة حالياً بمتحف اللوفر برقم ٣٥٤ ويبلغ ارتفاعها ٦٦ سم وبعرض ٤٤ سم سمك ٩سم وهي من الحجر الجيري

Posener, Op. Cit., pp 30 - 31
Ibed., p. 33

ويشير الخط العام لمعنى نص هذه اللوحة[1] إلى اهتمام الملك الفرسى «قمبيز» بإله المصريين أبيس إلى حد أنه أمر بأن تقام نحوه كل الشعائر والطقوس المعتادة قبل دفنه شأنه فى ذلك شأن أى ملك مصرى، ورغم أنه لا يوجد ما يؤكد أن قمبيز قد أمر بإقامة هذا الاحتفال بالفعل أو اشترك فيه بنفسه، فإن احتمال قيامه بذلك وارد أيضاً حتى ولو كان دافعه ساسياً كى يمتص عداوة المصريين.

كما وجد فى حفائر سرابيوم منف أيضاً تابوت من الجرانيت للإله ابيس وعلى غطاء التابوت عمود من النقش يقول «حور : سماتاوى، نسوبيتى(مسوتى رع)، سارع: (قمبيز) عاش للأبد قد عمل بمثابة أثره لأبيه اوزير أبيس تابوتاً عظيماً من الجرانيت مصنوعاً بواسطة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (مسوتى رع) ابن رع (قمبيز) معطى كل الحياة وكل الدوام وكل الازدهار وكل الصحة وكل السعادة متجلياً بصفة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى إلى الأبد»[2].

ويرى «بوزنير» أن هذا التابوت لابد أن يكون خاصاً بالعمل الذى ذكر على اللوحة الجنازية السابقة حيث أنه العجل الوحيد الذى دفن فى عهد قمبيز[3].

معنى ذلك كما هو واضح من المصدرين السابقين، أن أحد عجول أبيس قد احتفل بدفنه فى العام الثالث من حكم قمبيز فى مصر، كما أن هذا الملك

---

(١) قام بوزنير بترجمة هذه اللوحة

(٢) Parker R.A., "Persian and Egyptian Chromology, "A.J.S.L., 58, 1941, pp. 286 ff
Posener, Op. Cit., p. 36

(٣) Posener, Op. Cit., p. 35

أهدى تابوتاً للعجل أبيس وسجل إهداءه هذا على غطاء التابوت، وهذا فى الواقع يتنافى مع ماذكره الكتاب الأقدمون من أن قمبيز قتل ثوراً مقدساً عن عمد، وعلى ذلك يكون من الصعب التوفيق بين ماذكره هيرودت وغيره من الكتاب الكلاسيك فى هذا الصدد من جهة وبين ماورد على اللوحات الجنازية التى وجدت لعجول أبيس فى تلك الفترة من جهة أخرى.

وهناك أيضاً ما يشير إلى اعتدال «قمبيز»، أو على الأقل ينفى عنه الهمجية التى ألصقها به مؤرخو الإغريق، حيث أنه فى السنة السادسة من حكم «قمبيز» خرج «اتياواهى» الفارسى حاكم قفط على رأس بعثة من عمال المناجم إلى صحراء وادى الحمامات لاستخراج الأحجار اللازمة لترميم المعابد، مما يشير إلى اهتمام «قمبيز» بإصلاح ما تلف من المعابد المصرية[(١)].

كما تشير المصادر المصرية إلى أن قمبيز قد اتخذ لنفسه ألقاب الفراعنة التقليدية المتوارثة غير أنه لم يعثر من الألقاب الخمسة سوى على ثلاثة فقط حتى الآن وهى: اللقب الحورى سماتاوى (موحد الأرضين) واللقب النسوبيتى: مستوى رع (وليد رع)، والإسم السارع: قمبيز، وإلى و«جاحررسنت» يعود تدبيج هذه الألقاب ذات المعانى السياسية، والدينية، وربما كانت تمثل بالنسبة «لوجاحرسنت» المدخل إلى التأثير على قمبيز حتى أقنعه بأن يعيد إلى معابد مدينته دخلها المقدس وإعادة إقامة طقوسها الدينية وكذا تقديم القرابين للإله أوزير، وبلغ الموقف غايته عندما ذهب قمبيز بنفسه إلى تلك المدينة التى كانت مقر ملك اسلافه من المصريين

---

(١) Couyat, J., & Montet, P., "Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du Ouadi Hammamat "**M.I.F.A.O.**, 34, 1912, pp. 164 f.

ليسجد أمام الآلهة «نت» ويقوم بنفسه بتقديم قربان عظيم إليها وذلك يتنافى تماماً مع ذكره «هيردوت» آنفاً أن قمبيز عندما قدم إلى سايس قام بهتك حرمة ضريح أمازيس[1].

يؤكد «هيردوت» بطريقة غير مباشرة احترام قمبيز للديانة المصرية وذلك عندما يذكر أنه اعتقد فى نبؤة وحى بوتو وآمن بها عندما حضرته الوفاة[2].

يذكر سليم حسن نقلاً عن «جريفث وماير» أنه فى عهد الملك «دار» الأول كانت قد نشأت فى مصر عبادة قمبيز مؤسس الأسرة ٢٧، فقد جاء فى مخطوطة يرجع عهدها إلى السنة ٣٥ من عهد «دارا» الأول (محفوظة الآن فى متحف برلين) أن الملك قمبيز كان له كاهن روح مما يشير إلى أنه كان يعبد آنذاك، وربما كان فى ذلك ما يرجح فكرة رضاء الشعب المصرى عنه[3].

وعلى الرغم مما ذكر سلفاً، فإنه من الصعب أن نؤكد سماحة قمبيز ونبرئ ساحته تماماً من مظاهر القسوة والعنف الذين ارتبطا باسمه فى أغلب الكتابات، ولكن يمكن فقط أن نبتعد به عن المغالاة فى القسوة وسفك

---

(١) من المصادر المصرية القديمة التى تنبئ بتقبل قمبيز للديانة المصرية ومحاولته لأن ينخرط فى سلك فراعنتهم والتلقب بألقابهم، بل أنه لم يستنكف كما ظهر بالكلمة والصورة، من أن ينحنى أمام آلهة المصريين ويتقدم إليها بالقرابين شأنه فى ذلك شأن أى ملك مصرى، هذا المصدر هو تمثال وجد حرر سنت والموجود فى الفاتيكان، وقام بوزنير بترجمة نصوصه إلا أن أحدث ترجمة لهذه النصوص قامت بها مريام ليشتهايم انظر

Posoner, **La Premiere Domintion**, pp. 1 f.

Lichtheim, M., **Ancient Egyptian Literature**, Vol. 3; **The Lat Period**, California, 1980, pp. 36-40

(٢) Herodotus, III : 64

(٣) سليم حسن: **مصر القديمة**، جـ ١٢ ص ٨٠-٨١ .

الدماء أما ما بدر منه من بطش فى بداية عهده، فهو شئ يضطر إليه أى غاز فى كل زمان ومكان حتى يثبت أقدامه ويضمن خضوع الشعب المهزوم ويأمن مقاومته، وما حدث من تدمير لبعض المنشآت الدينية المصرية فى بداية الغزو لم يكن بالضرورة بأوامر خاصة من قمبيز بدليل ما يحمله نص «وجا حرر سنت» من أوامر الملك بطرد المعتدين من رجاله وإعادة ترميم تلك المنشآت، كما أنه كان مصراً على أن يتخذ موقفاً متشدداً من امتيازات بعض المعابد خاصةً تلك التى كانت تدبر الثورة ضده.

وأخيراً يمكن القول أن النصوص التي اتهمته بالقسوة بل وبالجنون، قد اكتفت بجوهر الدعاية الوطنية التى شاعت بتعضيد من الإغريق فى أعقاب انتصارهم على الفرس فأخذوا يؤججون بعناية فائقة نار كل ما يسئ إلى ذكرى خصومهم القدامى، ولا ينبغى أن ننسى هوية هؤلاء المؤرخين المناوئة للهوية الفارسية على طول الخط، فمن غير المستبعد أن يكون لذلك تأثير المتحيز فى كتاباتهم.

أما الملك «دارا» فقد كان تعامله مع مصر والمصريين يقوم على الحصافة والفطنة واللين كما أنه كان رجلاً من الطراز الأول، فعمل بجدية على أن يكون واضحاً وعملياً فى فرعونيته لمصر، والمرجح أنه نجح فى ذلك، فعندما وصل إلى مصر كان المصريون يقومون بالطقوس الجنازية للعجل أبيس الذى ولد فى عهد «قمبيز»، وهنا أمر «دارا» بمنحة قدرها مائة تالنت من الذهب للكلاف المخصص لخدمة أبيس الجديد مما أدهش القوم لهذا الكرم والاهتمام بمقدساتهم حتى أنهم اعجبوا بـ «دارا» وكفوا عن ثورتهم ضده وارتضوا حكمه، وقد شارك «دارا» فى احتفالات دفن ابيس، وما زالت اللوحة الجنازية لهذا العجل أبيس فى تلك المناسبة باقية، وهي تشابه كثيراً مع نظيرتها السابقة من عهد قمبيز، حتى اللقب الحورى ترك خالياً هنا

أيضاً[١] وقد أمر «دارا» باستكمال خطة «أمازيس» لإعادة جمع القوانين وتنظيمها[٢] وكانت تلك البادرة بمثابة المخدر الذى سكن من روح المصريين وامتص ثورتهم لفترة طويلة، وربما كان ذلك تعبيراً منه لوجهة نظره من أن خير وسيلة لحكم رعاياه فى مصر هى الأخذ فى حكمهم بتشريعاتهم، ومما يشير إلى سماحته أيضاً ما يذكره الكتاب القدامى من أنه عندما أمر بإقامة تمثال له أما تمثال الفرعون «سنوسرت» فى منف، اعترض الكاهن الأعظم أمام مجمع الكهنة مشيراً إلى أن «دارا» لم يقم بعد بما يفوق أعمال سنوسرت، ولم يغضب الملك لذلك، بل سر من تلك الصراحة ووعد بأنه سوف يعمل على أن يكون نداً لسنوسرت إذا قدر له أن يعيش قدر ما عاش، وطلب إلى الكاهن أن يزن أعمال كل منهما فى نفس العمر مشيراً إلى أن ذلك يمثل أعظم مقارنة بين عظمتيهما[٣].

هناك لوحتان لأحد القادة المصريين يدعى «أحمس بن بايون حور» (محفوظتان بمتحف اللوفر) من عهد الملك «دارا» الأول يشير نص الأولى إلى مركز صاحبه كقائد للجند وإلى أنه المشرف على تجهيز المراسم الواجبة لدفن العجل أبيس فى السنة الرابعة من عهد «داردا» كما يشير النص إلى اجتهاد صاحبه فى العمل على نشر قدسية ألهة بلاده وبث الخوف منهم فى نفوس الأجانب، فيذكر «أحمس» بأنه أمر بمجئ حكام المدن والمقاطعات الشمالية والجنوبية من الفرس وغيرهم إلى منف لتقديم الهدايا إلى أبيس المتوفى [٤] وفى ذلك دلالة واضحة على مكانة «أحمس»، حيث أنه لقب فى اللوحة الثانية بأنه القائد الأعظم للجنود مما يشير إلى

(١) Posener, Op. Cit., pp. 36 f.

(٢) Olmstead, A.T., "Darius as Lawer "A.J.S.L., L 1, 1935, pp. 274 f.

(٣) هيردوت : ٢ : ١١٠ ، ديودور ١: ٥٨ .

(٤) Posener, Op. Cit., pp. 41 f.

ترقيته في السلك العسكرى تحت رعاية الملك الفارسي، ونص هاتين اللوحتين يشير على الأقل إلى مدى الرعاية والاهتمام والاحترام الذى كان يبديه الفرس نحو العقيدة المصرية على خلاف ما أشيع من قسوتهم فى حرق وتدمير أماكن العبادة فى مصر.

هناك أكثر من دليل يشير إلى أن «دارا» الأول قد اتبع في حكمه لمصر مبدأ توكيد شرعيته كفرعون، من ذلك إقامته معبد هيبس الضخم الذى مازال فى حالة جيدة حتى الآن فى واحة الخارجة والذى كرس لعبادة الإله «آمون» وما زالت ألقابه الملكية منقوشة ضمن نص على الجدار الخارجي الغربى لهذا المعبد، وقد فقدت بداية النص وضاع معها لقبه الحورى[1].

وقد استغلت محاجر وادى الحمامات للحصول على الحجارة اللازمة لبناء المعبد وتشير نقوش حاكم قفط الفارسى المدعو «اتياواهى» وأخيه «أيراوارتا» على صخور الوادى إلى تمصر الكثير من الإجانب واتخاذهم من آلهة مصر ارباباً لهم، كما غيروا أسمائهم الفارسية إلى أخرى مصرية مثل «ايراوارتا» الذى استبدل اسمه بالإسم المصرى «جد حر»، كما ظهر في نقوشه وهو يتضرع لكلٍ من الإله مين والإلهة ايزيس والإله آمون رع[2].

وقد اهتم «دارا» الأول بنواحى الإصلاح فى كل مرافق مصر خاصة فيما يختص بالزراعة والتجارة مما كان له أثره الكبير فى تنمية موارد البلاد، وشهدت مصر فى عهده استزراع بعض المحاصيل لأول مرة فى أراضيها مثل السمسم، كما أمر ولاته باستخدام الكتابة المسمارية مع الكتابة المصرية فى تدوين أوامرهم[3] كما كان لشبكة الطرق التى أمر

(١) Ibid., p. 17, Note 7 f

(٢) Posener, Op. Cit., pp. 117 f.

(٣) جاردنر : مصر الفراعنة، ص ٣٩٨ .

«دارا» بإقامتها للربط بين عاصمة الإمبراطورية «سوسا» وبين شتى أنحاء الشطربيات حتى النائية منها وأثرها الواضح فى تواجد السلطة المركزية فى كل مكان وفي كل وقت سواء بالرسائل أو بالانتقال السريع، وكان لنظام الحكم فى الشطربيات الذى وضع أساسه «دارا» ما وفر له السيطرة على ناصية الأمور فقد تفادى تجميع سلطة حكم الشطربية فى يد رجل واحد فعين لكل منها شطرباً وقائداً ووزيراً، كل مستقل عن الآخر وعليه أن يتقدم بتقاريره مباشرة إلى الإدارة المركزية فضلاً عن قيام المفتشين من أعلى الدرجات بمفاجأة الشطربية بصحبة قوات مسلحة بالتفتيش وعقاب أى خارج على القانون، فضلاً عن موظفى الملك الخصوصيين الذين كانوا يمثلون عيون الملك وآذانه فهم دائمو التحوال فى أرجاء المملكة يتجسسون على الحكام ثم ينقلون إلى الملك ما قد يخفى عنه(1).

وقد ظلت السياسة الحكيمة التى اتبعها «دارا» فى حكمه لمصر خير واقٍ من تذمر المصريين حتى أواخر أيامه عندما اصطدم بالإغريق فى حروب متصلة شجعت المصريين على ثورة شعبية جارفة هبت فى مصر حوالى ٤٦٨ ق.م، أما «اكزر كسيس» فلم يكن فى مثل حصافة أبيه وحكمته فى معالجة أمور دولته، فلم يحفل بمشاعر المصريين بعد قمع ثورتهم، فوضع مصر تحت إدارة أخيه «أخمينس» وعينه شطرباً عليها وأطلق يده فيها، وكانت سياسته تتسم بالعنف والقسوة، فصادر املاك العديد من المعابد، وأصبحت معاملة الأهلين من قبل الفرس أكثر فظاظة ويذكر «هيردوت» أن مصر قد عادت – من قسوة شطربها «أخمينس» – أكثر خضوعاً للفرس مما كانت عليه أيام أبيه «دارا»(2). وبعد أن كان ملوك الفرس يسترضون

(1) Olmstead, Hist. of the Pers. Emp., pp. 141.

(2) Herodotus, VII : 7

شعوب الحضارات القديمة الذين يحتلون أرضهم وذلك بالسماح لهم باتخاذ حكامهم القدامى من الأسرات الملكية الوطنية بعد تعهد هؤلاء بالولاء والخضوع للعاهل الفارسي، فإن «اكزر كسيس» كسر هذا التقليد تماماً فأصبح يعين الفرس والأجانب حكاماً وشطاربة على أقطار المملكة فكان ذلك سمة بارزة من سمات عهده التي طبقت في مصر، وحتى النقش الذي سجل على تابوت ابيس في أواخر عهد الملك «دارا» وكان به فراغ متروك ليسجل فيه اسم خليفته، تناسى الكهنة المكلفون بدفن ابيس أن يسجلوا اسم الملك اكزر كسيس في هذا الفراغ [1]. انتقاماً منه لرفضه الاشتراك أو حتى السماح بإقامة تلك الطقوس المقدسة المعتادة في تلك المناسبة.

ومن نصوص عهد اكزر كسيس يتضح أنه اتخذ الألقاب الفرعونية على غرار سلفيه «دارا» و «قمبيز»، بالرغم من أنه لم يستمر في مصر طويلاً إلا ريثما أخمد ثورة المصريين وأطلق يد أخيه في شئون مصر[2].

(١) Olmstead, **Hist. of The Pers., Emp.**, p. 236

(٢) Lichtheim, Op. Cit., p. 42

ثانيا : ليبيـــــا

أ-الأحـــوال الداخليـــة

١ - الاجتمـاعية والاقتصـادية

ذكر هيـردوت أن من اصـلاحـات «ديموناكس»[١] تقسيم أهـالى قورينى إلى قـبـائل ثلاث والتى يفـتـرض أنهـا حلت مـحل القـبـائل الدورية الثـلاث القديمة، تضم القبيلة الأولى المهاجرين من ثيرا والبيرواويكى، وتضم الثانية المهاجرين من البلوبونيز وجزيرة كريت، وتضم الثالثة المهاجرين من الجزر الأخرى.[٢].

يتضح من هذا التقسيم عدم ذكر القبائل الليبية، بمعنى أنهم لم يكن لهم حق المواطنة فى قورينى، وكما اسلفنا، فإن تغلغل الاستيطان الإغريقى فى داخل ليبيا كان يثير - على الدوام - ردود افعال عدائية لدى الليبيين الذين كانوا فى سوادهم الأعظم من الأقوام الرحل ورعاة الماشية والأغنام، ولم تستسلم القبائل الليبية القديمة التى دفع بها المستعمرون بعيداً نحو الداخل لهذا المصير، ولم تقبل بانتزاع الإغريق لأفضل أراضيها، فقاومت بكل ماكان باستطاعتها إلى أن انتهى الأمر بإرغام هؤلاء الوافدين على التزام العيش داخل حزام محدود على الشريط الساحلى، فهل يمكن أن نفترض امكانية تفكير الإغريق فى أن يدمجوا جانباً من الليبيين الذين كانوا قد هزموهم فى معركة ليوكن، فى صفوفهم؟ والحقيقة أنه لم يحدث قط أن منح الإغريق حقوق المواطنة إلى فئة كاملة من الليبيين، وإن كان المولدون (ابناء الإغريق من سن زواج بليبيات) وحدهم قد سمح لهم بذلك،

---

(١) ديموناكس مشرع إغريقى جاء من مدينة مانتينى الإغريقية.

(٢) هيرودوت ٤ : ١٦١ .

حيث تشير الوثائق النقشية (التى لا تكاد تخلو من قوائم الأسماء التى كانت متداولة فى المدينة) إلى عدم وجود أسماء ذات أصل ليبي إلا بعض استثناءات نادرة مثل اسم «الأزير» و «باكال»، وحتى هذه لم يمكن تفسيرها بأن أصحابها ليبيون منحوا حقوق المواطنة بصفة شخصية، أو أنها مجرد ألقاب مستعارة، معنى ذلك أن الليبيين لم يسمح لهم بممارسة حقوق المواطنة الكاملة فى قورينى حيث أن المولدين وذرياتهم لا تمثل العنصر الليبى الخالص[1].

وبناء على تقسيمات «ديموناكس» لم يكن العنصرالليبى ممثلاً ضمن أى طبقة من الطبقات الثلاث وبالتالى لم يكن من السهل تحديد علاقات الليبيين بالوافدين الإغريق، وإن كان هناك تفاوت فى نوع علاقات الإغريق بالقبائل الليبية، وحوالى عام ٤٤٠ ق. م نرى قورينائية وقد قسمت إلى ثلاث مدن إغريقية وإلى عدد من القبائل الليبية، المدينة الأولى هى قورينى وكانت تسيطر على المناطق الساحلية من مدينة كرسه (غربى درنه) وحتى الإقليم التابع لمدينة برقة[2] أما تغلغل الإغريق فى الداخل فلم يكن معروفاً على وجه التحديد وإن كان هناك حد معين قد توقفوا عنده فى هذا الاتجاه، ربما تكون «مسه» الواقعة عند أقصى وادى الكوف هى أبعد مكان كان تابعاً لقورينى من جهة الغرب، حيث عثر على آثار للإغريق فى هذه البلدة[3] أما من جهة الشرق فقد وجد معبد اسكليبيوس بالقرب من مدينة البيضاء وهذا المعبد كان معروفاً منذ القرن الرابع ق.م، حيث كان قائماً بأعلى موقع يقطنه سكان إغريق فى شرق قورينى، كما عثر فى «نفارنس» (١٦كم شرقى قورينى) على جرار تبين منه أنه كان يعيش فى هذه القرية إغريق

(١) شامو: **الإغريق فى برقة**، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

(٢) هيردوت : ٤ : ١٦٩ – ١٧٢

(٣) شامو: **الإغريق فى برقة**، ص ٢٨٠ .

يمارسون نشاطهم الزراعى، كما عثر فى «الملوده» و «القبة» على آثار هلينية، أما فى الداخل (الجنوب) فقد تم العثور فى بلدة «سلنطة» على رسومات منقورة فى الصخور ذات طابع ليبي قديم[1] وهذا يشير إلى أن الاستيطان الإغريقى لم يتمكن من التوسع والانتشار فى هذه الناحية القريبة من الصحراء.

أما المدينة الثانية فهى «برقة» والتى تقع إلى الغرب من قوريني، ومن المخلفات الأثرية لهذه المدينة، بعض أمثلة العملة التى كانت قد سكتها وقد صور عليها نبات السيلفيوم[2] مما يدل على أن اتجار المدينة فى هذا النبات كان يحتل مكان الصدارة فى اقتصادها، بيد أنه ازاء خصوبة اقليم هذه المدينة لابد كذلك من أنها كانت تنتج حاصلات مختلفة لاشك فى أن الحبوب كانت أهمها[3] وكما ذكر هيردوت فإن «تاوخيرا» (العقورية) كانت تقع فى إقليم برقة وكانت تابعة لها[4].

أما ثالث هذه المدن فهى «يوسبيريدس» ويعتبر تاريخ هيردوت أول مصدر قديم يرد فيه ذكر هذه المدينة وكان ذلك فى معرض حديثه عن موطن قبيلة الأوسخيساى ثم عند حديثه عن حملة ارياندس والى مصر الفارسى ضد برقة، حيث يذكر هيردوت أن الحملة الفارسية تقدمت حتى يوسبيريدس[5].

كانت هذه المدينة بمثابة جزيرة إغريقية وسط بحر من القبائل الليبية،

---

(١) Klaffembach, G., Supplementum Epigraphicum Graecum, IX, 1939,. p. 359.

(٢) British Museum Cataoge, Cyrenaica, p. CL XVI

(٣) ابراهيم نصحي: **انشاء قوريني وشقيقاتها**، ص ٨١ .

(٤) هيردوت ٤ : ١٧١ .

(٥) هيردوت ٤ : ٢٠٤ .

فكانت قبيلة الاوسخساى تفصلها عن اقليم برقة شرقاً كما كانت قبيلة النسأمونيين تقطن الإقليم الممتد جنوباً، وقبيلة الماكاى غرباً، هذا بالإضافة إلى الظروف الطبيعية التى لم تساعد على قيام أى استيطان اغريقى لذلك ظلت هذه المدينة جاثمة حول بحيرة تريتون فى القطاع الساحلى الممتد بين البحر وسلسلة المرتفعات شبه الصحراوية، وبالتالى كانت هذه المدينة تعيش فى عزلة عن بقية المستوطنات الإغريقية[1] هذا بالنسبة للمدن الإغريقية، أما بالنسبة للقبائل الليبية فيمكن توزيعها حسب ما جاء عند هيردوت على النحو التالى، قبيلة الادرماخيداى كانت تعيش عند التخوم الملاصقة لمصر، أما قبيلة الجليجاماى فكانت تقطن المنطقة الممتدة من «بلينوس» (سيدى براني) حتى درنه حيث يبدأ الإقليم التابع لمدينة قوريني، وتعيش قبيلة الاسبوستاى جنوب مدينة قورين، وكما سبق أن ذكرنا كانت قبيلة الاوسخيساى تقطن المنطقة الممتدة بين اقليم برقة ومدينة يوسبريدس، وعند خليج سرت كانت تعيش قبيلتى النسأمونيس والماكاى وكانوا من ألد أعداء إغريق قوريني حيث نرى هاتين القبيلتين تقومان فى عام ٤١٤ ق.م بمحاصرة مدينة يوسبريدس، ومن النقش الذى يفخر فيه خمسة من قادة قوريني العسكريين بأنهم هزموا هذه القبيلة مع جيرانها من قبيلة الماكاى، نستنتج أن هذه القبيلة لابد وان كان لها نشاطاً تجارياً، وأن هذا الصراع مبعثه المنافسة الاقتصادية بينها وبين العناصر الأجنبية التى ايستقرت على الشاطئ الليبي[2] أم فى غرب ليبيا فقد أسس القرطاجيين مراكز تجارية كان من أهما لبدة الكبرى وأويا (طرابلس) وصبراته[3].

---

(١) نصحى: المرجع السابق، ص١١٠ - ١٢٣

Goodchild, G., **Benghazi the Story of the City**, 1962, pp. 1 - 3,4

(٢) Klaffenbach, Co. Cit., p. 77

(٣) Warmington, B.H., "The Semitic Micration to Libya and North Africa", **Libya Antique**, 6, 1986, p. 167.

أما المناطق الجنوبية فكانت تسيطر عليها قبيلة الجرامنت الذين كانت لهم علاقات تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحية ومع الشعوب الإفريقية من ناحية أخرى، وقد استغل الجرامنت موارد المياه المحدودة التى كانت لديهم لزراعة أراضى الواحات وكانت حياتهم دوماً صراعاً ضد الصحراء، ويقول هيردوت ان الجرامنت كانوا يكسون سطح الأرض المالحة بطبقة من التربة ويبذرون عليها البذور[1].

ولازال القليل من الناس يمارسون هذه العادة بالقرب من البحيرات المتناثرة فى الصحراء إذ أن تلك البحيرات التى توجد عادة بالقرب من العيون العذبة، كثيراً ما ترسب على سطحها طبقة من الملح يقوم الأهالى بتغطيتها بطبقة من التربة الغرينية ليسهل زرعها.

وقد اعتمد الليبيون على مياه الأمطار فى الرى، كذلك اعتمد سكان ليبيا الجنوبية على مياه بعض المجارى المائية الدائمة، فضلاً عن مياه العيون والآبار، وكانت مساحة الواحات والأراضى المزروعة أكبر بكثير مما هى عليه اليوم، وقد استخدم الجرامنت وسائل مختلفة لرفع المياه ورى الحقول وحرث الأرضو لم تكن تلك الوسائل تختلف كثيراً عن الوسائل البدائية التى يستعملها سكان فزان اليوم[2].

عرف الجرامنت من الحيوانات المستأنسة الأبقار ذات القرون الطويلة والجلد السميك وهو طراز البقر الذى يعيش اليوم فى السفانا الاستوائية الإفريقية، والحقيقة أن تلك الأبقار قد عاشت فى فزان قبل أن يأتى الجرامنت الذين وجدوا أيضاً الحمير التى كانت تعتبر وسيلة النقل

---

(١) هيردوت ٤ : ١٨٣ .

(٢) محمد سليمان أيوب: **مختصر تاريخ فزان**، ص ٦٨ .

الرئيسية قبل ظهور الحصان بالصحراء، وكانت الخيول أهم ما عنى به الجرامنت فقد كانت عدتهم للحرب وعماد تجارتهم، فكانوا يجرون عرباتهم بواحدة أو أكثر من هذه الخيول وينطلقون بها قاطعين المسافات الطويلة حاملين بضائعهم ومواد تجارتهم فى رحلات كانت تستغرق شهوراً بل سنين فى بعض الأحيان، وقد عرف الجرامنت بطبيعة الحال الخراف والماعز ولا شك أن الرعاة كانوا يقومون برعى تلك الحيوانات مع الأبقار والخيول، وقد اعتمد الجرامنت على الصيد للحصول على جزء من غذائهم، ويشير «لوشيان» إلى أنهم كانوا يقومون بصيد الغزلان والودان وهو نوع من الماعز الجبلى وتشير كثير من النقوش الصخرية إلى أنهم كانوا يقومون كذلك بصيد الزراف، وربما استعملوا لحم هذا الحيوان كغذاء، كما يستعمل سكان فزان اليوم لحم الإبل، وقد دلت الحفريات أن جرمه القديمة كانت مركزاً هاماً من مراكز الصناعة إذ وجد بساقية جبريل شقاف عدد كبير من الفخار كما وجد عدد من الأفران، وقد وجدت نماذج من الفخار المحلى والذى كان تقليداً جيداً لفخار صور، كما أنهم قلدوا القوارير والزهريات الإغريقية تقليداً جيداً، وقد برع الجرامنت فى صناعة الحلى الذهبية فبلغوا فيه درجة كبيرة من الدقة، وصنع الجرامنت الحلى الفضية مثل الأساور وغيرها، هذا وقد بلغت صناعة عقود الزينة درجة كبيرة من الدقة سواء ما صنع منها من الزجاج أو ما صنع من الأحجار الملونة كالفيروز والعقيق الأحمر، أما الأوانى المصنوعة من قشر بيض النعام فقد بلغت حد الكمال، ومع الأسف لم يتم العثور على إناء كامل من هذا النوع، وعثر أيضاً على الكثير من الخواتم البرونزية المطعمة بفصوص من الأحجار الثمينة كالفيروز وغيرها، ورغم العثور على الكثير من المصنوعات الجلدية إلا أننا لازلنا نجهل الأماكن التى كانت بها مناجم الحديد الجرامنتية، والحقيقة أن

خام الحديد موجود فى جهات متعددة من فزان فتوجد فى سرديلى قرب غات، كما توجد كذلك بوادى الشاطئ، إلا أن الروايات التاريخية لا تشير إلى الأماكن التى كان الجرامنت يستخرجون منها حديدهم، ولو أنه لا يستبعد أن يكونوا قد استخرجوه من كلا المكانين السابقين الواقعين على طرق القوافل للشمال والجنوب(١).

والحقيقة أن ليبيا كانت مركزاً لطرق التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فى قارة أفريقيا فالاتصال بين أجزاء القارة قديم قدم التاريخ، فقد عثر فى مقابر عصور ماقبل التاريخ بسواحل البحر المتوسط على الكثير من المخلفات الأثرية التى كانت تصنع من المواد التى لا توجد إلا فى المناطق الاستوائية، كما أن الوثائق المصرية التى ترجع لعصر الأسرات المبكر تشير إلى قيام نشاط تجارى واتصالات ورحلات بين مصر وبلدان أفريقيا الاستوائية، ويبدو أن تلك الاتصالات كانت سهلة وميسرة خلال العصور المطيرة أو حتى بعدها بقليل، إلا أنه منذ بداية عصر الجفاف فترت الاتصالات نتيجة لوجود الحزام الصحراوى الذى أخذ يمد رقعته من المنطقة الواقعة جنوب البحر المتوسط حتى أطراف السفانا الأفريقية، ولا يعنى هذا ان الاتصال قطع نهائياً بل استمرت الصلات بواسطة رجال القوافل والمغامرين، وكان الحمار أقدم حيوان استعمل فى الصحراء اذ تشير الوثائق المصرية إلى أن التجار الأسوانيين كانوا يستخدمون قوافل كبيرة تضم أكثر من ثلاثمائة حمار لعبور الصحراء(٢). كما يشير هيردوت إلى أن الليبيين كانوا يستعملون نفس الحيوان فى تنقلاتهم عبر الصحارى (٣).

ويشير الكاتب اثينى Athenee أيضاً بأن تاجراً قرطاچياً يدعى ماجداً

(١) محمد سليمان ايوب: المرجع السابق، ص ٦٩

(٢) برسند: **تاريخ مصر من أقدم العصور**، ص ١٣٨

(٣) هيردوت : ٢ : ٣٢

كان يستأجر قوافل تحتوى على عدد كبير من الحمير لنقل تجارته من موانى البحر المتوسط إلى أواسط افريقيا وأنه كان يستأجر هذه القوافق من الجرامنت [1].

إلى جوار الحمير كانت الأبقار تستعمل كوسائل للنقل، فقد وجدت رسوم على الصخور تبين الكثير من الأبقار وقد ربطت على ظهورها السروج إلا أنه ليس هناك ما يشير ألى أن الأبقار كانت تجر أى نوع من العربات، لم تظهر الخيول فى الصحراء إلا مع ظهور الجرامنت، وقد امتطى الجرامنت صهوات الجياد، كما أنهم كانوا يستعملون هذه الجياد لجر العربات، وقد سيطر الجرامنت على طرق القوافل الصحراوية ويرجع ذلك لعدة عوامل منها توفر المياه الجوفية وقربها من سطح الأرض ومعرفة الجرامنت للأماكن التى توجد فيها تلك المياه، كما كان لموقع جرمه الجغرافى فى وسط واحة خضراء تتصل بمسالك من الأرض الصحراوية التى تربطها بمدن البحر المتوسط من جهة وبلدان وسط أفريقيا من جهة أخرى، عامل مهم لسيادة جرمة على ماجاورها من المدن، كما كان لوجود حكومة قوية بجرمة أثره فى احترام القبائل الصحراوية للقوافل الجرامنتية المارة بأراضيهم وقد بذل الجرامنت جهودهم لأبقاء الطرق مفتوحة للتجارة بين شواطئ البحر المتوسط وأواسط افريقيا طوال عهود التاريخ التى ظلت فيها جرمة سيدة الصحراء كما أن جَلَد الجرامنت وصبرهم كان من العوامل الفعالة لنجاح رحلتهم الطويلة عبر الصحارى، وتعتبر موانى خليج سرت هى أقرب الموانى لمنطقة السفانا السودانية بافريقيا، كما أن الطرق المارة بفزان تعتبر أسهل المسالك لوسط افريقيا لقرب الواحات بعضها من البعض الآخر، كل هذه العوامل ساعدت على أن تصبح فزان أفضل معبر بين شمال القارة

---

(١) Bovill, E.W., The Golden Treade of the Moors, p. 17.

وجنوبها، هذا بالأضافة إلى أن طريق فزان خالى من البحيرات والمجارى المائية التى يكثر فيها البعوض والحشرات الناقلة للأمراض المعدية كما انه خالى - أيضاً - من الأعشاب التى تعيق سير القوافل والتى يمكن أن تكون مكامن خطر، للصوص والحيوانات المفترسة، ولذا فقد كان للطرق المارة بفزان ميزة على الطرق الأخرى سواء المارة منها بوادى النيل أو تلك الواقعة بين موانى المغرب وافريقيا(١).

علاوة على الطرق المعروفة بين موانى سواحل سرت الكبرى وبلدان وسط افريقيا فقد كان هناك طريق برى داخلى يربط مصر بساحل المحيط الأطلسى، وهو الطريق الذى وصفه هيردوت بأنه يوجد على مسافات مناسبة منه آبار وعيون تساعد على دوام سفر القوافل بين ضفاف النيل والمحيط الأطلسى.

كان الجرمنت يحملون إلى أفريقيا مصنوعات بلدان البحر المتوسط وأهمها الأوانى الفخارية والزجاجية والمنسوجات، وربما كان الجرامنت هم أول من علم الشعوب السوداء بأفريقيا صناعة الحديد، كما أنهم كانوا يحملون إليهم الملح لندرته فى منطقة السفانا الإفريقية، وكانوا يحملون إلى موانى البحر المتوسط الحاصلات الإفريقية وأهمها الحيوانات المفترسة التى كان الكثير منها يصدر إلى حلبات المصارعة بروما، ويشير Bovil أن عدداً من هذه الحيوانات المفترسة كانت تعيش أيضاً فى بلاد الجرامنت(٢).

كان لحاصلات المناطق الحارة سوقاً رائجة فى قرطاجة القديمة وفى لبدة وصبًراته، وكان أهم المنتجات الأفريقية فى تلك الأسواق سن الفيل

(١) محمد سليمان أيوب: المرجع السابق، ص ٧٠ - ٧١

(٢) Bovil, Op. Cit., p. 17 f

(العاج) والجلود والأبنوس والأخشاب ذات الرائحة الزكية والبخور، أما تجارة الرقيق فقد أثبتت البحوث الأثرية أن عدد الرقيق الذى وصل إلى موانى البحر المتوسط كان محدوداً مما يدل على أن تلك التجارة لم تمارس إلا على نطاق ضيق خلال عصور مملكة جرمه، أما المعادن فكان أهمها لدى الجرامنت الذهب، ومن المحتمل أنهم كانوا يحصلون عليه من مناجمه في بلاد النوبة أو نيچيريا، ثم الفضة التى كانت أهم مناجمها فى شمال تمبكتو قرب المنطقة الصخرية التى سجل عليها الجرامنت صور عرباتهم الحربية، ولعل أهم المعادن التي اشتهر بها الجرامنت هو الكاربونكل أو الحجر القرطاجنى، فقد أشار كثير من المؤرخين إلى أن الجرامنت كانو يبيعونه للقرطاجيين الذين احتكروا بيعه بدورهم لعالم البحر المتوسط ولذا فقد سمى باسمهم، وكان هذا الحجر من الأحجار الكريمة أو الثمينة فى العالم القديم بل كان ينظر إليه على أنه حجر مقدس، وقد عثر على نصوص وقطع كثيرة من هذا المعدن فى المقابر الفرعونية وكان الفراعنة يسمونه حجر واوات [1] أو حجر تمح، وقد دلت البحوث الأثرية الحديثة أن محاجر هذا المعدن كانت توجد فى منطقة إيغى زوما [1] وهى عبارة عن تلال متوسطة الارتفاع تمتد شمالاً من سلسلة جبال تبستى، وهى تقع للغرب من تززبو للشرق من الواوات، وكان الجرامنت يقومون كذلك بممارسة التجارة التقليدية فى الأبقار التى كانوا يربون قطعاناً كبيرة منها وكذلك كانوا يقومون ببيع الخيول التي اشتهروا بها فى أسواق برقة وطرابلس، ولقد جاءت هذه التجارة بالخير الكثير على الجرامنت حتى وصلوا وهم سكان الصحراء إلى درجة عالية من الرقي والحضارة والرفاهية[1].

---

(١) B.A.R., IV, pp. 373 -389

(٢) Arkell, Wangnga, p. 18

(٣) محمد سليمان أيوب: المرجع السابق، ص ٧٤ .

٢ - الحالة السياسية

اختلفت الآراء حول الأحداث الرئيسية فى عهد «اركسيلاوس» الثالث، سادس ملوك قوريني من أسرة باتوس، ومصدرنا الرئيسي عن هذا الملك هو «هيردوت» فيزودنا بوصف واضح وان كان مجملاً لأحداث عهده، ويمكن تلخيص ما يتصل بموضوعنا من نصوص «هيردوت» فيما يلي:

بعد وصل سيكيثيا وحملة «دارا» الأول ضدها وتعيين «مجبازوس» قائداً للقوات الفارسية فى أوربا، يشير هيردوت إلى نشاط «مجبازوس» فى الدردنيل قبل أن يبدأ قصة ليبيا بقوله : وهذا ما كان من أمر مجبازوس. وحوالي هذا الوقت أرسلت حملة كبرى أخرى ضد ليبيا أيضاً، فى عهد باتوس الثالث عالج المشرع ديموناكس مشاكل قوريني بوضع دستور أدخل تعديلات هامة على نظم الحكم في قوريني، ظل هذا الدستور قائماً فى عهد باتوس الثالث، ولكن ابنه اركسيلاوس الثالث قرر إعادة الأوضاع إلى ماكانت عليه فى عهد ابائه فنشب نضال عنيف انتهى برحيل اركسيلاوس إلى جزيرة ساموس والتجاء أمه فريتيمى إلى قبرص، كون اركسيلاوس جيشاً فى ساموس وزار معبد دلفى حيث تلقى نبوءة من وحيه، انتصر اركسلاوس على خصومه وعاملهم بقسوة شديدة على عكس نصيحة النبوءة وعندما أدرك فحوى البوءة وما قدرته له من مصير مشؤوم لجأ إلى حمية الأزير ملك برقة حيث قتل الإثنان معاً، طوال بقاء اركسلاوس فى برقة كانت أمه فريتيمي تقوم بأعباء الملك، وبعد مقتل اركسيلاوس فرت فريتيمى إلى مصر لتستنجد بواليها الفارسى ارياندس معتمدة على صنيع اركسيلاوس لقمبيز، حيث أن اركسيلاوس كان قد قدم فروض الولاء والطاعة لهذا الملك الفارسى وفرض على نفسه الجزية، كان قمبيز قد أقام ارياندس والياً على مصر ولكن دارا الأول أعدم هذا الوالى بوصفه ثائراً،

أرسل ارياندس حملة برية وبحرية كان غرضها فى الظاهر الانتقام لمقتل اركسلاوس لكنه فى الحقيقة كان يبغى اخضاع الليبيين، بعد حصار دام تسعة أشهر استولت الحملة على برقة ثم تقدمت حتى «يوسيريدس» (بنغازى) وعادت ادراجها فمرت فى قورينى ثم حاولت العودة إليها ولكن دون جدوى فانسحبت حتى وصلها أمر ارياندس بالعودة إلى مصر.

هذا ما ذكره هيردوت وهى وإن كانت صحيحة فى أغلبها، إلا أن هذا المؤرخ عودنا على أن يثير خلافات حادة بسبب الطريقة التى يعالج بها ما يتناوله من أحداث فالرأى السائد حول الأحداث الرئيسية فى عهد اركسلاوس الثالث وتتبعها وتواريخها التقريبية هى: أنه فيما بين ٥٣٠ و٥٢٥ ق.م فشل اركسلاوس فى صراعه مع ارستقراطية قورينى فذهب إلى ساموس حيث كون جيشاً استعاد به عرشه، وعندما فتح قمبيز مصر فى عام ٥٢٥ ق.م بادر اركسلاوس إلى تقديم فروض الولاء له، وبعد أن دعم اركسلاوس مركزه فى قورينى وفى ريفها، أخضع «برقة» حيث قتل هو والأزير، وأن حملة ارياندس وهى التى يعتبرها هيردوت معاصرة تقريباً لحملة «دارا» ضد سكيثيا سبقت زيارة هذا الأخير لمصر(١).

استمر هذا الرأى مقبولاً إلى أن اعترضت عليه مؤخراً «ميتشل» برأى مؤداه، أن اركسيلاوس الثالث قد ارتقى العرش قبيل عام ٥٢٥ ق.م وهو العام الذى والى فيه الفرس، وكان من شأن هذه الموالاه أن ازداد الصراع حدة بين اركسيلاوس وخصومه ودام من ٥٢٥ ق.م حتى حوالى ٥١٧/ ٥١٨ ق. م عندما فر اركسلاوس إلى ساموس حيث كون لنفسه جيشاً، وفى عام ٥١٧ ق.م عاد اركسلاوس لكنه لم يستطع الاحتفاظ بمركزه في

(١) شامو: **الإغريق فى برقة**، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

قوريني فاسند مهام الملك إلى أمه «فريتيمى» وراح ينشد السلامة في برقة حيث لقى مصرعه(١).

إذن هناك ثلاث نقاط متصلة اتصالاً وثيقاً وهى أولا: الصراع بين اركسيلاوس وخصومه، ثانيا: فرار اركسيلاوس إلى ساموس، ثالثا: تقديم اركسيلاوس فروض الولاء والطاعة للفرس.

من نصوص هيردوت السابقة الذكر يتضح أن ارستقراطية قوريني هى التى فازت بنصيب الأسد من اصلاحات المشرع ديموناكس، ومن ثم كانت العقبة الكبرى دون استعادة اركسيلاوس حقوق آبائه وعندما اراد أن يسترجع تلك السلطات لم يكن أمامه سوى الاعتماد على فقراء المدينة المعادين بطبيعة وضعهم لأثريائها، من هنا وصفت محاولة اركسلاوس لإبقاء الثورة وكأنها محاولة لإقامة حكومة استبدادية(٢).

والحقيقة أن الصراع بين ا ركسلاوس وخصومه كان عنيفاً دون أن يكون طويل الأمد ويؤيد ذلك ما تؤكده المصادر القديمة من نقوش وكُتاب قدماء مثل «اجزتفون» و «اينباس» من أن أبرز وحدات جيوش قوريني فى العصور الكلاسيكية كانت الفرسان والعربات ذات الأربعة جياد، ولا جدال فى أن المورد الرئيسى لهذه الوحدات كانت الارستقراطية وهى خصم اركيلاوس، ولا جدال أيضاً فى أنه متى بدأ الصراع لم يكن فى وسع أنصار اركسلاوس - ومعظمهم من عامة المدينة - الصمود طويلاً أمام الضربات القاصمة التى كانت تنزلها بهم مثل هذه الوحدات، لذا فإن الملك لم يجد فى أنصاره سنداً فعالاً وبالتالى فإن محاولته منيت بالفشل، ففر

(١) Mitchell, B.M., "Cyrene and Persia" J.H.S., 86, 1966, p. 103.

(٢) شامو : الإغريق فى برقة، ص ١٩١ - ١٩٢ .

إلى جزيرة ساموس وهربت أمه إلى سلاميس بقبرص [١].

وإذا صح أن اركسيلاوس قد والى الفرس قبل بداية الصراع وان هذا الصراع قد دام ثمانية أعوام كما ذهبت إلى ذلك «ميتشل»، فلابد إذن من أن يكون الفرس قد قدموا يد المساعدة لأركسيلاوس فى أثناء الصراع، وإذا لم تكن هذه المساعدة كافية لانتصاره وانتهى الأمر بفراره، فلابد أن يستتبع هذا أمران الأول التجاء اركسيلاوس إلى الفرس بدلاً من ساموس لإعانته على استرداد عرشه، والثانى اقبال الفرس عندئذ بكل مالديهم من قوة لمساعدة حليفهم على الأقل حفاظاً على مركزهم فى المنطقة، بيد أنه لا يوجد أى دليل على أن الفرس قدموا أية مساعدة لأركسيلاوس أثناء الصراع، ولم تقدم «ميتشل» حجة واحدة تفسر بها التجاء اركسلاوس إلى ساموس بدلاً من الفرس، وعلى ذلك لا يمكن قبول الرأى القائل بموالاة اركسيلاوس للفرس قبل بداية الصراع مع الارستقراطية، وبأن هذا الصراع دام ثمانية أعوام[٢]. وعليه يميل الباحث إلى ما ذهب إليه «شامو» من أن اركسلاوس انضم إلى الفرس عندما تمكنت جيوش قمبيز فى سنة ٥٢٥ ق.م من دحر الجيش المصرى وأثناء حصار قمبيز لمدينة «منف» بادر الليبيون (إغريق قورينى) إلى توجيه وفد منهم إلى مصر لتهنئة قمبيز بالنصر ولإعلان خضوعهم له، وأبدى قمبيز ارتياحه لموقف اركسلاوس الذى سارع بمحض ارادته إلى الانضمام للفرس ويذكر هيردوت أن اركسيلاوس ارتضى دفع الجزية لقمبيز وجعل قورينى تابعة له، وهذا يعنى أنه

---

(١) Noshy, I., "Arcesilaus III "**Libya in Hisrory**, 1968, pp. 75 -76.
Rowe, A., "A History of Ancient Cyrenaica, New Light on Egypto-Cyrenean Relations Two Ptolemaic Statues Found in Tolmeita "**A.S.A.E.**, 12, 1984, p. 26

(٢) Noshy., Op. Cit., pp. 75 - 77.

أصبح سيد المدينة المطلق، أى بعد عودته من منفاه فى جزيزة ساموس [1].

ولكن متى ارتقى اركسيلاوس الثالث عرش قوينى؟ ترى ميتشل أن ارتقاء اركسيلاوس للعرش كان قبل عام ٥٢٥ ق.م بقليل[2] إلا أنها لم تأخذ فى اعتبارها فراره إلى ساموس وعودته لاسترداد عرشه وكان ذلك قبل أن يغزو قمبيز مصر كما سبق وأن ذكرنا، لذلك فإن هذا اقتراح مقلوب وليس له من الأدلة ما يؤيده.

أما «شامو» فقد اقترح ارتقاء اركسلاوس فيما بين حوالى عام ٥٣٠ - ٥٢٥ ق.م[3] وإن كان هناك من يقترح عام ٥٢٧ ق.م لما لهذا التاريخ من مزايا، منها أن تأريخ الملوك الباطيين السابقين لن يتأثر، ومنها أيضاً أن الصراع يكون قصير الأمد، ثالثاً أنه بذلك يعتبر مدة حكم اركسيلاوس قصيرة وهو ما توحى به نصوص هيردوت[4].

أخذ اركسسيلاوس موافقة حكومة ساموس المحلية إلى استعمال كل الأساليب لإقناع فقراء هذه الجزيرة بالانخراط كمرتزقة فى ذلك الجيش الذى أخذ يشكله هناك توطئة لاسترداد سلطته فى قورينى، واعداً هؤلاء بنحلهم أراضى زراعية يتقاسمونها فيما بينهم [5] وهو هنا لم يعدهم بتوزيع أراضى الليبيين عليهم، إنما وعدهم بتمليكهم ضيعات ومزارع اعدائه دعاة الأرستقراطية الذين طردوه من عرشه، على أية حال فأنه بمساعدة أولئك

---

(١) شامو : الإغريق فى برقة، ص ٧ - ١٩

Rowe, Op. Cit., pp. 26 - 27.

(٢) Mitchell, Op. Cit., p. 103.

(٣) شامو: الإغريق فى برقة، ص ١٩٨ .

(٤) Noshy, Op. Cit., p. 77.

(٥) Rowe, Op. Cit., p. 26.

المرتزقة المجندين فى جزيرة ساموس تمكن اركسيلاوس من الرجوع إلى قورينى بالقوة.

عقب عودة اركسلاوس من ساموس واستعادته لعرشه وسلطته فى قورينى، أخذ يطارد أعدائه وكان معظم هؤلاء قد هربوا من قورينى قبل مجيئه ولجأوا إلى مدينة برقة التى قام فيها نظام حكم ارستقراطى، أما من تمكن من القبض عليه منهم فإنه أرسلهم إلى جزيرة قبرص كى يعدموا فيها، إلا أن أهل مدينة «كنيدوس» [1] نقلوهم إلى جزيرة تيرا، وهذه الإشارة تبين لنا أن الفئة المعادية للباطيين كانت تنحدر على الخصوص من سلالة المعمرين الثيرانيين الأول، وهى السلالة نفسها التى تكونت منها ارستقراطية قورينى التى كانت تحكم فى أراضى المدينة الزراعية وأطيانها، ويبرهن على ذلك رواية الفرن والقوارير التى تضمنتها نبوءة وحى دلفى حيث أن قصر «اجلوماخوس» لم يكن إلا قصر ريفى محصن أقيم وسط ضيعة كبيرة من الضيعات التابعة للمدينة، وأثناء تعقب الملك للأرستقراطيين ومطاردتهم فإنهم فروا إلى اقطاعاتهم وضيعاتهم، غير أنه بعد أن استعاد اركسيلاوس سيطرته على المدينة نفسها، بادر إلى بسط سيطرته على الأرياف المحيطة بها، وبعد أن استقرت الأمور فى قورينى قام بمعاقبة برقة وهذا أمر طبيعى حيث كانت هذه المدينة ملاذ أعدائه، فأخضعها عن طريق القسوة التى عامل بها سكانها[2].

إلا أن «ميتشل» ترى رأياً آخر، فتذهب فى تفسير نصوص هيردوت إلى القول بأن اركسلاوس لم يستطع الاحتفاظ بمركزه فى قورينى فترك أمه

---

(١) كنيدوس: مدينة دورية قديمة من مدن كاريا المطلة على بحر إيجه بآسيا الصغرى، وكانت مستعمرة اسبرطية.

(٢) شامو: **الإغريق فى برقة**، ص ١٩٤ - ١٩٥، ١٩٨ .

تمارس سلطته هناك وذهب إلى برقة (المرج) ينشد السلامة والعافية(١).

والحقيقة أن هذا التفسير لا يمكن قبوله، وبالتالى مايذهب إليه هيردوت من أن اركسيلاوس ذهب إلى برقة خوفاً من الموت الذى أنبئ به، حيث أن برقة كانت مأوى خصومه الفارين من عقابه بعد عودته من ساموس، فلو فعل اركسيلاوس ذلك لكان مثل المستجير من الرمضاء بالنار، كما أن هيردوت نفسه يروى أنه عندما أنفذ «ارياندس» رسولاً إلى برقة مستعلماً عن قتلة اركسيلاوس أجابه البرقيون بأن هذا من عمل المدينة كلها بسبب كثرة الإساءات التى انزلها بهم اركسيلاوس(٢) وأيضاً عندما وصلت الحملة إلى برقة وحاصرتها وطالبت بتسليم قتلة أركسيلاوس، رفض البرقيون ذلك لأنهم كانوا جميعاً شركاء فيما حدث(٣).

ومن العسير أن نتصور كيف كان اركسيلاوس يستطيع إنزال إساءات كثيرة بالبرقيين، أو كيف تأتى أن كل مواطنى برقة كانوا شركاء فى قتله ورفضوا تسليم القتلة مع علمهم بما كان يجره ذلك عليهم من عداوة الفرس، من العسير أن نتصور هذين الأمرين إلا إذا كان اركسيلاوس لم يذهب إلى مدينة برقة لاجئاً ومستجيراً وإنما ذهب إليها غازياً وقام فعلاً باخضاعها وامعن فى إساءة معاملة أهلها(٤). بالإضافة إلى ذلك يحدثنا هيردوت بأنه طوال إقامة اركسيلاوس فى مدينة برقة تولت فريتيمى تصريف الأمور فى قورينى وكانت ترأس مجلس الشورى هناك، ولاشك فى أن فريتيمى ما كانت تتمتع بهذه المكانة لو لم يكن اركسيلاوس سيد الموقف في قوريني وعرشه وطيد الدعائم.

(١) Mitchell, Op. Cit., p. 103

(٢) هيردوت: ٤ : ١٦٧

(٣) هيردوت: ٤ : ٢٠٠

(٤) Noshy, Op. Cit., pp. 67-68

وعلى ذلك يتفق الباحث مع ما ذهب إليه كل من «شامو» و «نصحى» على أن الانتصارات التى أحرزها اركسيلاوس على خصومه فى قورينى وفي ريفها شجعته على أن يوجه اهتمامه بعد ذلك لإخضاع مدينة برقة، تلك المدينة التى كانت منذ إنشائها معقلاً للأوليجاركيه، وكان استمرار استقلالها واحتفاظها بنظمها بعد انتصار اركسيلاوس على خصومه والتجاء بعضهم إلى هذه المدينة، يشكل تهديداً خطيراً على اركسيلاوس، ولا جدال فى أنه إذا لم تكن برقة قد اسهمت من قبل مساهمة فعلية فى الأحداث التى افضت إلى فرار اركسلاوس إلى ساموس، فإنها بعد الأحداث الأخيرة لن تدخر وسعاً فى مساعدة خصومه على مناهضته، كل ذلك كان يملى على اركسيلاوس ضرورة إخضاع مدينة برقة وإقليمها الزراعى وهذا ما حدث بالفعل، حيث كلف اركسيلاوس حماة «الأزير» بإدارة شئونها نيابة عنه، ولابد أن الأزير قد اشتط وتهور مقترفاً بعض التجاوزات والأخطاء في حق أولئك السكان، ولذا فإنه عندما علمت تلك الجماعة من ارستقراطى قورينى و الذين كانوا قد فروا من وجه ملكها إلى برقة، وأشياعهم السياسيين من أهل مدينة برقة، بتواجد اركسيلاوس بها، قاموا بتدبير مكيدة له ولحاميه الأزير واغتالوهما سويا[1]. ونتيجة لذلك فرت «فريتيمى» إلى مصر مستنجدة بـ «ارياندس» الوالى الفارسى وهذا ما سوف نتعرض له فى صفحات تالية.

---

(١) هيردوت : ٤ : ١٦٤
شامو : الأغريق فى برقة، ١٩٨ .

Rowe, Op. Cit., p. 28

ثالثا: مصــر وليبيــــــا

أ-قمبيـــــــز

سبق أن ذكرنا أنه بمجرد دخول «قمبيز» مصر وأثناء حصاره لمدينة «منف» قدم «اركسسيلاوس» الثالث ملك «قوريني» الولاء الكامل للملك الفارسى، وفعلت ذلك أضاً بعض القبائل الليبية خشية أن يوجه هذا الغازى حملة إليهم، لكن ما أن استقرت الأمور «لقمبيز» في مصر حتى فكر فى ثلاث مشروعات فشلت جميعاً، من بينها غزو «قرطاچة (تونس) الفينيقية الأصل ذات الشهرة التجارية، متعللاً بأن هداياها كانت قليلة[1].

ولكن إذا كان هذا هو السبب الذى أذاعه «قمبيز» فلابد أن يكون هناك أسباب أخرى، حيث أنه قد قلل من قيمة هدايا قورينى أيضاً، فلماذا لا يكون من أهدافه غزو قورينى هى الأخرى حتى يثبت سيادته هناك لتكون فعلية بدلاً من السيادة الأسمية التى حصل عليها بخضوع «اركسيلاوس» له ظاهرياً وتقديم الجزية، وربما كان هناك سبب اقتصادى، حيث كانت قرطاچة تسيطر على التجاره بين المناطق الداخلية فى ليبيا وبين بلاد البحر المتوسط، وربما كان فى ذهن «قمبيز» سبب استراتيچى حيث أنه بالاستيلاء على ليبيا وقرطاجه يكون قادراً على غزو بلاد الإغريق من الشرق والغرب عندما تحين ساعة المواجهة بينهما، والحقيقة أنه ربما تكون كل هذه الأسباب مجتمعة وراء تفكير قمبيز فى هذه الحملة، إلا أن حملته هذه انتهت إلى غير نتيجة، لأن أعوانه من الفينيقيين ابوا أن يستعملوا اسطولهم ضد أبناء جلدتهم[2]. وفى ذلك يذكر هيردوت أن الحملة قامت بالفعل بأمر

(١) عبد العزيز صالح : **مصر والعراق**، ص ٣١٢ .

(٢) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٣٩٧ .

قمبيز عن طريق البحر، ولكن بحارة الأسطول الفارسى الفينيقيين رفضوا الإشتراك فى مهاجمة القرطاچيين لما تربطهم بهم من صلات دم ودين، ولأن الفينيقيين هؤلاء كانوا يمثلون قسماً كبيراً وفعالاً فى تلك الحملة، فقد توقف استكمال خطة الغزو وقفلت السفن عائدة بعد امتناعهم وسلبيتهم[١].

أما المشروع الثانى فهو حملته إلى واحة سيوة، ويرى «جريمال» أن الهدف من هذه الحملة ربما يكون السعى وراء وحى آمون تثبيتاً له فى زعامة مصر[٢]. وإن كان «هيردوت» يرى أن الهدف هو تحطيم معبد «آمون» نتيجة تنبأ كهنته بسوء المصير لقمبيز وفتوحاته، فأراد أن يلقن هؤلاء الكهنة درساً قاسياً ويثبت للعالم كذب هذه النبوءة [٣]. وإن كنا نرى أن هذه تهمة ضمن ما ساقه «هيردوت» ضد «قمبيز» وفى نفس الوقت يعلى من شأن «آمون» خاصة بعد فشل هذه الحملة.

إلا أنه يمكن القول، ربما كان هناك عوامل أخرى محركة لهذه الحملة، خاصة إذا افترضنا أن هذه الحملة مكملة لحملة قرطاچة (سالفة الذكر) وأن الآثنين هما حملة واحدة، وفى خروج الحملة من طيبة وليس من هيراقليوبولس رغم قرب الأخيرة من واحة سيوة، تأييداً لهذا الفرض، وأن هذه الحملة كان لها بُعداً آخر أكبر من غزو واحة سيوة فى حد ذاته، وهو القضاء على الجيوب الإغريقية المنتشرة فى منطقة الواحات حتى لا تكون شوكة فى ظهر قمبيز وجيشه وحتى لا تكون هذه المناطق مأوى للمعارضين والفارين من وجهه.

---

(١) هيردوت ٣ : ١٩

(٢) جريمال : **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٧٦ .

(٣) هيردوت ٣ : ٢٦ .

وعلى ذلك يمكن القول أن حملة قرطاجة وحملة سيوة كانا جناحين لحملة واحدة، الجناح البحرى يمثله الأسطول الذى كان يقوده الفينيقيون، والجناح البرى يمثله جيش قمبيز الذى خرج من طيبية، وكان هدف هذه الحملة هو غزو ليبيا والشمال الإفريقي، وبنجاح هذه الحملة يكون فى مقدور الفرس الإطباق على الإغريق من الشرق ومن الغرب، إلا أنه نظراً لفشل الجناح البرى ممثلاً فى جيش قمبيز، اضطر الجناح البحرى إلى العودة وعلى ذلك لم يكن عودة الأسطول تمرداً من جانب الفينيقيين ولكنه لعدم وصول الجناح البرى إليهم.

ب - دارا الأول

بعد نهاية أركسيلاوس الثالث المأساوية فى برقة، انهارت مكانة الملكة «فريتيمى» فى قورينى ففرت إلى مصر واحتمت بواليها الفارسى «ارياندس» وطالبته بالانتقام لمقتل ابنها على أساس أنه اغتيل بسبب ولائه للفرس، وهنا وجه «ارياندس» إنذاراً إلى مدينة برقة يطالب أهلها بتسليمه قتلة اركسلاوس، إلا أن البرقيين رفضوا هذا الإنذار، وعندئذ قام ارياندس بتوجيه حملة برية وبحرية ضد مدينة برقة، وانضمت فريتيمى إلى جيش تلك الحملة[١].

وقد اختلفت الآراء إزاء توقيت هذه الحملة ففريق يرى أن هذه الحملة وقعت فى عام ٥١٤ أو٥١٣ ق.م[٢]. وفريق آخر يرى أن هذه الحملة خرجت من مصر حوالى نهاية صيف ٥١٩ ق.م وعادت حوالى نفس الوقت من عام ٥١٨ ق.م [٣]. ولكل فريق من هؤلاء من الأدلة ما يدعم وجهة نظره، لذلك

(١) شامو : الإغريق في برقة، ص ١٩٩

(٢) Mitchell, Op. Cit., p. 103.

(٣) Noshy, Op. Cit., p. 84.

لابد من تمحيص تلك الأدلة لترجيح أى التاريخين أقرب إلى الصحة.

فالفريق الأول يفترض أن هيردوت يعتبر حملة «أرياندس» ضد ليبيا معاصرة لأعمال «مجبازوس» فى أعقاب حملة «دارا» ضد سكيثيا، ويؤيد ذلك فرض آخر مستمد من أن ليبيا لم تذكر فى أول قائمة رسمية للبلاد الخاضعة للفرس، وهى القائمة التى أمر «دارا» بإثباتها فى نقش «بهستان» قبل عام ٥١٨ ق.م، ولم تذكر أيضاً فى القائمة المثبتة على حجر تأسيس«برسبوليس» حوالى عام ٥١٣ ق.م وهى القائمة التى ورد فيها ذكر بلاد تراقيا عبر البحار، بيد أن ليبيا تُذكر لأول مرة فى القائمة الهيروغليفية المنقوشة على الأنصاب التى اقيمت احتفالاً بإنشاء قناة «دارا» بين النيل والبحر الأحمر(١) هذه القائمة فى رأى هؤلاء الباحثين من حوالى٥١٣ ق.م ولكنها تغفل ذكر بلاد تراقيا عبر البحار، وقد استخلص كل من «كامرون» و

«ميتشل» من ذلك، إن قائمتى برسبوليس وأنصاب القناة المصرية متعاصرتان تقريباً، وانهما نقشتا فى أعقاب حملتى سكيثيا وليبيا ولكن قبل أن تُعرف نتائجهما فى كل أنحاء الإمبراطورية(٢).

وإذا سلمنا جدلاً بأن هاتين القائمتين متعاصرتان تقريباً، فهل هذا الفرض يبرر النتيجة التى بنيت عليها؟ إن دراسة نص القائمة الهيروغليفية فى روية وأناة تبدد هذا الزعم، حيث أن هذا النص لا يذكر ليبيا فحسب بل

---

(١) Mitchell, Op. Cit., p. 100

Posener, **La Premiere Domination des Perseen en Egypt, pp. 482-486.**

(٢) Cameron, G.G., "Darius, Egypt and the LandsBeyond the Sea" **J.N.E.S.**, 2,1943, p. 307.

Metchell, Op. Cit., p. 107

يذكر أيضاً أثيوبيا [1]. وكلتاهما لم يرد لهما ذكر سواء في قائمة بهستان أو في قائمة برسبوليس[2].

وتبعاً لهذا النمط في الاستنتاج لابد أن تكون أثيوبيا أيضاً قد فتحت مثل ليبيا وضمت إلى الإمبراطورية الفارسية قبيل نقش القائمة الهيروغليفية، بيد أن ذلك لا يمكن أن يدور بخلد أحد، لأن قمبيز هو الذى حاول فتح أثيوبيا ولم يقم أى فارسى بعده بأى نشاط فى هذا الاتجاه[3] ومن ثم يتضح أن ذكر ليبيا فى القائمة الهيروغليفية لا يستتبع حتماً أن تكون ليبيا قد ضُمت إلى الإمبراطورية الفارسية فى ذلك الوقت أو أن تكون حملة ارياندس قد أرسلت ضد ليبيا قبيل نقش هذه القائمة، وهنا يتبادر إلى ذهن الباحث سؤال مؤداه، هل كان ادراج ليبيا ضمن البلاد الخاضعة للفرس نتيجة لحملة ارياندس؟ الحقيقة أن الباحثين جميعاً يقبلون رواية «هيردوت» القائلة بأن استيلاء قمبيز على مصر عام ٥٢٥ ق.م قد أفزع قورينى مثلما أفزع جيران مصر الليبيين فسلم الجميع للفرس دون مقاومة وفرضوا على أنفسهم الجزية، اليس معنى ذلك أن كل هؤلاء قد أصبحوا رعايا الملك الفارسى منذ عام ٥٢٥ ق.م وليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن الوضع قدتغير بعد وفاة قمبيز، لاسيما أن انهماك اركسلاوس فى دعم مركزه كان يحتم عليه الاحتفاظ بصداقة الفرس والاستمرار فى دفع الجزية، ولو أن اركسلاوس كان قد توقف عن دفع الجزية وخرج على طاعة الفرس كما تعتقد «ميتشل»، نقول لو حدث ذلك لما اجترأت «فريتيمى»

---

(١) Posener, Op. Cit., Nos 8-10, Olmstead, Op. Cit., p. 149.

(٢) Olmstead "Darius and Behistan Inscription, "**A.J.S.L.**, 60, 1938, pp. 392 ff.
Kent., "Old Persian Texts, Darius Behistan Inscription Column V, "**J.N.E.S.**, 2, 1943, p. 105 ff.

(٣) Olmstead, **Hist. Persian Em.**, p. 89.

على الاتجاء إلى «ارياندس» تنشد مساعدته للانتقام لمقتل ابنها، وفضلاً عن ذلك فإن هيردوت بعد أن يحدثنا بأن الهدف الحقيقى لحملة ارياندس كان إخضاع الليبيين، يمضى فيقول، أن القبائل الليبية كبيرة العدد متباينة النوع وأنه إذا كان أقلها من رعايا «دارا» فإن أكثرها كان لا يعنيه من أمره شيئاً [١].

وعبارات هيردوت تدل بوضوح على أنه فى وقت حملة أرياندس لم يكن فى عداد رعايا الفرس قورينى وبرقة فحسب بل أيضاً بعض القبائل الليبية، وإذا كانت بعض نصوص «هيردوت»[٢] تنم عن أن بعض القبائل الليبية فى قورينائية لم تكن قد استسلمت للفرس، وعن أن حملة ارياندس كانت تستهدف اخضاع هذه القبائل، فإن القرائن المستمدة من هذه النصوص لاتدع مجالاً للشك فى أن هذه الحملة لم تحقق هذا الهدف ولم تفعل أكثر من الانتقام لمقتل اركسلاوس الثالث والقيام بمظاهرة عسكرية، وطالما أنه لايمكن إثبات أن هذه الحملة قد ضمت أى إقليم أو شعب جديد إلى الإمبراطورية الفارسية بالإضافة إلى من كانوا رعاياها من قبل، فإنه لا يوجد أى مبرر للزعم الشائع والقائل بأن ادراج ليبيا بين البلاد الخاضعة للفرس كان نتيجة لحملة ارياندس.

ولكن بما نفسر إذن اغفال ذكر ليبيا بين البلاد الخاضعة للفرس في قائمة بهستان أو فى قائمة برسبوليس واثباتها فى القائمة الهيروغليفية؟

الحقيقة أن هيردوت يمدنا بسبب هذا الإغفال حين يذكر قورينى وبرقة وليبيا بوصفها أجزاء من ولاية مصر [٣] وتؤكد ميتشل نفسها أن ليبيا لم

(١) هيردوت ٤ : ١٦٧

(٢) هيردوت : ٤ : ١٦٨، ٢٠٣ – ٢٠٤ .

(٣)هيردوت ٣ : ٦١ – ٩٢ .

تؤلف بذاتها ولاية على حدة ولم يكن هناك نظام عسكرى خاص بها[(١)].

وعلى ذلك فإن كان هذا يفسر إغفال ذكر ليبيا فى قائمتى بهستان وبرسيوليس، فإنه أيضاً يضيف حجة أخرى لتفنيد النتيجة المستخلصة من ذكر ليبيا فى القائمة الهيروغليفية، أما ذكر ليبيا وأثيوبيا فى هذه القائمة المنقوشة على أنصبة أقيمت فى ولاية مصر، وكان هذان الإقليمان يؤلفان جزء منها فأمر بديهى لا يحتاج إلى تفسير.

والحقيقة أن أصحاب الاتجاه الأول لازال لديهم سند آخر يدعم وجهة نظرهم وهو الزعم بأن هيردوت يعتبر هذه الحملة معاصرة لأعمال مجبازوس، بيد أن هذا ليس التفسير الوحيد لنص هيردوت الذى يتصل بتاريخ حملة أرياندس، فهناك تفسير آخر يقول بأن هيردوت يعتبر هذه الحملة معاصرة لحملة دارا ضد سكيثيا، ويوجد تفسير ثالث وهو أن الرابطة بين هاتين الحملتين ليست رابطة معاصرة وانما رابطة موضوعية منشؤها التماثل فى الهدف والنتيجة بين حملتين متقاربتين فى الزمن كانتا تهدفان إلى تطويق بلاد الإغريق شمالاً وجنوباً ولكنهما منيتا بالفشل، وإن كان هذا التفسير يبرر عدم اعتبار الحملتين متعاصرتين، فإننا مع ذلك نعتقد أن تقاربهما فى الزمن أسهم فى الإيحاء إلى هيردوت بالربط بينهما [(٢)].

والحقيقة أننا نخرج من نصوص هيردوت باستنتاجين، الأول أن احداث عهد اركسلاوس الثالث تتابعت بسرعة مما يجعلنا نعتقد أنها لم تستغرق زمناً طويلاً، والاستنتاج الآخر أن «دارا» أعدم ارياندس عندما زار مصر، معنى ذلك أن حملة ارياندس واستنجاد «فريتيمى» به ومقتل اركسلاوس قد

---

(١) Mitchell, Op. Cit., p. 107.

(٢) Noshy, Op. Cit., p. 61.

سبقت هذه الزيارة والرأى السائد هو أن هذه الزيارة سابقة لحملة سكيثيا، والواقع فإن الاستنتاجان يدعم أحدهما الآخر، فالأول الذى يوحى بأن عهد اركسلاوس كان قصيراً يؤكد الربط بين زيارة دارا وإعدام ارياندس، والثانى الذى يوحى بأن دارا عندما زار مصر أعدم ارياندس يؤكد قصر عهد اركسلاوس الثالث.

والربط بين اعدام ارياندس وزيارة دارا لمصر تؤكده كذلك البواعث على هذه الزيارة، ومما يجدر ملاحظته أن نقش بهستان يذكر مصر فى عداد الولايات التى ثارت على دارا فى خلال العام الأول من عهده، إلا أنه لا يوجد أى ذكر لإخماد هذه الثورة فى هذا النقش سواء فى أعمدته الأربعة التى نقشت قبل عام ٥١٨ ق.م أو فى عموده الخامس الذى نقش عقب حملة سكيثيا، وفى الوقت الذى يذكر فيه «بولينوس» أن مصر ثارت على الفرس وطردت ارياندس وأن دارا هو الذى أخمد هذه الثورة، بما أظهره من سخاء الههم أبيس نلاحظ أن هيردوت لم يذكر شيئاً عن هذه الثورة ويذكر أن «دارا» أعدم أرياندس لأنه أغتصب لنفسه سلطة الملك أى أنه لم تكن هناك ثورة على الإطلاق[1].

مما تقدم يمكننا القول أنه عقب وفاة قمبيز نشبت فى مصر ثورة أسرع «ارياندس» بإخمادها حين كان «دارا» منهمكاً فى إخماد الثورات العديدة التى وقعت فى الولايات الشرقية، وأن نشوة النصر وسط هذه الظروف جعلت ارياندس يسرف فى سوء معاملة المصريين إلى حد أثار نقمتهم، وأن تدور بخلده آمال عراض يمكن استنتاجها من إقامته داراً لسك نقود من

(١) هيردوت ٤ : ١٦٧

Kent, V., Old Persian Texts: Darius, Behistan Inscription, Column V "J.N.E.S., 2, 1943, pp. 105 ff.

الفضة الخالصة على غرار نقود الملك «دارا» من الذهب الخالص، وأيضاً إقدامه على ارسال حملة إلى ليبيا دون استئذان الإمبراطور، وقيام اريانديس باستدعاء الحملة قبل أن تحقق أغراضها دليل على أن تصرفه في هذا الصدد كان من تلقاء نفسه ودون ترخيص من الإمبراطور، وعلى أن الإمبراطور غضب من هذا التصرف وكان في طريقه إلى مصر، ولا جدال في أن تكون زيارة «دارا» لمصر قد املتها اعتبارات قوية مثل تصرفات «اريانديس» غير المسئولة واطماعه الجامحة، وكذلك تذمر المصريين تذمراً شديداً، معنى ذلك أنه كان على «دارا» أن يقضى على اريانديس قبل أن يستفحل أمره، وأن يسترضى المصريين قبل أن يفلت الزمام من يده.

وهكذا يتضح أنه لا سبيل إلى الشك في أن يكون اريانديس قد لقى حتفه عندما زار «دارا» مصر لفترة قصيرة في أعقاب وفاة العجل أبيس يوم ٣١ أغسطس ٥١٨ ق.م وإذا كان «دارا» قد زار مصر في سبتمبر أو أكتوبر ٥١٨ ق.م وأعدم أرياندس، فلابد إذن من أن تكون حملة هذا الوالى ضد ليبيا قد سبقت هذا التاريخ، وإزاء الصلة الواضحة بين استدعاء هذه الحملة وزيارة «دارا» لمصر والفترة التى تقترب من عام وهى التى قضتها الحملة في ليبيا، يبدو محتملاً أن يكون اركسلاوس الثالث قد قتل حوالى بداية ٥١٩ ق.م وأن تكون فريميتى ناشدت اريانديس المساعدة عقب هذا التاريخ مباشرة وليس بعد عامين كما تذهب إلى ذلك ميتشل(١).

وإذا قبلنا ما تذهب إليه «ميتشل» من أن حملة سكيثيا ترجع إلى عام ٥١٥ ق.م أو حوالى ٥١٤ ق.م (٢) فإن التاريخ الذى نرجحه لحملة اريانديس لا يكون بعيداً عن تاريخ حملة سكيثيا، وتبعاً لذلك فإن إعادة فحص الأدلة

---

(١) Mitchell, Op. Cit., p. 103.

(٢) Ibid, p. 101

وهى التى أفضت إلى التواريخ التى توصلنا إليها تؤيد التفسير بأن هيردوت لا يربط بين هاتين الحملتين على أساس التعاصر وإنما على أساس التماثل فى الهدف والنتيجة والتقارب فى الزمن [1]. على أية حال فإن والى مصر «ارياندس» بعد أن طلبت منه فريتيمى الانتقام لمقتل ابنها اركسيلاوس الثالث، وجه إنذاراً إلى مدينة برقة يطلب من أهلها تسليم قتلة اركسلاوس، غير أن هؤلاء البرقيين رفضوا الاستجابة لذلك الإنذار وأعلنوا أنهم جميعاً يتحملون مسئولية قتله، وعندئذ قام الوالى بتوجيه حملة برية وبحرية ضد مدينة برقة وانضمت فريتيمى إلى جيش تلك الحملة الفارسية[2]، وقد حاصر الجيش الفارسى مدينة برقة طوال تسعة أشهر لكنه فشل فى احتلالها بالحرب فلجأ إلى الحيلة والخديعة حيث أمر بأن يحفر فى الليل خندقاً عريضاً أمام بوابة المدينة ثم غطوه بسقيفة من حطب ضعيف ثم ستروها بالتراب حتى سارت مموهة تماماً، فلما طلع النهار دعا قائد الحملة البرقيين للتفاوض، فرحبوا بذل بعد أن أوشكت مواردهم على النفاذ وتم التوقيع من الطرفين على معاهدة سلام وأقسموا على احترام بنودها مادامت تلك الأرض ثابتة على حالها، وتضمنت بنود المعاهدة إلزام أهل برقة بأداء الجزية إلى ملك فارس فى مقابل ألا تقوم جيوشه بغزوهم مرة أخرى، فلما تم الاتفاق واطمأن البرقيون فتحوا أبواب المدينة، وخرجوا منها وسمحوا لأعدائهم بالدخول، وفى أثناء ذلك كانت مجموعة من هؤلاء قد هدمت الخندق المستور واقتحمت المدينة دفعة واحدة بعد أن نقضوا الجسر

---

(١) Noshy, Op. Cit., pp. 64 - 66.

(٢) Rowe, Op. Cit., p. 29.

شامو: **الإغريق فى برقة**، ص ٢٠٠ .

دريتون – **فانديه** : مصر، ص ٦٥٥ .

حتى لا يكونوا بهجومهم قد نقضوا العهد، ولذا فقد انتقض العهد حين قوض الجسر[1].

وقد بادرت «فريتيمى» فنكلت بكل مغتالى ابنها ومن تواطأ معهم من أهل المدينة، وأذاقت هؤلاء جميعاً مر العذاب، أما بقية السكان فقد تم استرقاقهم، بعد ذلك اتجه الجيش الفارسى غرباً حتى مدينة «يوسبيريدس» (بنغازى) ثم قفل راجعاً نحو مصر حيث اخترق مدينة قورينى التى فتح له سكانها بواباتها بزعم أن نبوءة إلهية امرتهم بذلك، وعسكرت قوات الجيش خارج أسوارها عند التل المسمى تل زيوس وتزود بالمؤن واستأنف مسيرته نحو مصر، وقد تعرض هذا الجيش أثناء عودته لهجمات الليبيين مما جعله يتكبد خسائر جسيمة[2].

---

(١) هيردوت ٤ : ٢٠١ .

(٢) شامو : **الإغريق فى برقة**، ص ٢٠٠ .

الفصل الخامس

الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسى

أ- الثورات المصرية ضد الحكم الفارسى حتى الاستقلال

١ - ثورة عام ٤٨٦ ق.م

٢ - ثورة ايناروس وأميرتايوس ٤٦٠ ق.م

٣ - الثورة الكبرى والاستقلا ٤١٠ -٤٠٤ ق.م

ب- الأصول الليبية لأسرات العصر المتأخر

الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسى

تبين لنا من الفصول السابقة أن التهديدات الخارجية لكل من مصر وليبيا، كانت من العوامل الرئيسية لتوثيق الروابط والعلاقات بين البلدين، حيث كانت هذه العلاقات فى أوج ازدهارها ابان تلك الفترة التى كانت فيها مصر مهددة بالخطر الأشورى. بينما كان الليبيون يقاومون خطر غزو خارجى لسواحلها من جانب عناصر قادمة من بلاد اليونان (الإغريق) وبحر إيجه إلا أنه بعد أن تبدل خطر الأشوريين بالخطر الفارسى، بينما استقر الإغريق على السواحل الليبية، أصبحت العلاقات غير واضحة، وربما يرجع ذلك لعدة عوامل منها، أنه بينما كان الليبيون طرفاً مباشراً فى المرحلة السابقة ولذا توفرت المصادر سواء من جانب المصريين تارة أو الآشوريين (ضمناً) والإغريق تارة أخرى، أما الفترة التى نحن بصددها، فكان الصراع يدور بين الجانب الفارسى والجانب المصرى فقط (وإن أردنا الدقة نقول بين الفرس والإغريق على الأرض المصرية) وهنا لم يكن الجانب الليبى طرفاً مباشراً فى الأحداث، ولذلك غاب العنصر الليبى بعض الشئ عن المصادر التى تناولت هذه الفترة، والواقع قد يكون هناك ثمة علاقات بين الليبيين ومصر تمثلت فى محاولة الليبيين مد يد المساعدة للمصريين فى صراعهم مع الفرس ومن المحتمل أن مدونى الحوليات التاريخية لم يهتموا بتسجيل هذه العلاقات، وهذا شئ لا نستطيع أن نجزم به يقيناً، وإن كانت شواهد الأحوال تشير إلى ذلك، وسيحاول الباحث أن يبحث عن هذه العلاقات الغائبة.

ومنذ البداية يجب أن نضع فى اعتبارنا ملاحظتين هما مكان نشأة الثورات المصرية، وقادة هذه الثورات.

أ - الثورات المصرية ضد الحكم الفارسى حتى الاستقلال

١ - ثورة عام ٤٨٦ ق.م

كان واقع الغزو الفارسى على المصريين عنيفاً، ولكن سرعان ما جاءت اصلاحات «دارا» الأول فأرضت البعض وأخرت المواجهة، حتى خيل لهذا البعض أن حسن السياسة فى التسليم بالأمر الواقع، وأنهم قادرين عن طريق المداراة والملاينة أن ينقذوا لمصر ما يمكن إنقاذه (وجاحر رسنت) وهذا فى الواقع أسلوب مقبول خاصة إذا كان العدو على قوة كبيرة، وفى نفس الوقت لم يكن هناك قائد وطنى قوى يستطيع إدارة ثورة مسلحة، بمعنى تفضيل استخدام العقل الموجود على استخدام القوة المفقودة، وهذا هو اسلوب جميع أصحاب الثورات الناجحة، التفكير ثم التخطيط واعداد القوى ثم التنفيذ، وما فعله «بسماتيك» الأول مع الآشوريين خير شاهد على ذلك فإن «وجاحر رسنت» أمير «سايس» برئ مما نسب إليه من تهم خاصة خيانة بلاده نتيجة استخدام أسلوب المهادنة والملاينة، وكذلك كان دور القائد المصرى «أحمس بن بايون حور» فقد ذكر في نص على إحدى لوحتيه المستخرجتين من السرابيوم، كيف أجبره ولاة الفرس على الحضور إلى «منف» ليقدموا الطاعة والقرابين لأبيس[1].

سارت الأمور على هذا المنوال حتى تضافرت عدة عوامل خارجية وداخلية لتدفع بالثورة المصرية إلى المجاهرة، أما العوامل الخارجية، فجاءت من فارس نفسها ممثلة فى ضعف العرش الفارسى وانشغاله بحرب المدن الأيونية الثائرة، وأصبح الأمر أمر وقت لتقوم الحرب بين فارس واليونان بعد أن قدمت أثينا العون لهذه المدن الثائرة، وهكذا كانت موقعة «ماراثون» فى

---

(١) Spiegelbery, Op. Cit., p. 142.

عام٤٩٠ ق.م والتى انتهت بهزيمة مروعة للفرس، بمثابة الضوء الأخضر أمام المصريين للمجاهرة بالثورة، حيث أن هذه الحرب (الفارسية اليونانية) قد شغلت الملك الفارسى «دارا» بقية حياته مما أدى إلى تهاونه فى أمور مصر بعض الشئ[١].

أما العوامل الداخلية فتتمثل فى أن «السياسة التى اتبعها» «دارا» لم يكن الهدف منها التودد للمصريين بقدر ما كانت تهدف أساساً إلى انتزاع أكبر إيراد ممكن من تلك الولاية، فضلاً عن تسخير العمال المصريين فى قطع أحجار وادى الحمامات لصالح الفرس وأيضاً تسخير الفلاحين فى حفر أو إعادة حفر القناة التى كانت تربط بين النيل والبحر الأحمر، وإلى جانب فداحة الضرائب الباهظة، كان لابد من إمداد وتموين الحاميات الفارسية التى كانت تمتد من بلدة «مارى» شمالاً (على مقربة من موقع الإسكندرية حالياً) وحتى اليفانتين والجندل الأول جنوباً، بالغلال اللازمة وخاصة القمح، وفوق هذا كله ترحيل العمال المهرة إلى مدينة «سوسا» الفارسية، ويذكر «ديودور» أن المدن الفارسية برسبولس وسوسا واكبتانا قد زادت من توسعاتها المعمارية على حساب الخبرة والثروة المصرية[٢].

وفى هذا الصدد يذكر «هيردوت» أن غزو ساردیس كانت قد أثارت لأقصى درجة غضب «دارا» على الآثينيين، غير أن معركة «ماراثون» زادت حنقه وتحميسه إلى محاربة الإغريق، فبادر وأرسل الأوامر إلى المدن التى فى قبضته لحشد جيش كثيف واعداد كبير من الخيل والزاد وسفن الحرب والشحن أكثر مما أمر به من قبل ذلك، وعندما بلغت الأوامر كل الجهات تحركت لها كل آسيا واستمر على ذلك ثلاث سنوات، ولكن بينما كانوا

(١) Posener, G., **La Premiere Domination Perseen Egypte**, Le Caire, 1936, p. 41.

(٢) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٤٠١ .

يجمعون الرجال ويجهزون تلك اللوازم بلغهم في السنة الرابعة أن المصريين الذين أخضعهم قمبيز قد خرجوا على الفرس، فاشتد غضب دارا وعزم على أن يغزو هذين الشعبين، ولما أعلن «دارا» خلافة «اكرزكسيس» له ورأى أن كل الاستعدادات قد تمت عزم على المسير، ولكنه توفى فى السنة التى تلت ثورة المصريين عليه، وكان قد حكم ستا وثلاثين سن كاملة، ولم يشف غليله من معاقبة المصريين واخماد ثورتهم ولا من الانتقام من الآثينيين[1].

وتشير المصادر المصرية إلى تلك الثورة إشارة غير مباشرة، ففى رسالة من «ختوم ام اخت» أحد كبار المسئولين فى «اليفنتاين» يطلب من شطرب مصر «فراندات» أن يرسل من يؤمن وصول الغلال على سفينة الشحن إلى أفراد الحامية ويقول : دع الشطرب يأمر ارتاباتوس (قائد حامية اليفنتاين الفارسى) أن يقيم حارساً على الغلال فى السفينة، وألا يفرغ على الشاطئ إلا ما يمكن أن تبحر به المراكب، وإن لم تتخذ الاحتياطات فسوف يأتى الثوار ليلاً وينهبون الغلال ثم يضربون خيامهم في المواجهة ويصبحون أكثر جرأة حتى أنهم يظهرون أنفسهم وسط النهار[2].

يتضح من تلك الوثيقة أن الثوار كانوا يهاجمون مراكز الإمداد ومستودعات التموين الخاصة بجند الحاميات الفارسية فى أنحاد البلاد، كما أنها تنم عن ضائقة اقتصادية وأن أعمال السلب والنهب هذه كانت سابقة على الثورة العامة حيث تذكر نفس الرسالة أنه خلال شهر من تاريخها (أى الرسالة) قامت الثورة المصرية وعمت البلاد.

وتبرز هنا مسألة هامة اختلفت حولها آراء المؤرخين وهى، من كان قائد

---

(١) Herodatus, VII, §§ 1-4

(٢) Olmstead, A. T., **History of the Persian Empire**, 5 th ed., Chicago, 1966, p. 277

هذه الثورة؟ وما أصله؟ وقد زاد من هذا الاختلاف والتضارب صمت الآثار والمصادر المصرية وغموض ما ظهر منها حتى الآن، فشخصية قائد هذه الثورة ماتزال غامضة، وقد ذكرت مختلف المراجع وبعض المصادر أن «خباباش» هو هذا القائد الذى حرر مصر واسترد الملكية واتخذ الألقاب الفرعونية وحكم مصر فترة قصيرة، وأهم الآثار التى حوت نصوصها إسم «خباباش» هى:

أ - تابوت العجل أبيس[١].

ب - بردية ليبى[٢].

جـ - مقلاع من الجلد وآنية وجعل منقوش عليه أحد ألقاب الملك داخل الخرطوش «خباباش محبوب رع»[٣].

---

(١) استخرج هذا التابوت من سرابيوم «منف» وكان الملك خباباش قد أهداه إلى العجل المقدس ونقش عليه تاريخه وألقابه كما يلى«السنة الثانية الشهر الثالث من فصل الفيضان لعهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى خباباش محبوب اوزيز ابيس.

Gunn, B., "The Inscribed Sarcophagus in the Serapeum", **A.S.A.E.**, 26, 1926, p. 86.

(٢) عثر على هذه البردية فى مدينة طيبه وهى محفوظة فى متحف توليدو بالولايات المتحدة، وهى تمثل عقد زواج تم على أيدى بعض كهنة طيبة فى السنة الأولى الشهر الثالث من فصل الفيضان لعهد الفرعون خباباش Gauthier, M.H., L.R., IV, pp. 195

Maustafa el Amir, A **Family Archive from thebes**, part 2, Cairo, 1959, p. 95.

Spalinger, A., "The Reign of King Chabbash: An Interpretation", **Z.A.S.**, 105, 1978, p. 143

(٣) Petrie, F.W., **Palace of Apries**, London, 1909, p. 26

د - لوحة الوالى[1].

قادت هذه الآثار إلى ثلاث اتجاهات مختلفة حول مركز «خباباش» التاريخى، وسوف يحاول الباحث مناقشة هذه الاتجاهات كل على حده.

أما الاتجاه الأول فيرى أصحابه أن حكم «خباباش» كان فى بداية القرن الخامس ق.م، وأنه قاد ثورة المصريين ضد الفرس فى العام الخامس والثلاثين من عهد «دارا» الأول [٥]. مستندين فى ذلك على عدة شواهد منها أولاً: توكيد احترام البطالمة لذكرى «خباباش» حيث سعى بطلميوس الأول لفحص تمثاله ثم أمر بإعادة الأوقاف القديمة التى كان قد منحها «خباباش» لمعبد «بوتو» ثانيا: اغفال المؤرخ «مانيتون» اسم «خباباش» عند تسجيله لقائمة الملوك المصريين طبقاً لأوامر «بطلميوس» الثانى، وقد فسر أصحاب هذا الاتجاه هذا التجاهل بأن قدم عهد هذا الفرعون كان سبباً فى نسيان «مانيتون» له، ودللوا على ذلك بأن هذا المؤرخ اقتصر على ذكر الملك «باكن رن اف» عند تسجيله أسماء ملوك الأسرة الرابعة والعشرين فى قائمته، مع أن الآثار قد أكدت أن هناك ملوكاً أخرين من نفس الأسرة لم

Michaelidis, "Quelques Objects Inedits d'epoque Perse "**A.S.A.E.**, 43, 1943, pp. 97-99

(١) اكتشف لوحة الوالي سنة ١٨٧٠م وكانت مستخدمة ضمن احجار الأساس فى جامع شيخون بالقاهرة وهى مؤرخة بالعام السابع اليوم الأول من فصل الفيضان من عهد الإسكندر الرابع (وهذا التاريخ يعادل ٩ نوفمبر أو ديسمبر ٣١٠ ق. م) وهى تمثل مرسوماً صدر بواسطة بطلميوس لاجوس والى مصر آنذاك قبل أن يصبح الملك بطلميوس سوتير مؤسس دولة البطالمة فى مصر، وقد أصدر مرسومه هذا لإعادة الحقوق التى كان قد سلبها الملك الفارسى من معبد بوتو وهذا النص يتعلق أساساً بالأفضال الدينية والإنجازات العسكرية لبطلميوس فى بداية عهده كوال على مصر كى يضفى الأهمية على منصبة فى حكم بوتو وذكر أن تلك البلدة كانت مخصصة لآلهة بوتو بواسطة «خباباش»

Parker and Dubbrstein, Babylonian Chronolgy, Providenc, 1956, p. 20

Ritner, R.K., "**Khabab.** 3SH and Satrapstela **Z.A.S.**, 107, 1980, pp. 135 f.

يذكرهم مثل «تف - نخت» و «نكاو» الأول، ثالثا: ورود إسم «اكزركسيس» واضطهاده لـ «بوتو» مع لقب الفرعون «خباباش» فى نص لوحة الوالى يرجح انهما كانا متعاصرين(١).

أما الاتجاه الثانى فيرى أصحابه حكم «خباباش» كان فى العامين السابقين لغزو الاسكندر الأكبر لمصر(٢).

ويرى أصحاب الاتجاه الثالث، أنه يمكن وضع حكم «خباباش» فى العامين الذين يفصلان بين «ارتكزر كسيس» الثالث (اوخوس) [٣٥٩/٣٥٨ ق. م - ٣٣٨/٣٣٧ ق.م] و «دارا» الثالث [٣٣٦/٣٣٥ ق.م -٣٣٢ ق.م](٣).

بالنسبة للاتجاه الأول فإن الشواهد التى اعتمد عليها يعترضها عدة صعوبات منها أن تجاهل «مانيتون» لـ «خباباش» لم يكن سبباً لقدم عهده وقصر مدة حكمه كما يرى هؤلاء إلا أنه ربما كان تجاهلاً مقصوداً، فحتى لو افترضنا جدلاً أن هذا الفرعون حكم فى بداية القرن الخامس ألم يذكر «مانيتون» فراعنة أقدم منه لم يحكموا إلا فترات قصيرة؟ منهم على سبيل المثال «متشوفس» من الأسرة السادسة وقد حكم سنة واحدة (٤). وحتى لو افترضنا قدم عهد «خباباش» ألم يكن ذكر بطلميوس الأول له كافياً لأن يتذكره مانيتون وهو الذى كتب علمه هذا فى عهد بطلميوس الثانى؟، وما كتبه مانيتون يدل على أنه أنهى الأسرة الثلاثين بالملك «نختنبو» الثانى وهو بذلك تجاهل «خباباش» عمداً ليعكس رغبات سيده وحاميه بطلميوس

Spalinyer, **Z.A.S.**, p. 147

(١) Griffith, F., **Catalogue of the Demotic Papyri**, 3 Vol, Manchester, 1909.

(٢) Bradford Welles, C., "The Roled of the Egyptian under the first Ptolemies", **American Studies in Papyrology**, 7, 1970, pp. 509-510)

(٣) Olmstead, Op. Cit., pp. 491 - 493; Gauthier, **L.R.**, IV, pp. 195-196

الثانى ويحقق رغبة البطالمة فى الارتباط بالأسرة السمنودية[١].

أما ذكر اسم «اكزر كسيس» واضطهاده لـ «بوتو» مع لقب الفرعون «خباباش» فى نص لوحة الوالى، فهذا أمر مردود عليه، حيث أن هذه اللوحة لم تكن معاصرة لأى منهما (اكزركسيس) أو خباباش) حيث تؤرخ بالعام السابع اليوم الأول من فصل الفيضان من عهد الاسكندر الرابع (حوالى ٣١٠ ق. م)[٢].

كما أن هناك من فسر اسم «خرشيش » بأنه «ارتكزركسي» الثالث وليس «اكزر كسيس» [٣] أما الاتجاه الثانى الذى يرى وضع «خباباش» فى العامين السابقين لغزو الأسكندر الأكبر لمصر مباشرة، لا يؤيده الترتيب الزمنى واشارات لوحة الوالى[٤].

يبقى أمامنا الاتجاه الثالث وهو مايميل إليه الباحث، والذى يرى أن «خباباش» يمكن وضعه فى العامين اللذين يفصلان بين «ارتكزر كسيس» الثالث (اوخوس) و «دارا» الثالث، وذلك استناداً إلى عدة شواهد منها: أن «خباباش» جاء بعد «ارتكزر كسيس» ويتضح ذلك من لوحة الوالى (من ثم تحدثوا لجلالته المستنقعات التى تسمى أرض ادجو كانت فيما مضى تخص آلهة «ب» و «دب» ولكن العدو خرشيش (ارتكزر كسيس) منعها ولم يقدم منها أوقاف لإلة «ب» و «دب»[٥].

ثانياً، أن «خباباش» أصدر قراره بعد أن قام باستكشاف مصاب الدلتا

(٤) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٤٤٦

(١) Spalinger, **Z.A.S.**, p. 143

(٢) Olmstead, Op. Cit., pp. 491 - 493

(٣) Spiegelberg, **Der Papyrus Libbey**, 5 and Nole 3
Spalinger, **Z.A.S.**, p. 150

(٤) Spiegelbey, Op. Cit., p. 142

(٥) جاردنر : **مصر الفراعنة**، ص ٤١٣ Spalinger, **Z.A.S.**, 150

التي يظن أن الآسيويين (الفرس) قد يهاجمون مصر عن طريقها وتشير إلى ذلك لوحة الوالى عندما حث كهنة «بوتو» الملك «خبـاباش» على طرد «ارتكزركسيس» من مصر أى مليكنا وسيدنا حور بن إيزيس وابن أوزير حاكم الحكام ملك ملوك مصر العليا والسفلى المنتقم لابيه سيد «ب» والمقدم على الالهة الذين أتو إلى الوجود بعد ذلك، ذلك الذى ليس بعده ملك، رد العدو ارتكزركسيس حتى من مقره مع ابنه الاكبر، انه معروف فى مدينة نيت وسايس منذ ذلك اليوم وما بعده بجوار أم الإله[1].

معنى ذلك أن كهنة بوتو وعدوا «خباباش» انه اذا طرد الفرس فسيكون معروفاً فى سايس ربما كحاكم شرعى، وهذا يعنى عدم شرعية حكمه، وبالتالى وعد «خباباش» باتباع نصيحة الكهنة وسوف يعمل على رد الفرس، ومن الواضح أيضاً أن بطليموس اراد أن يفعل مثلما فعل «خباباش» كى يعترف الكهنة بشرعية حكمه، معنى ذلك ان كلا من «خبـاباش» و «بطليموس» لم يكونا حكاماً شرعيين فأرادوا اضفاء الشرعية على حكمهما وذلك برد أوقاف معبد «بوتو» التى منعها الملك الفارسى فعل ذلك بطليموس مثلما فعل «خباباش» من قبل.

ثالثاً: ان بردية ليبى تم توقيعها من نفس مسجل العقود وهو «بادى حر با رع» ابن «با - خع - سو» والذى وقع وثيقة أخرى من عهد الأسكندر الأكبر عام ٣٢٤ ق.م[2].

معنى ذلك انه إذا كانت تسوية «خرشيش» بارتكزر كسيس صحيحة وهذا مانرجحه، فإنه هو وأبنه «ارسيس» (ملك المستقبل) كانا على قيد الحياة عندما كان «خباباش» فرعوناً لمصر[3].

---

(١) Ibid, pp. 151-152

(٢) جاردنر : **مصر الفراعنة**، ص ٤١٣ Moustafa, Op. Cit., p. 95

(٣) Olmstead, **Hist. of the Pres. Emp.**, pp. 489-491

وعلى ذلك يمكن تفسير الموقف على النحو التالى، انه عندما أيقن «نختنبو» الثانى عدم جدوى مقاومة الملك الفارسى «ارتكزر كسيس» الثالث، فر هارباً صوب الجنوب بعيداً عن متناول القائد المنتصر، ومن المتفق عليه بين جمهور المتخصصين أنه لجأ عند أحد أمراء النوبه السفلى الذين عاصروا «نستاسن» من ملوك نباتا، ومن المحتمل ان هذا الأمير نصب نفسه مسئولاً عن مصالح الملك «نختنبو» الثانى، وبعد وفاة هذا الملك أعلن الأمير نفسه فرعوناً على انه أصبح وريث «نختبو» الثانى، ويروى التقليد البطلمى انه تزعم نشاطاً معاد للفرس فى الدلتا وان هذه المقاومة استمرت حتى شتاء ٣٣٦/٣٣٥ ق.م، وكان قد امضى خمس سنوات يحث المصريين على الثورة، فإذا اضفنا إلى هذه السنوات الخمس عامين آخرين وهما العامان اللذان احتفظ فيهما «نخبتو» الثانى بقدر من السلطة بعد هزيمته وفراره الى الجنوب، فإذا أضفنا هذه السنوات السبع لتاريخ ٣٣٦ ق.م المذكور يعود بنا إلى عام ٣٤٣ ق.م وهو تاريخ هزيمة «نخبتو» الثانى أمام «ارتكزركسيس»، والمعروف انه فى عام ٣٣٨ ق.م اغتيل «ارتكزركسيس» وأعلن «ارسيس» ملكاً خلفاً له، فارتبكت أوضاع الإمبراطورية الفارسية خاصة بعد أنتصار فيليب المقدونى فى معركة « خيرونا» ليوحد من حوله كافة القوى اليونانية، ومن المحتمل ان « خباباش» استغل هذه الفرصة وقام بثورته وأعلن نفسه ملكاً على مصر(١).

وكما حدث جدل حول وضع «خباباش» التاريخى، حدث أختلاف أيضاً حول أصله وهويته، وأورد «كينتز» آراء العديد من العلماء المصريات فى ذلك الصدد منها أن «بيرش» يرى أن «خباباش» كان شطرباً فارسياً قام بالثورة ضد مليكه واستقل بحكم مصر، بينما يرى «ستروف» أنه كان شطرباً آسيوياً صغيراً نصف مستقل، أما «ريفيو» فيرى أنه كان عربى المنبت،

(١) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ٤٨٨ – ٤٨٩

في حين يشير «ماكس مولر» أنه كان قائداً عسكرياً أجنبياً يحتمل أن يكون من أصل سامى[1].

أما «جريمال» فيعتقد أنه من أصل كوشي[2]. وإن كان «جاردنر» لم يحدد هويته فيرى أنه كان واحداً من آخر (ان لم يكن آخر) الحكام غير الفارسيي وغير اليونانيين استطاع أن ينتحل لقب فرعون [3]. وإن ذهب البعض أنه مصرى معتمدين فى ذلك على الآثار التى حوت نصوصها إسم «خباباش»[4]. إلا أن هذا الرأى يمكن تفنيده حيث أنه من أهم الآثار التى اعتمد عليها هذا الرأى هى لوحة الوالي، والحقيقة أن هذا المصدر يحوى الشئ الكثير الذى يوضح أصل «خباباش» غير المصرى، فمنذ البداية فإن اسمه غريب، وكيف يكون مصرياً وهو يجهل العادات التى كانت تمارس فى دلتا مصر خاصة فى معبد «بوتو»؟ كما أنه كان يجهل ما فعله الملك الفارسى بمعبد بوتو، وما فعله ألهه «ب» و «دب» ضد هذا العدو، كما يتضح من نفس المصدر أن «خباباش» لم يكن معروفاً فى« مدينة «نيت» (سايس)، علاوة على كل ما تقدم يمكن القون أن نص لوحة الوالى كان يتعلق أساساً بالأفضال الدينية والإنجازات العسكرية لـ «بطلميوس» الأول فى بداية عهده كوال على مصر كى يضفى الأهمية على منصبه فى حكم «بوتو» أرض الربة «واجه» التى خصصها «خباباش» لألهة تلك المدينة[5].

(١) kientz, F.k., **Die Politische Geschichte A'Egyptens Vom 7, Bis Zum 4. Jahrhundert Vor der Zeltwende**, Berlin, 1953, p. 188

(٢) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٨٨

(٣) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٤١٣

(٤) محمود زميتر: **مصر بين الفرس والإغريق**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٠٥

(٥) Ritner, Op. Cit., p. 135

اذن كانت رحلة «بطلميوس» لمدينة «بوتو» جزءاً من دهائه السياسى، وسياسته الدينية ولم تكن ابدا لاحياء ذكرى «خبباش» ، وذكر هذا الفرعون كان فقط لرغبة «بطلميوس فى تجديد أوقاف معبد «بوتو» وتأكيدها، والحقيقة أنها كانت وسيلة البطالمة الوحيدة لتأكيد سيادتهم على هذه البلاد فى المراحل الأولى من حكمهم.

ويقترح «ماسبيرو» ويتفق معه «سفيرون» و «سبالنجر» أن «خبباش» من أصل ليبى مثله فى ذلك مثل القائد «ايناروس» الذى أعلن نفسه ملكاً على مصر فيما بعد، ويحدد «سبالنجر» أنه من قبائل «الماشواش» نظراً لأن اسمه ينتهى بالمقطع «شا» على غرار الأسماء الليبية، كما تتوسط اسمه «باء» مشددة كغيرها من أسماء الماشواش[1]، ويذكر سليم حسن نقلاً عن رواية قديمة، أن المصريين أنفسهم لم يقوموا بتلك الثورة وإنما هم الليبيون الذين كانوا يقطنون غربى ا لدلتا، فقد انترعوا الوجه القبلى من الفرس ثم زحفوا شمالاً إلى العاصمة منف ولكنها قاومتهم حتى وصلت النجدة الفارسية عن طريق وادى الحمامات الذى كان يمثل الجسر البرى الذى يربط بين عا صمة الملك الفارسية وبين مصر[2] وعلى ذلك يرى الباحث أن يكون «خبباش» أميراً ليبياً يحكم إقليماً فى النوبة السفلى أعلن عن نفسه مسئولاً عن مصالح «نختنبو» الثانى، وبموت هذا الأخير أعلن «خبباش» نفسه فرعوناً لمصر بعد حوالى سبع سنوات من مقاومة الفرس، أى حوالى ٣٣٨ ق.م

معنى ذلك أن «خبباش» لم يكن هو قائد الثورة فى تلك المرحلة، ولكنه فى

---

(١) Kienits, Op. Cit., p. 188
Spalinyer, Op. Cit., p. 142

(٢) سليم حسن: **مصر القديمة**، جـ ١٣، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٠١

نفس الوقت يؤكد أن أميراً من أصل ليبى قاد ثورة مصرية ضد الفرس، مما يؤيد وجهة نظر الباحث فى وجود الترابط والتلاحم بين الشعب المصرى والشعب الليبى ضد الاحتلال الأجنبى.

من هنا يمكن القول أن قائد هذه الثورة غير معروف حتى الآن، إلا أن الثابت يقيناً وهو قيام الثورة المصرية فى ذلك الوقت والتى اندلعت فى جميع الأقاليم المصرية، وحين بلغت الثورة ذروتها لم تستطع الحاميات الفارسية الصمود أمامها، وعندما علم «دارا» الأول بذلك وكان قد أوشك على ا لانتهاء من تجهيز جيوشه استعداداً لغزو بلاد الإغريق وتوجيه ضربة انتقامية لهزيمة «ماراثون»، حتى صمم على سحق المصريين واليونانيين معاً إلا أنه مات قبل أن تحقق ما انتواه، وكان «اكزر كسيس» ابنه وخليفته هو الذى تمكّن من القضاء على الثورة واستعاد السيطرة الفارسية على مصر مرة أخرى وعين أخوه «اخمينس» والياً على مصر وكان ذلك حوالى ٤٨٤ ق.م، وقد ألغى هذا الوالى ضياع معابد المدن الثائرة ونهب منها كل ما كان قد غفل عنه «قمبيز» من قبل، كما أعيد العمل فى محاجر وادى الحمامات حيث كانت بعثات قطع الأحجار تقوم من منف إلى تلك المحاجر ثم تنقل الأحجار إلى فارس عن طريق البحر الأحمر لاستخدامها فى تشييد المبانى الهامة هناك(١).

على أية حال ظلت قبضة الفرس قوية على مصر طيلة أيام حكم «اكزركيس» الذى مات حوالى ٤٦٥ ق.م وخلفه ابنه «ارتكزر كسيس» الثانى.

---

(١) سليم حسن: **مصر القديمة**، جـ ١٣، ص ١١٠

٢ - ثورة «ايناروس» وأميرتايوس حوالى ٤٦٠ ق.م

كانت الحروب التى أخذت تتصاعد بين الإغريق والفرس سبباً فى الكساد الاقتصادى والتجارى الذى أصاب موانى مصر وأسواقها الخارجية، فى الوقت نفسه كان على مصر بسبب تبعيتها للفرس أن تقدم رجالها وعتادها للجيش الفارسى، وبسبب الهزائم المتوالية على جيوش الفرس فى عهد «اكزركسيس» والتى كان آخرها معركة سلاميس، اغتيل هذا الملك على يد قائد حرسه «ارتابانوس» عام ٤٦٥ ق.م مما شجع على اندلاع الفتن والثورات فى أنحاء الولايات الفارسية ومنها مصر، وكانت الثورة المصرية فرصة سانحة للإغريق يزعجون بها الفرس.

كان قائد الثورة فى هذه المرحلة هو «ارت ان حر ارو» الذى يعتقد أنه كان ابناً لـ «بسماتيك» الثالث آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين، وكان أميراً على ساكنى الأقاليم الغربية شمال الدلتا والذين كانوا يتركزون حول حصن «مارى» (مريوط) وضواحى الإسكندرية فيما بعد، وتختلط أصولهم بالدماء الليبية، وربما تفسيرهذا تسمية هيردوت له بملك الليبيين(١).

أخذ هذا الزعيم يجمع حوله القوى الوطنية المبعثرة في الدلتا، وعندما أخذت نيران الثورة تمتد إلى كل مكان انضم إليه أمير آخر يدعى امن اردى سو (أمير تايوس) والذى لا يستبعد أنه كان هو الآخر من نسل ملوك سايس وقدث أول صدام بالفرس عند «بابريمس» وهو مكان لم يمكن تحديده تماماً ويقع ناحية الغرب على أية حال، وقد هزمت القوة التى تحركت تحت إمرة الوالى «أخمينس» الذى قتل فى المعركة (٢)، وبذلك

(١) Herodotus, III, 15; VII 7
Olmstead, Hist. of the Pers. Emp., p. 303
فانديه : **مصر**، ص ٦٥٧ ؛ جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٧٨
(٢) جاردنر: **مصر الفراعنة**، ص ٤٠٣

استطاع «ايناروس» و «أميرتايوس» أن يبسطا نفوذهما على كافة مناطق الدلتا، مما دفع جند الحامية الفارسية إلى الهرب تجاه منف، ولم يتعقبهم «ايناروس» فى البداية وتريث حتى يؤمن ظهره خوفاً من أى مفاجآت فارسية وتدعيماً لموقفه اتجه إلى عقد المحالفات مع «بيركليز» حاكم أثينا و «اركسيلاوس» الرابع ملك برقة [١].

وحاصر الثوار مدينة منف، وأجبر الفرس على ترك جزء من العاصمة للمحاصرين، ولكنهم أقاموا المتاريس فى جزء محصن من المدينة، وقاوموا هجمات الجيوش ا لمصرية والإغريقية، ولم يثأر الفرس لأنفسهم إلا بعد ثمانية عشر شهراً، فاضطر الإغريق إلى اللجوء إلى جزيرة «بروسوبيتيس» فاحرق الفرس سفنهم واستطاع قلة من الإغريق أن يهربوا إلى بلادهم مجتازين الأراضى الليبية، أما «ايناروس» فقد أُسر وأُخذ إلى سوسا حيث أمر الملك الفارسى بإعدامه[٢].

كانت هذه المرحلة تمثل تطويراً للثورة وتصعيداً لها خارج النطاق الإقليمى للمرة الأولى[٣].

والحقيقة أنه لم تكن هذه المرة الأولى التى استعان فيها المصريون بالإغريق ضد الاحتلال الأجنبى، حيث استعان بهم «بسماتيك» الأول ضد الآشوريين، وتحالف معهم «أحمس» الثانى (أمازيس)، ولا ننسى أن هزيمة

---

(١) Mallet, D., "Les Rapports des Grece avec l'Egypte de la Conquite de Cambyse a Celle d'Alexandre", **Memoires**, 48, 1929, pp. 77 f

جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٧٨

(٢) Mallet, Op. Cit., p. 33 ; Olmstead, Op. Cit., p 308

Hill, G.F., **Sources of Greek History 525 341 B.C.**, Oxford, 1962, No. 132 - 142

(٣) Mallet, Op. Cit., p. 77

الفرس في ماراثون امام الإغريق كانت من أهم عوامل قيام الثورة المصرية الأولى ضد الفرس، ويمكن القول أيضاً أن مساعدة الإغريق لمصر ضد الفرس، لم تكن من أجل استقلال مصر فى حد ذاته، ولكن كان وراء ذلك أسباب سياسية واقتصادية أيضاً فنحن نعلم عن الصراع المستمر بين الفرس والإغريق ومحاولة كل منهما القضاء على الآخر فكانت الثورات المصرية فرصة للإغريق لضرب الفرس وانزال الهزائم بهم، كما أن المصالح الاقتصادية كانت المحك الأول الذى دفع الإغريق إلى مساندة الثورات المصرية، حيث كانوا يطعمون فى إنشاء محطات تجارية لهم على الشواطئ المصرية، بالإضافة إلى الحصول على الغلال المصرية، فاستعانة المصريين بالإغريق كان أمراً طبيعياً لمعرفتهم بأن هؤلاء الإغريق هم ألد أعداء للفرس.

أما مسألة تحالف «ايناروس» مع «اركسيلاوس» الرابع ملك برقة، فإن من يعتقدون بوجود هذا التحالف يعتمدون على حجتين، الأولى تتمثل فى مقطع من مقاطع البوثية الرابعة للشاعر «بنداروس» حيث يذكر أن الساحرة ميديا أبلغت «إيوفيموس» بأن أحد أحفاده سيتلقى نبوءة من ابوللو تأمره باصطحاب العديد من الرفاق فى مركب يبحر به نحو معبد آمون فى بلاد النيل، ويعتقد أصحاب هذا الرأى بأن فى ذلك دلالة على أن حملة قورينة قد توجهت إلى مصر، أما الحجة الثانية فهى، أن ما بقى من الجنود الإغريق بعد هزيمتهم أمام الفرس رجعوا إلى بلادهم عن طريق برقة[1].

إلا أن الحجتين لا تكفيان للتدليل على أن «اركسيلاوس» الرابع قد تحالف مع حركة«ايناروس»، حيث أن «بنداروس» كان يقصد من المقطع المذكور، تأسيس مدينة قورينى ولكن يبدو أن ذكر بلاد النيل هو ماأثار هذا

(١) محمود زميتر : المرجع السابق، ص ١٠٧

الجدل، إلا أنه يمكن القول أن المفاهيم الجغرافية أيام بنداروس كانت ماتزال غامضة وغير محددة، وكان بنداروس يرى فى قورينائية قبل كل شئ بلداً يُعبد فيه الإله آمون الذى يقوم معبده فى واحة «سيوه» الواقعة عند التخوم الفاصلة بين مصر وهذا الإقليم.

أما فيما يتعلق بعبور الجنود الإغريق للأراضى الليبية واتخاذهم مدينة «قورينى» نقطة يركبون البحر من عندها وهم فى طريقهم إلى بلادهم، فإنه أمر يترتب عليه الافتراض باشتراك اركسيلاوس الرابع بقواته في الحملة المذكورة ضد التواجد الفارسي في مصر، فالواقع أنه بعد احراق الفرس لسفن الحملة الإغريقية لم يعد هناك مفر أمام الجنود الباقين سوى التوجه براً عبر الصحراء إلى أقرب مدينة إغريقية، وكانت بالطبع «قورينى»، ولا شك أن رجوع أولئك الجنود براً كان مغامرة محفوفة بالمخاطر والصعاب، فهم قد اضطروا إلى عبور فيافى صحراء مراقيا (البطنان) التى يقطنها الليبيون المعادون لأغريق قوريني. لذا لابد وأنهم قد هاجموا شراذم الجنود الإغريق المتقهقرون وعاثوا فيهم تقتيلاً، ولعل هذا ما تمناه القائد الفارسى «ميجابيز». وربما اراد أيضاً ضعف الإغريق أمام الليبيين فيشجعهم على الثورة كما فعل الإغريق وشجعوا المصريين على الثورة، ومن المحتمل أيضاً أن القائد الفارسى أراد أن يرهب ملك قورينى حتى لا يتبادر إلى ذهنه التفكير فى شق عصى الطاعة على الفرس، وربما كل هذه الأهداف مجتمعة أرادها القائد الفارسى المنتصر.

وعلى ذلك يمكن القول أن اشتراك أركسلاوس الرابع فى الحملة التى وجهها ضد الفرس فى مصر لا أساس له من الصحة، بل على العكس من ذلك فإنه لابد وأن تكون سياسة الحذر والحياد التى صار عليها الملوك الباطيون باستمرار قد أوحت لاركسيلاوس بعدم إقحام نفسه فى هذه

المغامرة الحربية التى دارت رحاها على أرض مصر، خاصة وأنه كان مشغولاً انئذ بتعقيدات ومصاعب الموقف الداخلى وعدم الاستقرار السياسى فى قورينى والذى كان يهدد عرشه(١).

إذن لم تلعب قورينى بالنسبة لتلك الحملة الإغريقية ضد القوات الفارسية فى مصر سوى دور المستضيف المغيث لشراذم الجيش الإغريقى المتقهقر من مصر وتسهيل أمر عودة إلى بلاده، وإذا كان موقع قورينى الجغرافى قد هيأ لها أن تقوم بهذا الدور إلا أنه لا يعنى انها قد اسهمت بالفعل فى تلك الحرب.

وكان لهذا التمرد المصرى ضد الفرس نتائج لا يستهان بها بالنسبة لقورينى وليبيا عموماً، حيث أن النصر الذى أحرزته القوات الفارسية فى «بروسوبيتيس» وإن كان قد مكن الفرس من استرجاع سيطرتهم على معظم الأراضى المصرية إلا أنه لم يضع نهاية للمقاومة المصرية ضدهم ولذا لم يكن فى وسع حاكم مصر الفارسى التفكير فى ارسال حملات ضد ليبيا على شاكلة الحملتين اللتين أرسلهما كل من «ارياندس» و «ارسابيس» من مصر ضد ليبيا وهكذا ظلت ليبيا تحيا فى امان خلف الموانع الصحراوية التى ليس من السهل اجتيازها، ولم تعد منذ ذلك الوقت تخشى صولات الجيوش الفارسية فى مصر.

وهكذا بعد سنوات من الكفاح خسر المصريون هذه الجولة، ومن ثم عادت مصر ترزح من جديد تحت نير الحكم الفارسى ورغم ذلك لم تلفظ الثورة المصرية أنفاسها الأخيرة بل تسلم راية الكفاح أمير «سايس» (امير

---

(١) Robinson, E.S.G., **British Museum Catalogue of Greek Coins of Cyrenaica,** 1927, p. 28

تايوس) الأول رفيق إيناروس، واستطاع أن يحتفظ باستقلاله بعيداً عن الفرس، ومن جزيرة «البو» [1]. الصغيرة التى اتخذها قاعدة له استطاع أن يقتحم بقواته أراضى مستنقعات الدلتا فى الركن الغربى وظل هناك يجرى استعداداته حتى عام ٤٤٩ ق.م على الأقل [2] وقد استدعى بدوره الإغريق من جديد لمعاونته وتحركت ستون سفينة من سفنهم فعلاً غير أن موت القائد الأثينى «سيمون» فى قبرص كان سبباً فى عودة هذه النجدة ثم سرعان ماأعلنت الهدنة بين الفرس واليونان بعد معاهدة «كالياس» حوالى ٤٤٩-٤٤٨ ق.ق [3].

وتناست أثينا حليفتها مصر، وبدأت فارس من جانبها تجرب سياسة المصالحة مع المصريين فاستدعت قائدها «ميجابيز» وعينت مصريين كولاه وحكام على الأقاليم المختلفة، ثم عينت «تاميراس» و «بوزيرس» ابنى قائدى الثورة وقلدتهما المنصبين اللذين كانا يشغلهما والدهما على رأس الحكومة

(١) هى الجزيرة التى أقام فيها الحاكم الأعمى (ربما يكون باك ان رن اف) غريم شباكا، ولم يستطع أى فرد أن يجد هذه الجزيرة قبل أمير تايوس وحجمها عشرة استاد فى جميع الجهات وليس ببعيد أن تكون هذه الجزيرة (إلبو) فى منطقة بحيرة المنزلة

هيردوت ٢ : ١٤٠ وأيضاً حاشية رقم (٣)

(٢) سليم حسن: **مصر القديمة**، جـ ١٣، ص ١٢٣

(٣) سميت معاهدة كالياس بهذا الإسم نسبة إلى السياسى الكبير كالياس، وقد عقدها ملك الفرس مع أهل أثينا بعد تصاعد الأخطار من اضطرابات بلاده الداخلية وتهديد الأسطول الأثينى وخوفاً من تصاعد الثورة المصرية بمساعدة الإثينيين حتى أنه كان من أهم بنود هذه المعاهدة، إقرار أثينا بالتخى عن الوقوف إلى جانب مصر وتعهدها بعدم امدادها بأى نوع من المساعدة على أى وجه من الوجوه، وبمقتضى هذه المعاهدة انسحبت القوات الإثنينية من قبرص وشرق البحر المتوسط وأدى ذلك بالطبع إلى إضعاف الثورة المصرية واجهاضها وإن ظلت باقية لم تنطفئ جذورها.

Bury, J.B., **History of Greec to the Death of Alexander the Great**, 3rd. ed., London, 1951, p. 360

Olmstead, Op. Cit., p. 309

Herodotus, VI, 42

فى إقليميهما، وقد سجل «هيردوت» ذلك قائلا: من "عادات الفرس أن يحترموا ابناء الملوك وأن يردوا إليهم ملكهم أيضاً الذى خسره آبائهم بالثورات وهناك شواهد كثيرة تؤكد تلك العادة ولكنى اكتفى بما جرى لتاميراس ابن إيناروس ملك ليبيا الذى ردوا إليه الملك الذى كان لابيه ويوزيرس ابن أمير تايوس الذى أعيد إليه ملك أبيه مع أنه لم يكن هناك ملك قد أساء إلى الفرس أكثر من إيناروس وأمير تايوس"(١).

وعلى ذلك توقفت الثورة إلى حين، وساد البلاد فيما عدا غرب الدلتا سلام من نوع غريب ماع فيه الموقف بين فارس والثوار وفتحت البلاد أبوابها للأجانب وقام هيردوت فى ذلك الوقت (حوالى ٤٥٠ ق.م.) بجولة فى مصر وأشاد بمجدها مع أن هذا المجد لم يكن غير ظل باهت لأمجاد قديمة.

٣ - الثورة الكبرى والإستقلال ٤١٠ - ٤٠١ ق.م

منذ قيام الحرب البيلوبونيزية بين أثينا واسبرطة ٤٣١ ق.م بعد أن هادنت كل منهما دولة الفرس، فقدت مصر أمل التعاون العسكرى من قبل الأغريق إليها ضد الفرس وانتظر قادتها الفرصة المناسبة لتصعيد ثورتهم ضد الاحتلال الأجنبى.

فى هذه الأثناء اغتيل «ارنكزركسيس» وخلفه على عرش فارس «دارا الثانى في عام٤٢٣ ق.م (٢) وفى عهد هذا الملك انتشرت الدسائس والفتن الداخلية ولكنه استطاع أن يقضى عليها مرة بالدهاء والملاينة ومرة أخرى بالبطش والتنكيل، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع الصمود طويلاً أمام الثورة المصرية، لقد كان هذا الرجل على خلاف أسلافه خاصة فى حكم

(١) Herodotus, III, 15

(٢) جاردنر : **مصر الفراعنة**، ص ٥٠٤

مصر فلم يكن يؤمن بالتسامح الديني مثلهم، وإنما حاول أن يفرض عقيدته التي تقوم على عبادة النار في شتى أقاليم مملكته ولكن مصر لم تنسى حضارتها ولم يستطع «دارا» أن يطرد من معتقداتها فكرة الحياة بعد الموت وأخيراً تحرجت الأمور وأصبحت الثورة على الأبواب، وفي حوالى ٤١٠ ق.م اندلعت الثورة في مصر ويبدو أن شمالها كان أكثر نشاطاً ومثابرة من جنوبها حتى كللت الثورة بالنجاح في تحرير مصر وطرد الفرس من البلاد وقيام الأسرة الثامنة والعشرين[١].

أما قائد هذه الثورة فهو «أميرتايوس» (آمون اردیسو) الثاني الذي يرجح أنه كان ابن «بوزيرس» ابن «أمير تايوس» الأول أو ربما كان أخاه طبقاً لما تشير إليه بعض القرائن حيث يذكر «ديودور» فرار أحد قادة المرتزقة الإغريق ويدعى «تاموس» ولجوئه إلى مصر، فقتله الملك المصرى «بسماتيك» وفي ذلك الوقت لم يكن يحكم مصر سوى «آمون رديسو» الثاني[٢] فهل أخطأ «ديودور» في الإسم أم أن «بسماتيك» و «آمون اردیسو» إسمان لشخص واحد؟ لكن إذا عدنا إلى الوراء قليلاً حتى عام ٤٤٥ ق.م، نجد أن أحد قادة الثورة ويدعى «بسماتيك» قام بشحن كمية ضخمة من الغلال المصرية تقدر بثلاثين أو أربعين ألف مكيال[٣] إلى أثينا، وبالطبع كانت تلك الشحنة ثمناً لنجدة عسكرية أرسلتها أثينا أو وعدت بها أثناء ثورة الدلتا[٤] ومن الواضح أن ضخامة شحنة الغلال تلك تنبئ عن مدى قوة بسماتيك هذا واتساع أراضيه مما يرجح أن يكون هو «آمون اردیسو».

(١) Mallet, Op. Cit., pp. 79 f

(٢) Diodorus, XIV, 35

(٣) المكيال يسع ١٣ لتر أى يساوى ١٣ كيلو جرام   دريتون : مصر، ص ٦٠٩

(٤) محمد عبد القادر: **أيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامى**، القاهرة ١٩٨٤، ص ٨٠
سيد الناصرى: **الإغريق، تاريخهم وحضارتهم**، ص ٣٦٥ – ٣٦٧

من العرض السابق لمراحل الثورة المصرية والتى انتهت بتحقيق الاستقلال. حاول الباحث إبراز الدور الليبى فى هذه الثورة استناداً على ملاحظتين الأولى اندلاع الثورة المصرية في مراحلها المختلفة من شمال غرب الدلتا وهذا يوحى إن لم يكن يؤكد قيام العناصر الليبية بدوراً ما وإن كانت لا تظهره الحوليات التاريخية إلا أن لسان حال الأحداث يوحى بذلك، بالإضافة إلى أن ليبيا (وأقصد الجزء الشرقى منها والغربى لمصر) كانت ملاذ الثوار فى هذه الفترة أما الملاحظة الثانية فهى أن قادة هذه الثورة فى جميع مراحلها كانوا ينتمون إلى أصول ليبية مثل «أمير تايوس» الأول والثانى.

ومن ناحية أخرى يمكن القول أن إغفال المصادر لإبراز الدور الليبى فى تلك الفترة ربما يرجع (كما سبق أن ذكرنا) إلى أن الليبيين لم يكونوا طرفاً مباشراً في هذا الصراع بالإضافة إلى انشغال بعض القبائل الليبية بأمورها الداخلية حيث أنه حوالى عام ٤٤٠ ق.م (وهذا التاريخ يعاصر الثورة المصرية) كانت أسرة باتوس قد انتهى أمرها ودخلت منطقة برقة فى مرحلة من عدم الاستقرار ويبدو أن القبائل الليبية انتهزت الفرصة فعمدت إلى إثارة المتاعب للمدن اليونانية وفى نفس الوقت تقريباً كانت قورينى نتيجة للصراع الحزبى بين الارستقراطيين والديمقراطيين، قد تعرضت لهجوم تيبرون المغامر الإسبرطى، وتحالفت بعض عناصر المدينة مع الليبيين الذين أعدوا كميناً لقواته فى منطقة «توخيره» وقتلوا منهم الكثيرين ولكن الليبيين لم يتمكنوا مع أهل قورينى من الصمود أمام هجوم قوى شنه تيبرون على المدينة[1].

معنى ذلك كما هو واضح أنه فى الفترة التى حاول فيها المصريون التخلص من الاستعمار الفارسى كان الليبيون يقومون بمثل نفس الدور

(١) مصطفى عبد العليم : **دراسات فى تاريخ ليبيا القديم**، بنغازى ١٩٦٦، ص ٦١ – ٦٢

للتخلص من الاستعمار الإغريقى وهذا في حد ذاته تعاون بين الشعبين حيث أن كل منهما كان حماية لظهر الآخر.

ومما يشير إليه احتمال التعاون بين المصريين والقبائل الليبية في تلك الفترة أن هذه القبائل كانت مستقلة عن السيادة الفارسية، فمن المعروف أن الفرس كانوا يعتبرون ليبيا جزءاً من الولاية الفارسية السادسة التى كانت تشمل طبقاً لـ «هيردوت» البلاد التى تعيش فيها القبائل الليبية المجاورة لمصر، كما كانت تشمل قورينى وبرقه[1] واعتبار ليبيا ملحقاً بمستعمرة الفرس فى مصر، وجعلهم لا يفرضون رقابة صارمة عليها نظراً لبعدها عنهم، ويبدو أنه لم يكن يقيم فى ليبيا أى ممثل مباشر لعاهل الفرس وإنما كان يشرف عليها الوالى الفارسى من مقره فى منف، وكان هذا الإشراف صورياً وقد هيأ هذا الوضع المناخ لقادة الثورة المصرية من ترتيب أمورهم فى هدوء بعيداً عن أعين الفرس مما مكنهم من تحقيق النصر فى النهاية، من هذه المرحلة حتى غزو «الإسكندر» الأكبر فى عام ٣٣٢ ق، م. نجد أن الهدف الوحيد لسياسة مصر الخارجية هو الدفاع عن استقلالها ضد الامبراطورية ظلت تتشبث بفكرة أنها ليست سوى إقليم متمرد، وقد كانت هذه السياسة ناجحة فيماعدا عشر سنوات قرب النهاية.

وفى ليبيا استمرت برقة نهباً للصراعات الداخلية حتى تغير الوضع بمجئ «الاسكندر» الأكبر حيث بادرت قورينى بالاعتراف بالتبعية له عندما سمعت أنه وصل إلى «باراتنيوم» (مرسى مطروح) وهو فى طريقه إلى واحة «سيوه»، وبعد وفاة الإسكندر الأكبر فى عام ٣٢٣ ق. م أصبح «بطلميوس بن لاجوس» والياً على مصر، وما لبث أن انتهز فرصة الصراع الداخلى فى قورينى حتى أقدم على احتلالها فى عام ٣٢٢ ق.م[2].

(١) شامو : **الإغريق فى برقة**، ص ٢١٨

(٢) ابراهيم نصحى: **تاريخ مصر فى عهد البطالمة**، جـ ١، جـ ٢، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٥٦

ب - الأصول الليبية لأسرات العصر المتأخر (٢٤، ٢٦، ٢٨ - ٣٠)

إن دراسة أصول أسرات العصر المتأخر يعد من القضايا التاريخية الشائكة، حيث لا توجد آثار أو نصوص كافية تفصح عن أصول هذه المسألة، رغم ما درج عليه كثير من المؤرخين وعلماء الآثار بإضفاء الأصل الليبى على هذه الأسر، استناداً إلى الأصول الليبية للأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين.

ويرى «موريه» أن «تف نخت» مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين كان حفيداً للملك «وسر كون» الثالث، وأنه كان يقيم فى هيراقليوبولس مسقط رأسه والتى حاول انتزاعها بعد استيلاءه على هليوبولس ومنف واتخاذه سايس عاصمة له(١).

إلا أن «موريه» لم يذكر المصدر الذى استند إليه ليقرر هذه الصلة، ويبدو أنه التبس عليه الأمر فيما يتعلق بالموطن الأول ومسقط رأس «تف نخت» والتى يرى أنها «هيراقليوبولس» متأثراً فى ذلك بالرأى الذى يوحد «تف نخت» بقائد هذه المدينة المدعو «سمتاوى تاف نخت»، حيث ذهب بعض المؤرخين إلى أن الملك الكوشى «بى» عهد إلى «تاف نخت» بمركز قائد قوات «نن -نسو» معتمدين فى ذلك على اشارة نقوش الكتل الحجرية الموجودة بمعبد «موت» بالكرنك والتى تصور رحلة نيلية وصلت إلى طيبة حيث سجلت على جانب إحدى سفنها سفينة سايس العظيمة، وعلى سفينة أخرى سفينة «بى»، ووجود شخصية على مقدمة هذه السفينة مُثلت ويعلوها نقش يقول: ".. الأمير الوراثى، الأمير قائد ميناء نن - نسو العظيم سما تاوى

(١) Moret, A., Historie Ancienne, Hostoire de L'Orient, Tome II, Paris, 1936, p. 672, Not 20

تايف نخت ....."(١).

إلا أن هناك من يرى أن «سمتاوى تف نخت» هو نفس الشخصية التى عاصرت «بسماتيك» الأول، وقد عينه هذا الأخير فى منصب (قائد ميناء – نسو العظيم) وكلفه بقيادة رحلة ابنته «نيتو كريس» إلى طيبه لتصبح عابدة إلهية، وأن هذا النقش يطابق ذلك الذى جاء على لوحة «نيتو كريس» المكرسة لتلك المناسبة(٢).

ومن الألقاب التى حملها «تف نخت» مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين، لقب «الرئيس» العظيم للماشواش، وهو اللقب الذى حمله «شاشانق» الأول ليفصح عن انتمائه لهؤلاء الماشواش بشكل اساسى، كما حمل «تف نخت» أيضاً لقب «الرئيس العظيم لأرض الربو» (الليبو)(٣).

ويرى كتشن "أن هذا اللقب الأخير كان لقباً ادعائياً من جانب «تف نخت» والذى كان يساير طبيعة الصراع مع قبائل الليبو المستقرة على التخوم الغربية للدلتا، والذين كانوا يحملون أيضاً لقب الرئيس العظيم للماشواش(٤).

معنى ذلك فى الحقيقة أنه دار جدل بين الباحثين حول تحديد اسم القبيلة التى تنتمى إليها الأسرة الرابعة والعشرين، وسواء كان اسم القبيلة الليبو أو الماشواش، فالذى يعنينا هنا، هو انتماء جذور هذه الأسرة للأراضى الليبية.

(١) Gautheir, H., **LN.R.**, III, p. 409 Not 1
P.M., II, pp 257 - 258

برستد: **تاريخ مصر من أقدم العصور**، ص ٣٦٨

(٢) Kitchen, K.A., **The Thired Intermediate**, pp. 235 - 239

(٣) Yoyotte, J., "Les Principautes du Delta An Temps De L'Anarchie Libyenne", M.I.F.A.O., 66, 1961, p. 153 - 154

(٤) Kitchen, Op. Cit., p. 362

وإذا كنا نعلم أن الأسرة الخامسة والعشرين كوشية الأصل، فهل هناك علاقة بين الأسرة الرابعة والعشرين والأسرة السادسة والعشرين؟

الحقيقة أن هناك من يرى وجود علاقة وطيدة بين الأسرتين، وكان «نافيل» أول من نادى بهذا الرأى عندما قدم قراءة جديدة لخرطوش «تف نخت» التى سجل فيها اسم العرش «شبس رع» وخرج من وراء ذلك بأن «تف نخت» هو أصل الأسرتين الصاويتين(١).

وتبعه بعد ذلك كل من «بترى» و «جوتيه» حيث ركز الأول عند تناوله لدراسة الأسرة الرابعة والعشرين أن يؤخرها لحين الانتهاء من دراسة الأسرة الخامسة والعشرين أولاً، ثم يقوم بدراسة الأسرتين الصاويتين بشكل متصل، وقد ركز بترى فى هذه الدراسة على التسلسل الزمنى المتصل بين ملوك الأسرة الرابعة والعشرين حتى وصل إلى «بسماتيك» الأول وبدأ به الأسرة السادسة والعشرين(٢).

وسار فى هذا الاتجاه أيضاً صالح، الذى اعتبر الأمراء الثلاثة طليعة الأسرة السادسة والعشرين فى قائمة «مانيتون» أمراء للأسرة الرابعة والعشرين(٣).

ويعتقد هؤلاء جميعاً أن الأسرة الرابعة والعشرين تتكون من «تف نخت» و «باك ان رن اف» وستيفنيتس» (تف نخت) الثانى و «نخبسوس» (نخاو با) و «نخاو» الأول، ويؤيد ذلك أيضاً وجود علاقة قوية بين «نخاو با» و «باك ان

(١) Naville, E., "Additions et Correction aux Trois Inscriptions de La Reine Hatshepsou", **R.T.**, 19, 1897, p. 214, Not 1

(٢) Petrie, W.F., **A History of Egypt**, III, London, 1905, pp. 313 - 324
Gauthier, H., **L.I.R.**, **III**, pp. 407 - 416

(٣) صالح : **مصر والعراق**، ص ٢٩٠ – ٣٠٠

رن اف» (بوخوريس) حيث أن الأول ابن للثانى، ويرجح ذلك أن «نخاو با» أشير إليه فى موضعين، الأول في آخر قائمة الرعامسة ثم بعد ذلك وضع فى مكانه الصحيح[1] وهو نفس الشئ بالنسبة لـ «باك ان رن ا» حيث وضع حوالى نهاية الأسرة التاسعة عشرة فى فقرة لـ «يوسيبيوس» [2].

معنى ذلك أن «باك ان رن اف» سبق «نخاو با» حتى فى الوضع الخاطئ مما يبين ارتباط هذين الملكين ووجود صلة قوية بينهما حتى أن «دريوتون وفانديبه» يقولان أن امير صا «نخاو با» ابن «باك ان رن اف» بلا ريب[3].

وعلى ذلك يميل الباحث إلى ماذهب إليه هؤلاء المؤرخون من أن الأسرة السادسة والعشرين ليست إلا امتداداً طبيعياً وتاريخياً للأسرة الرابعة والعشرين بحكم صلة القرابة ونفس العاصمة التى حكمت منها الأسرتان الصاويتان وهى سايس.

وإذا كنا قدر جحنا الأصول الليبية للأسرة الرابعة والعشين، فمعني ذلك أن الأسرة السادسة والعشرين بدورها تنتمى لجذور ليبية.

سبق أن ذكرنا في الفصل السابق دور الليبيين فى تحرير مصر من الاستعمار الفارسى، وخلصنا إلى أن معظم قادة الثورة في مراحلها المختلفة يرجعون لأصول ليبية، من ذلك أن قائد الثورة فى مرحلتها الثالثة يدعى «ارتن جر ارو» وقد اسماه هيردوت «إيناروس» وهذا الرجل - كما يرى «جريما»ل - كان ينحدر من الأسرة الملكية الليبية وهو ابن بسماتيك الثالث، ويرجح «المسند» أنه كان ينتمى إلى الفرع الصاوى القديم وأنه كان

(١) Helck, W., Untersuchungen Zu Manthoun Den Agyptischen Konigslisten, Berlin, 1956, p. 148

(٢) Moret, A., De Bocchori Rege, Paris, 1903, p. 33

(٣) دريوتون - فانديه: مصر، ص ٦٢٧

ملكاً على ساكنى الأقاليم الغربية شمال الدلتا الذين كانوا يتركزون حول حصن «مارى» (مريوط) وضواحى الإسكندري فيما بعد، وتختلط أصولهم بالدماء الليبية، وهذا ربما يفسر تسمية هيردوت لهذا الزعيم بملك الليبيين(١).

ثم ذكرنا في الفصل السابق أيضاً أن «أمير تايوس» الثانى (آمون أرديسو) الثانى، هو حفيد «أمير تايوس» الأول بمعنى أنه يعود بجذوره للأسرة الصاوية السادسة والعشرين وأيد ذلك قصة «ديودور» التى خرجنا منها بأن محرر مصر أثناء ثورته كان يدعى «بسماتيك» قبل أن ينجح فى تحريرها، ومن ثم قام بتأسيس أسرة فرعونية جديدة هى الأسرة الثامنة والعشرين ثم اتخذ لقبه الفرعونى «آمون ارديسو» الثانى(٢).

بعد ذلك تعاقبت على عرش مصر أسرتان التاسعة والعشرون والأسرة الثلاثون، وإذا عدنا للوراء قليلاً نجد أن مصر قد فقدت وحدتها السياسية خلال عصر الانتقال الثالث وانقسمت إلى إمارات صغيرة مستقلة يحكمها أمراء ليبيون يعرف الواحد منهم باسم زعيم الـ «ما» أى زعيم الماشواش، وكان من بين هذه الأقاليم «مندس» مسقط رأس مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين، و «سبنتيوس» (سمنود) التى أسس حاكمها الأسرة الثلاثون، ظل أمراء الـ «ما» يحكمون اماراتهم اما مستقلين أو خاضعين لأمير منهم أصبح لقوته ملك بعد وصوله لعرش مصر، وهكذا إذا سنحت الفرصة لأى منهم لا يتردد فى محاولة الوصول للحكم، وهذا ما فعله أمراء الـ «ما» فى «مندس» و «سبنتيوس»، والحقيقة لا يعرف الكثير عن ارتقاء «نفرتيس» الأول

---

(١) Olmstead, A.T., **History of Persin Empire**, p. 303

هيردوت ٣: ١٥

(٢) جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ٤٧٨ – ٤٧٩

خلفاً لأمير «تايوس» عندما تولى السلطة فى خريف ٣٩٩ ق.م ، كما نجهل المناصب التى شغلها من قبل وربما كان من القادة العسكريين، ولكون «مندس» مسقط رأسه يعتبر أن أجداده من الليبيين[١] وربما جرت مراسم تتويجه فى منف أو سايس لأسباب سياسية محضة كما حدث بالنسبة لـ «نخت نب ف» الأول فى زمن لاحق [٢] وقد اعتلى هذا الأخير عرش مصر بتأييد الكهنة خاصة كهنة «سايس» الذين كان لهم نفوذ قوى وعملوا على تدعيم ملكه، مقابل أن يجزل لهم العطاء، فأحال ضريبة العشر المفروضة على منتجات وصادرات وواردات نقراطيس إلى معبد الألة «نت» بـ «سايس»[٣].

من كل ما تقدم يمكن القول أن أسرات العصر المتأخر يجرى فى عروقها الدماء الليبية.

---

(١) جريمال : **تاريخ مصر القديمة** ص ٤٧٩ – ٤٨٠

(٢) Traunecker, C."Essai Sur L'histoire de La XXIXe Dynastie "**B.I.F.A.O.**, 79, p. 420

(٣) صبرى طه: **سمنود دراسة تاريخية أثرية – فى العصور الفرعونية والعصر البطلمى**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ببنها جامعة الزقازيق، ١٩٩٢، ص ٣٥ – ٣٩

الفصل السادس

التأثيرات الحضارية المتبادلة بين دول الشمال الإفريقى

أولاً: الحياة الفكرية

أ- المعتقدات الدينية

١ - الآلهة

٢- المقبرة

٣- الشواهد وموائد القرابين

ب- الفنـــون

ثانياً: الحيـــاة الاجتمـاعيـــة

التأثيـرات الحضـارية المتبـادلة بـين مصـر وليبـيا

أ- المعتقدات الدينية

١ - الآلهــــــة

لقـد شـغلت مـسـألة الأصل الليبى لعـدد من آلهـة مـصـر القـديمة، بال الباحثين طويلاً، ودار حولها جدل كبير ما بين مؤيد ومعارض فى بعض التفصيلات، وعلة ذلك تكمن فى أن تكوين وادى النيل السكانى يعود فى بعضه إلى المهاجرين الليبيين بعد جفاف الصحراء وعلى أساس ذلك يتحدث «ونرايت» عن مجموعة من أقدم معبودات مصر وأشهرها، ليس باعتبارها معبودات نهرية نيلية، بل باعتبارها ارباباً جاءت أصلاً من الصحراء مع الإنسان ا لصحراوى الذى اضطر تدريجياً إلى اللجوء لضفاف النيل الذى تحددت معالمه شيئاً فشيئاً فى الوقت الذى بدأت الصحراء تجف مع تغير المناخ، ولما كانت نشأة هذه المعبودات الأولى مرتبطة بالمطر الذى يأتى من السماء فهى إذن ألهة سماوية أصلاً غير نهرية، وإلى جانب السماء كانت هناك التلال غربى وادى النيل التى جاء منها الإله «حا» وكذلك المعبود «أش» وقد دامت هذه الألهة السماوية حتى نهاية التاريخ المصرى القديم، ومن أعتقها وأهمها المعبودان «ست» و «من» وهما اللذان تعيدنا نماذجها الأولية إلى أقدم عصر يمكننا عنده أن نرى أية تفصيلات عن نمط حياة السكان البدائية، ومن مظاهر عبادة «ست» فى شكل خنزير أو فرس نهر فى حضارتى «مرمدة» و «المعادى» من عصر ما قبل الأسرات، من هنا نجد أصول رب العاصفة «ست» معروفة عندما نرى أعتق بصيص من الحياة فى الصحراء التى تحد مستنقع النيل، أما المعبود السماوى الآخر رب الخصب «من» فإن وضعه يشبه وضع «ست» إذ تطورت صورته معبوداً كاملاً حوالى منتصف الألف الرابع ق. م وتعود عبادته إلى فجر التاريخ

المصرى (مرمدة والفيوم تقعان فى الجانب الغربى من مصر على تخوم الصحراء)، والمعروف أنه فى عصر الأسرة الثانية والعشرين كان الإله ست معبوداً بالغ الأهمية فى واحات الصحراء الغربية، من هنا نرى «وينرايت» يقول : إن دين السماء فى مصر ليس بالغ القدم فحسب بل نراه مرتبط ارتباطاً خاصاً بالغرب بليبيا، بالصحراء[1].

ويتتبع «وينرايت» بكثير من التفصيل وعدد وافر من المراجع الأثرية جملة الشعائر المتبعة عند قدماء المصريين وطقوس القرابين والاحتفالات الدينية وثياب الفراعين والكهنة ويرجعها كلها إلى الصحراء قبل أن تتحول إلى أرض جرداء ويضطر أهلها إلى النزوح لمصادر الماء، إلى النيل، معنى ذلك أن بعضاً من المصريين جاءوا أساساً مما يعرف اليوم باسم ليبيا أو الصحراء الليبية، حملوا معهم الهتهم الصحراوية واستوطنوا وادى النيل، ربما كان هذا هو تعليل ما نلاحظه من العلاقة الخاصة بين مصر وليبيا، وهو السبب فى أننا نرى بروز هذه الالهة وسيطرتها كلما ازداد نفوذ الليبيين المهاجرين الجدد مثلما حدث فى الأسرة الثانية والعشرين وأسرات العصر المتأخر.

وهكذا يقول «وينرايت»: ان ديانة انزال المطر ديانة عتيقة جداً وواسعة الانتشار فى العالم كله، فالخصب يأتى من السماء التى تخصب الأرض بالمطر، ومن المعروف أن عدداً كبيراً من إلهة مصر كانت ألهة سماوية يمكن تتبع بعضها أو بعض نماذجها إلى العصور القديمة قبل أن يهبط المصريون إلى وادى النيل[2].

ويرى «باتس» ضرورة وجود علاقة بين ديانة المصريين وديانة الليبيين

---

(١) Wainwright, G.A., **The Sky Religion in Egypt**, Cambridge, 1938, pp. 9-14

(٢) Wainwright, Op. Cit., p. 85

أقرب من العلاقة التى وجدت بين ديانة الليبيين والساميين مثلاً حيث توجد عناصر متنوعة فى الديانة المصرية ذات أصل ليبي(١).

مما سبق يرى الباحثين أن بعض ألهة مصر القديمة تعود بجذورها إلى أصول ليبية(٢). حيث أن العلاقة الأولى بين الليبين والأله «أوزير» يمكن أن تتحسسها فى تمثيل هذا المعبود لفكرة الخصب والنماء، فهو الذى أدخل الزراعة حتى أصبح رمزاً لكل ما ينمو، فعلم قومه الزراعة حين استقروا بمصر وكانوا قبل ذلك رحلاً، لذا نراه يُمثل ووجهه ويداه باللون الأخضر، فليس عجيباً إذاً أن نرى «أوزير» يوصف بأنه «صانع الحبوب» فهو إله الحبوب الذى أوجد الشعير والشوفان والقمح والذرة(٣).

ويضرب «باتس» أمثلة عديدة على أن روح الحبوب تسمى العجوز فى كثير من المجتمعات البدائية، وهو يؤمن بأن «أوزير» نشأ اسمه من اللغة الليبية القديمة باعتباره إلها ليبياً فى الأصل، ويشير إلى الجذر «و س ر» في لهجة الشمال الأفريقى والتى تعنى القديم أو العتيق أو العجوز، وهذه الصفة قبل غيرها تربطه بالغرب وتصله بالليبيين أصلاً ونشأة، إذ من المعروف أن الإنسان قد استقر على ضفاف النيل بعد أن كان قد تحول من طور الصيد والرعى إلى طور الزراعة فى مناطق الصحراء. والتى كانت بحكم تعرضها لتساقط المطر آنذاك (العصر المطير) أكثر ملاءمة لهذا التحول الحضارى فى حياة الإنسان الأول (٤) ويُرجع «بترى» أصل «أوزير» إلى الليبيين حيث يقول: "إن عبادة أوزير الوافدة على مصر من

---

(١) Bates, O., The Eastern Libyans, p. 207

(٢) Griffith, J.G., The Origins of Osiris and His Cult, Brill, Leiden, 1980, pp. 88-89

(٣) نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم**، جـ ٤، الحضارة المصرية، ص ١٧٨

(٤) Bates, Op. Cit., p. 89

وقارن Petrie, W.M.F., Naquda and Ballas, London, 1986, p. 59

ليبيا قد غيرت كثيراً من طقوس ومفاهيم المعبودات الأخرى، فتحولت هذه حتى فى شكلها الحيوانى إلى بشر برؤس حيوانية والتى كانت الأصل قبل ذلك[1].

ومن بين ألقاب هذا الإله العديدة بصفته راعى الأموات لقب «سيد الامنتيت» وامنتيت هو الغرب ويرمز لعالم الأموات، والواقع أن أوزير أُعتبر إله الغرب وسيد عالم مابعد الحياة فى مصر القديمة، ولارتباط هذا الإله بالغرب علاقة بالليل ووحشة الظلمة ورغبةالإنسان فى النوم وهذه حالة مؤقته تمثل الموت[2] ورغم أن رمز الإله أوزير فى أبيدوس عبارة عن صندوق يفترض أنه يحتوى على رأس أوزير محفوظاً بهذه المدينة وكان هناك ثعبان وريشتان مرتبطة بالصندوق تمثل الأله[3] والريشتان والأفعى من مميزات الليبيين الأخيرة من معبوداتهم القديمة، نقول رغم هذا كله ليس من السهل اليوم القول بأن أوزير هذا معبود ليبيى الأصل على التأكيد.

أما الإله «حورس» فهو من المعبودات التى عُبدت فى مصر وليبيا، وقد تعددت ألقاب هذا الإله واسماؤه والألهة التى مثلها أو مُثلت فيه، ويرتبط اسم حورس فى اللغة المصرية بمعنى الارتفاع والسمو ويرتبط أكثر بالصقر الذى ربما أتخذ رمزاً لهذا الارتفاع، وقد مُثل هذا الإله فى الديانة المصرية أيضاً إنسان برأس صقر [4] أما فى ليبيا نجد المنطقة التى يُعبد فيها «حورس (قورينى) فهى تقع عند نقطة تتمثل فيها بجلاء فكرة هذا الارتفاع حتى لتبدو وكأنها واقعة فوق السحاب فعلاً وذلك فى بعض أيام

(١) Petrie, W.M.F., **Religion Life in Ancient Egypt**, Boston, 1914

(٢) Boris De Rachewilts, **Imti ei Lusghi Dell'Antico Egyitto**, pp. 17-18

Ben. Bonacell, **L'africa Nella Concezione Geografica Devyli Antichi**, p. 39

نقلاً عن بازامه: **قوريني وبرقة - نشأة المدينتين فى التاريخ**، بنغازى، ١٩٧٣م، ص ٢١٧ - ٢١٨

(٣) نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم**، جـ ٤، ص ١٨٠ .

(٤) نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم**، جـ ٤، ص ١٢٧-١٢٨

تشرنى : **الديانة المصرية القديمة**، ترجمة أحمد قدرى، ١٩٨٧، ص ٢٣٩ .

الشتاء التى تكثر فيها السحب الشديدة الانخفاض، فهذه السحب تخفى موقع قورينى عن أعين من يشاهدها من المناطق المنخفضة عنها، كما أن الصقر من الطيور الجارحة التى تكثر بالمنطقة وتتخذ من فجوات صخورها الشاهقة أوقاراً تلجأ إليها، وصلة حورس بـ «التمحو» واضحة حيث نجد بين ألقاب «حورس» العديدة لقباً يربطه مباشرة بهذا الشعب هو «حور تحنون» ولقباً آخر هو «تحنوى» أى صاحب تحنو [١] كما أن عبادة «حورس» رغم انتشارها فى كل مصر إلا أنها تركزت فى الدلتا الغربية حيث كان يطلق على هذا الإله «الليبى ذو الذراع المرفوعة» [٢].

وكما عُبد «أوزير» و«حورس» من قبل الليبيين فى الأجزاء الشرقية من ليبيا، فقد عُبدت كذلك «إيزيس» أم «حورس» وزوجة «أوزير»، وحول عبادة «ايزيس» فى ليبيا لا تفيدنا الآثار المصرية كثيراً، وإنما نجد ضالتنا فى الأساطير اليونانية وكتابات هيردوت والآثار اليونانية التى كشف عنها فى «قورينى» وصور بدائية تم العثور عليها فى الصحراء الليبية إلى الغرب من إقليم «برقة» حيث نعرف منها جميعاً أن عبادة ايزيس كانت منتشرة بين الليبيين منذ عصور ما قبل التاريخ.

من الثابت أن شخصية ايزيس قد اقترنت بالبقرة وأنها قُدست فى هذا الحيوان، وأنه قُدس من أجلها، وقد رسمت على الآثار المصرية فى هيئة بقرة بقرنين يتوسطها قرص الشمس، وقد وجدت صورة تمثل البقرة بهذا الوصف فى «مايا ديب» بجبال طرابلس» كما مُثلت ايزيس أيضاً فى صورة امرأة واقفة أو جالسة على عرش برأس بقرة، كما مثلت وهى ترضع طفلها «حورس» ويُقدس فيها وفاء الزوجة وحنان الأمومة [٣].

---

(١) سليم حسن: **مصر القديمة**، جـ ,٧ ص ٢٣

(٢) نجيب ميخائيل: المرجع السابق، ص ١١٧

(٣) El Mosallamy, **Libya Antique**, 2, p. 53.

محمد سليمان أيوب: **ليبيا فى التاريخ** ، بنغازى، ١٩٦٨، ص ١٧٢

ويحدثنا «هيردوت» عن عبادة «إيزيس» في ليبيا فيقول: إن الليبيين الذين كانوا غذاؤهم اللحوم وشرابهم الألبان، كانو لا يمسون لحم البقر لذات السبب الذى من أجله يمتنع عن تناوله المصريون، ولا يستثنى نساء برقة ولا نساء قورينى من ذلك، بل يصرح أنهن كن يفعلن ذلك تقديساً لإيزيس المصرية التى يقمن تنسكاً لها أيضاً بإحياء الحفلات الدينية الخاصة بها[1] ويعتبر الخنزير الممثل للإله «ست» عدو إيزيس وغريمها، فيذكر هيردوت أن الليبيين كانوا يمتنعون عن تربية هذا الحيوان، ويخص نساء برقة أنهن كن يمتنعن عن تذوق لحمه[2] ويذكر «بلوتارخ» أن المصريين كانوا يضحون لـ «ست» بخنزير كل عام، كما يقال كذلك أن خنزيراً يضحى به لأوزير في نفس اليوم الذى يظن أنه قتل فيه، وكان المصريون يكرهون الخنازير ولكن يضحون منها كل عام مرة للقمر «إيزيس» ثم يأكلون لحومها بهذه المناسبة فقط، لأن المصريين كانوا يعتبرون الخنزير حيواناً دنساً لا يجوز أكله إلا فى هذه المناسبة الدينية وحدها[3].

وقد عثر على تمثال من المرمر لهذه المعبودة المصرية الليبية بين حفائر قورينى أُرجع عهده إلى زمن البطالمة، وقد استدل العلماء الأثريون من المكان الذى عثر عليه فيه ومن التماثيل الأخرى التى وجدت معه فى نفس المكان على أن عبادة ايزيس استمرت تمارس طقوسها من قبل سكان قورينى أو من قبل بعضهم إلى زمن متأخر من العصر البيزنطى، كما عثر فى فزان على نقش غائر فى صخور أحد الأودية على رسم للبقرة التى يعلو رأسها وبين قرنيها قرص الشمس وبنفس الكيفية التى كانت تُمثل بها إيزيس على الآثار المصرية، فاستدل من ذلك على أن عبادة ايزيس كانت

(١) هيردوت: ٤: ١٨٦

(٢) نفسه

(٣) نجيب ميخائيل: المرجع السابق، ص ١١٩

منتشرة حتى آخر حدود فزان وربما إلى الغرب منها[1].

وكانت هناك علاقة بين ايزيس والقمر، ويحدثنا هيردوت أن الليبيين كانوا لا يقدمون القرابين لغير الشمس «حور» والقمر «إيزيس»، ويصف لنا طريقة تقديمهم لقربان فيقول انهم كانوا يبدأون بقطع جزء من أذن القربان، ثم يرمون بها إلى الخلف من فوق الكتف، وبعد ذلك يفصمون رقبته فصماً[2].

والإله «ست» هو الآخر من المعبودات التى عُبدت فى مصر وليبيا، والحقيقة أنه لا يمكن تحديد صلة الليبيين بهذا المعبود إلا من النصوص الفرعونية وحدها حتى الآن، فرغم أنه أول معبود وطنى شاعت عبادته فى مصر، إلا أنه ارتبط فى النصوص دائماً بليبيا وإقليم الصحراء والبلاد الأجنبية، وفى أغلب الأحيان كان ست يعتبر إلهاً للصحراء، وتمتد شهرته لهذه الصفة وهو فى الشرق والغرب والجنوب الليبى، وكان يعرف فى العهد الثنى باسم سيد ليبيا، كما ظل يعرف بلقب حامى الأراضى الحمراء أى الصحراء، كما عُبد فى واحة الخرجة وكان أحمر اللون أحمر العينين، والمصريون يمقتون اللون الأحمر لأنه فى نظرهم يعنى الشر[3].

ويذكر «بترى» أن «ست» ينتمى إلى الليبيين اذ أُعتبر ذا شعر أحمر وجلد أبيض أى التحنو أو ذوى البشرة النقية، ومن هنا يمكن أن نتصور أن ايزيس وأوزوريس وست ثلاثة أرباب لقبائل مختلفة من الليبيين[4]. ويؤكد «بترى» رأيه هذا مرة ثانية مضيفاً ارباباً أخرى إلى القائمة حين يقسم

---

(١) بازامه : المرجع السابق، ص ٢٢٣

(٢) هيردوت ٤: ١٨٨

(٣) نجيب ميخائيل: **مصر والشرق الأدنى القديم**، جـ ٤، ص ١١٧ - ١١٩ .

Mercer, S.A.B., **The Religion of Ancient Egypt**, London, 1949, pp. 49 - 51.

(٤) Petrie, W.F., **Religion and Conscience in Ancient Egypt**, London, 1898, p. 57.

الألهة إلى أربعة أقسام، على هيئة حيوان، على هيئة بشرية ، ألهة كونية (سماوية)، آلهة مجردة، وإلى المجموعة الثانية ينتمى أمون وموت وخونسو ونيت، وكلهم يصورون على هيئة بشرية إلى جانب أوزوريس ، وروابط هذه المجموعة كلها تنتمى إلى الغرب (ليبيا) باعتبار أوزوريس ذا صلة بالمعبود الليبى «ددن» كما انه رب النبت إله الغلال، وبالنظر إلى شخصية «خونو» و«آمون» التنبؤية، فهذه الفكرة جاءت من الغرب، كما أن آمون هو إله الواحات، أما «نيت» فلا ريب أنها ربة ليبية(١).

أما الألهة «نيت» فهى واحدة من أقدم المعبودات المصرية فى مدينة «سايس» غرب الدلتا حيث كانت تعتبر إلهة المقاطعتين الرابعة والخامسة وكانت كذلك ربة للصيد، مثلت فى شخصيتها إلهات أخريات أصبغت عليها أوصافها وخواصها، وقد أشير إليها فى الكتابات القديمة والحديثة، ووجد اسمها منقوشاً على تماثيل أقدم الفترات التاريخية فى مصر بل أن أقدم رموزها مثل فى نصوص الأهرام بدرع وسهمين اشارة إلى انها ربة للصيد(٢) وسميت باسمها ملكات مصر فى فجر التاريخ مثل «نت - حتب» و «مرى - نت » وأقيم أقدم معبد لها في عهد الملك «عحا»، وقد عبدت فى كل أرجاء مصر حتى نقادة فى الجنوب، ولكن أعظم مركز لعبادتها كان فى «سايس» والتى كانت تسمى «حت - نت» أى مسكن «نت»، وكانت تلقب بأم الشمس وبالبقرة التى تحمل الشمس بين قرنيها(٣). وكما أسلفنا، فإنه

---

(١) Ibid, pp. 77 - 78

(٢) El-Brovarski, "Two Old Kingdom Writting Boards frmm Giza", **A.S.A.E.**, 71, 1987, p. 36.

Hosnung. E., **Conceptions of God in Ancient Egypt**, Trans. By John Baaines, London, 1982, p. 108.

دوماس: **الهة مصر** ، ترجمة زكى سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٩٧

(٣) نانديه: **مصر**، ص ١٥٥-١٥٨ .

Habaachi, L., Sais and Its Monuments, **A.S.A.E.**, 42, 1943, p. 370 Note 3

وجدت صورة تمثل البقرة بهذا الوصف فى «مايا ديب» بجبال طرابلس الغرب، وكما هو واضح فإن شعارها كان رمزاً حربياً، وهذا الرمز ربما يفسر السر الذى جعل رجال القبائل الليبية المحاربة يحملون رمزاً يمثل البقرة تحمل قرص الشمس بين قرنيها كعلامة حربية تجلب النصر، ولعل هذا هو السبب الذى كان من أجله تلبس الفتيات ملابس المحاربات فى حفل الإلهة «أثينا» التى وحد الإغريق بينها وبين «نت»، ولعل هذا هو الذى وصم ذلك الاحتفال أيضاً بطابع العنف فى تمثيل حركات القتال بين الفتيات فى احتفالهن بعيد أمهم «نت» الأنثى المحاربة[١].

ويذكر «مرسير» أن «نت» الهه ليبية النشأة[٢]. وقد ناقش «باتس» بتفصيل كبير كل ما يتعلق بهذه الربة الليبية الأصل التى غزت مصر منذ أقدم العصور[٣].

ويرى بعض المؤرخين أن عبادتها ترجع إلى العهد الذى كانت الأسرة فى المجتمع أمومية (أى تنسب الأبناء فيها للأمهات) ولعل هذا ما أراده سليم حسن بقوله كانت الإلاهات فى ذلك الوقت لهن الحق فى وراثة الملك ، كما كان للمرأة فى الشرائع الدنيوية[٤]. وقد اقترنت «نت» بالليبين طوال فترات التاريخ الفرعوني، وحمل الليبيون رمز هذه المعبودة كوشم على الذراع والسيقان فى أغلب رسوماتهم على الآثار المصرية القديمة[٥].

---

(١) أيوب: **جرمه – من تاريخ الحضارة الليبية**، ص ١٨٦ – ١٨٨

على فهمى خشيم : **الهة مصر العربية**، طرابلس، ١٩٩٢، ص ٢٧٤ .

Graves, R., **The Greek Miths**, Penguim Books, 1958, p. 39.

(٢) Mercer, Op.Cit., p. 196.

(٣) Bates, Op. Cit., pp. 203 - 207.

(٤) سليم حسن : **مصر القديمة**، جـ ١، ص، ١٩٠ .

(٥) El-Mosallamy, **Libya Antique**, 2, p. 53.

وقد اتخذ الجرامنت الإلهة «نت» رمزاً للحياة، وكنوا عنها بالكف السحرية، فصنعوا لها الشواهد على شكل الكف ولونوها باللون الأحمر رمز الحياة وأشاروا إليها بالشواهد القرنية الشبيهة بقمتي الجبل، ومثلت بالقمر الذى كان يهدى المسافرين ليلاً بالصحراء، ورمز لها بالعلامة «عنخ» رمز الحياة،[1] والحقيقة أن «نت» قد مثلت على إناء الملك «باك ان رن اف» (بوخريس» من الأسرة الرابعة والعشرين، وهى ممسكة علامة الحياة «عنخ» فى يدها اليسرى المرفوعة لأعلى وتتجه إلى ظهر الملك لتمنحه الحياة ولتجدد شبابه وحكمه أمام الألهة «حور» و «أنوبس» و «جحوتى» فى معبدها بسايس [2].

أما الإله «اش» فيقول عنه «مرسير» أنه يبدو معبوداً ليبياً، وقد وجد منذ عصر الأسرة الثانية على أختام «خع سخموى» و «برايب سن» برأس الإله «ست» مما يبين صلة الإثنين بعضهما ببعض، وهو إله الصحراء الغربية، ويسمى غالباً «سيد ليبيا»، وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين صور بثلاثة رؤوس ترمز لربات مصرية ثلاث هى رأس اللبؤة والعقاب والصل مع لقب يدل على ذلك هو «اش كثير الوجوه»[3] ويذكر «باتس» أن إلها ليبياً باسم «اش» ذكر منذ الأسرة الرابعة فى نقوش الملك «سا حو رع» ويمكن الحكم من الشكل الذى يبدو به هذا المعبود فى تلك النقوش انه كان ذا شهرة فى ليبيا الشرقية فى عصر الدولة القديمة[4].

(١) أيوب: **ليبيا فى التاريخ**، ص ١٦٩ .
أيوب : **مختصر تاريخ فزان**، ص ٦٢

(٢) Stevenson Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, Maryland U.S.A., 1965, Fig. 76.

(٣) Mercer, Op. Cit., pp. 188 - 189.
تشرنى: **الديانة المصرية القديمة**، ص ٢٣٤

(٤) Bates, Op. Cit., p. 184.

ومن الآلهة التى عُبدت فى مصر وليبيا الإله «آمون» حيث تدل دراسة بعض النقوش مثل رسوم الكباش الليبية التى تحمل فوق رؤوسها رموزاً بيضاوية الشكل، والتى فى بعض الأحيان يوجد أمامها رجل يتميز بوجود خصلة من شعر جانبية فى رأسه مما يوحى بإمكانية وجود شبه بين تلك الكباش والكبش المصرى فى العصر الفرعونى الممثل للإله آمون فى العقيدة المصرية القديمة، هذا بالإضافة إلى الرسوم الليبية المشابهة لحد كبير للرسوم الخاصة بالألهين «أوزير» و «بس» مما يدعم وجود أتصال حضارى فى الفكر الدينى بين مصر وليبيا(٢).

وقد صار الإله آمون أعظم الألهة فى مصر فى عصر الإمبراطورية وتوطيد مركزه بعد انتصاره على الهرطقة الأتونية وأقيم له معبد كبير فى واحة سيوه، ومن هذه الواحة انتشرت العقيدة الأمونية بالصحراء خاصة بعد أن تمكن «رمسيس» الثالث من التحكم فى الواحات، حتى وصلت عبادة آمون تدريجياً إلى إقليم طرابلس، وفى العصر الفينيقى كان للإله آمون نفوذ لاشك فيه على عبادة «بعل آمون»، ولا يعتقد «Leglay» أن آمون سيوه يقدم لنا رباطاً بين آمون طيبة وبعل آمون إنما يعتقد أن البربر كانو اواقعين تحت التأثير المصرى فى وقت يسبق قيام هذا الدين فى سيوه ولابد أن عبادة بعل آمون الفينيقى أصبحت متقدمة على عبادة الكبش المحلية والذى يتماثل وآمون المصرى(٣).

---

(١) رشيد الناضورى: **المغرب الكبير – العصور القديمة**، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص ١٣٩

رشيد الناضورى : **التطور التاريخى فى الفكر الدينى**، بيروت، ١٩٦٩، ص ٤١-٤٢

(٢) چيهان ديزانج: «البربر فى أفريقيا الصغرى»، **تاريخ أفريقيا العام**، ص ٤٤١

Leglay, M., **Saturne Africain** Histoire, Bibliotheque de L'Ecole Francaise d'archeologie de Rome, Paris, 1969, pp. 428 - 431.

باستيلاء الفرس على معبد آمون الكبير بالكرنك، أصبح لمعبد آمون فى سيوه مركز مرموق بين عباد هذا الإله، وقد اكتسب هذا المعبد مكانة خاصة فى القرن الخامس ق. م فى مدن الإغريق بما قدمه لهم من التنبؤات عن انتصارهم على أعدائهم الفرس، وسمى الأغريق هذا المعبد بمعبد «زيوس آمون» ، وقد ألف «بنداروس» قصيدة فى قدسية «آمون» ليبيا وأرسلها للأمونيين وتبدأ القصة بـ «أيا امون، ياسيد الأولب» وقد وزعت القصيدة على لوحة مثلثة والتى أهداها «بطلميوس» إلى معبد الأله فى سيوه ومن الملاحظ أن الشاعر أرسل القصيدة إلى معبد سيوه وليس لمعبد زيوس في قورينى، وهذا يوضح أن «بنداروس» قدس آمون ووضعه فى نفس مستوى «زيوس» على جبال الأولب، أما قول «ثيودروس» القورينى «يا إلهنا آمون» فإنه يؤكد أن هذا الإله أصبح المعبود الرئيسى فى المنطقة [1].

والحقيقة أن اتباع آمون كانوا من أقوى القبائل الليبية ولذلك انتشرت عبادته فى قطاع عريض من الصحراء الغربية كان يمتد من النوبة جنوباً إلى ساحل شمال أفريقيا، وبذلك سيطروا على طريق القوافل الذى يسير من «دارفور» إلى مختلف الواحات وهذا يعنى أنهم لعبوا دوراً هاماً فى نقل التجارة من الجنوب إلى الشمال عبر الواحات الغربية عندما تأثرت مصر كمركز تجارى أثناء الاحتلال الفارسى[2].

ولم تنتشر عبادة الإله آمون بهيئته المصرية التى كانت تعتبره إلها للإخصاب، بل اكتسب خصائص جديدة، فصار عالماً بالغيب يستشيره

---

(١) Ghazal, A.H., "New Light on The Distinction Between Ammon of Libya and Zeus of Cyrenc", Liby Antique, 2, 1984, p. 174.

(٢) Bates, Op. Cit., pp. 101-102.
Fakhry, A., History of Bahryah, p. 27.

التجار ورجال القوافل عما يعن لهم من الأمور، وصار هادياً للضالين بالصحراء يرشدهم إلى ينابيع المياه والآبار، وأصبح حامياً لسكان الواحات من بطش الإمبراطوريات التى تضخمت وأصبحت تهدد المجاميع الصغيرة من الإمارات والممالك بالصحراء الكبرى[1]. فكان الإله آمون بما له من قوة سحرية يثير الزوابع والرياح ويهلك الجيوش الجرارة كما فعل بجيش «قمبيز» الذى أرسله للاستيلاء على سيوه فهلك فى الطريق، يقول هيردوت: ان النسمونيين وهم جيران الجرامنت وبنى عمومتهم كانوا يعظمون الإله آمون فلا يستبعد أن تكون عبادة هذا الإله قد انتقلت إلى الجرامنت من النسمونيين، ما لم يكن الجرامنت أنفسهم من عُباده الأول، وأن التحليل اللغوى للإسم «جرامنت» يدل على أن جزء من هذا الإسم يحوى اسم الإله أمان أو آمون[2].

من الألهة التى عُبدت فى ليبيا أيضاً الإله «تحوت»، فقد عثر «هنرى لوت» فى مدينة جبارين [3]. على لوحتين، لوحة «الإلهات الصغيرات» ولوحة «القربان»، وهما اللوحتان اللتان كونتا لغزاً محيراً له حاول تفسيره وقدم فى ذلك بعض الآراء ، نرى قبل التعرض لها أن نصف اللوحتين.

أما اللوحة الأولى «الإلهات الصغيرات» فهى ليست من الحجم الكبير

---

(١) Bates, Op. Cit., pp. 190 ff

(٢) أيوب: **جرمه**، ص ١٨١ ؛ **ليبيا فى التاريخ**، ص ١٦٩ -١٧٠

(٣) جبارين هى إحدى مناطق تاسيلى الغنية بلوحات من عصور ما قبل التاريخ فى الصحراء وهى تعنى فى لغة الطوارق، العمالقة، وجبارين هذه عبارة عن مرتفعات من الصخور الرملية تنهض بشكل عادى من هضبة تاسيلى أثرت فيها عوامل التعرية فتآكلت قواعدها مكونة مخابئ وكهوف أعمق مما فى أى منطقة أخرى، وقد امتلأت جدران هذه التجاويف بالعديد من الرسوم والنقوش حتى اسماها «لوت» جبارين ذات الخمسة آلاف لوحة.

لوت: **لوحات تسيلى** - ترجمة زكى حسن، طرابلس، ١٩٦٨، ص ٦٧-٧٠ .

حيث لا تزيد عن ٢٧×٣٧ سم ولا يزيد موضوعها عن أربعة فتيات رشيقات في مقتبل العمر، رسمت رؤوسهن على هيئة رأس طائر رأينا فيه شبهاً كبيراً بطائر «أبيس»، وقد أرسل شعر الرأس في تسريحات عادية مما كان شائعاً عند نساء قدماء المصريين وتنتهى التسريحة بما يشبه الأفعى المنتصبة، أو لعلها خصلة شعر أعدت لتكون كذلك، وقد رسمن في حالة حركة وكأنهن يقدمن من ناحية شيئاً ما في تناسق بديع، واحدة إلى الأمام واثنتان خلفها عن اليمين وعن اليسار والرابعة خلفهن في الوسط وجميعهن يقدمن في خطواتهن اليمنى ويؤخرن اليسرى، أما الأيدى فقد رسمت اثنتان الأمامية والتي خلفها من الجانب الأيسر وقد رفعتا الساعد الأيسر بحيث كون الأبط زاوية قائمة تقريباً ثم أرسلنا اليد اليمنى في استقامة ولكن بانفراجة عن الجسد، أما التي في الخلف فقد عكست الوضع فرفعت اليد اليمنى وأرسلت اليسرى دون أن تعدل في الوضع والأبعاد وشذت عنهما التي في الوسط فقد رفعت كلتا يديها بحيث كون عضدها خطاً مستقيماً مع الكتفين تقريباً ورفعت ذراعاها إلى أعلى كالأخريات (انظر الشكل رقم (١) وقد استخدم الرسام أربعة ألوان فخص كل واحدة منهن بلون، الأمامية بلون بني غامق والتي خلفها عن اليمين باللون الأبيض، والتي خلفها على اليسار باللون الأصفر، والأخيرة باللون الأحمر (لم تظهر الألوان نظراً لتصوير اللوحة).

ويعلق «لوت» على هذه اللوحة قائلاً: أن جبارين كانت تنوى أن تحتفظ لنا بمفاجأة ضخمة وبالفعل فقد أبرز «كلود» (أحد أفراد فريق البحث» وهو ينظف أحد الجدران ظهرت للعيان صورة أربع نساء صغيرات برؤوس الطير أشبه ما تكون بالرسوم التى نشاهدها فى بعض المعابد المصرية، كانت اشكالاً مصرية صميمة حتى أننا أخذنا نتوقع أن تطالعنا النصوص

الهيروغليفية المفسرة للمنظر ولكن عبثاً حاولنا، فبالرغم من عمليات المسح العديدة لم يظهر أى شئ، ولكن ترى هل يكون من الممكن أن يكون الفراعنة قد أوغلوا بغاراتهم حتى تاسيلي؟ ... لو أن أشكالاً أخرى من نفس النوع عثر عليها بالصحراء لابد لنا أن الجواب على هذا السؤال بالإيجاب، أما فى الوقت الحاضر فلا يبدو الأمر هكذا، فالأمهات الصغيرات برؤوس الطير تعود إلى العصر التاريخى ربما للأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، ومن المحتمل إذن اعادتها إلى سنة ١٢٠٠ ق.م ونحن نعلم أنه فى ذلك العصر كان الليبيون الذين يسكنون فزان وهى منطقة قريبة من تاسيلى فى صراع مستمر مع مصر يحاولون احتلالها، فهل قام المصريون بمطاردة هؤلاء حتى ملجئهم بتاسيلى؟ ليس هذا بالمستحيل، حتى ولو أن توغلوا إلى مناطق بعيدة كهذه فى أرض العدو بينما خطوطهم الخلفية تبدو مكشوفة يبدوا أمراً غريباً، وعلى كل فإن حملة من هذا النوع لم يرد ذكرها فى أى تاريخ مصرى، كيف نفسر إذن هذا الرسم؟ ، تفسيران محتملان، فإما أن يكون راسميها من الأسرى أو من التجار المصريين الذين وجدوا بتاسيلى، وأما أن ليبيين أقاموا بمصر ارادياً أو كأسرى وهم الذين حملوا لوطنهم من مصر هذا الأسلوب فى الرسم، على كل فإن الحروب المتواصلة بين الليبيين والمصريين تكفى وحدها لتبرير تغلغل الفن المصرى فى الصحراء[1].

إلا أن هناك من يرى تفسيراً آخر لهذه اللوحة حيث خلص إلى الشبه الواضح بين اللوحة والإله تحوت وذلك للشبه فى رسم الرأس (انظر الشكل رقم ٢) وربط بين الإلهات الصغيرات بالتقويم المصرى، فالفصول الثلاثة هى الأيدى المرسلة والأشهر الأربعة لكل فصل هى الإلهات الأربعة، والأيام

(١) لوت : **لوحات تسيلى**، ص ٧٢

الثلاثون للشهر هى أصابع الأيدى الظاهرة، وأيام النسئ هى الأيدى المرفوعة (انظر الشكل التوضيحى رقم ٣) وهكذا يرى صاحب هذا الرأى أن مضمون اللوحة يضيف سنداً جديداً للتشابه بين هذه اللوحة والمعبود المصرى «تحوت»(١).

أما اللوحة الثانية فهى أكبر حجماً وأكثر تعقيداً إذ أن مساحتها ١٠٥×٥٨سم وتحتوى على ستة أشخاص (ثلاثة ذكور وثلاثة أناث) وقارب وثلاثة أكواب وثلاثة رموز احداها على شكل العكازة المعقوفة الرأس، والآخران كأنهما أغصان شجر أو مقدمة جريدة نخل بعسفها وأخيراً بع الأشجار المركبة من خط أفقى طويل مايشبه الكوبين والمسلة والصحن أو قرنين وتحته خطان أفقيان يمتدان ما بين المسلة وآخر الخط واسفلهما خط عمودى وشكل يشبه الهلال المفتوح إلى أسفل (انظر الشكل رقم ٤) أول الأشخاص (على يسار الرائى) يقف في تعاظم ويبدو انه يمسك بقضيب أو رمح (أطول منه» لم يبقى سوى الجانب الأعلى منه فى الرسم، أما يده اليسرى فهى فى وضع يرحى بأنه يحمل بها شيئ غير موجود بالرسم أو أنه يعتمد عليها فى التوكؤ على شئ وفى أعلى الرسم نقطة مستديرة صغيرة لا مغزى واضح لها، وأمامه ومن الجانب الأيسر له شكل قارب بسيط يلاحظ أن مقدمته ومؤخرته قد انتهتا بانحناءات وزوائد بدت وكأنها القاعدة التى تحمل أعلام ورموز المقاطعات وبالفعل فقد رسمت فى أسفل القاعدة خطوط أربعة شديدة الميل فى المقدمة وخطوط أربعة تحتها خط خامس ناقص الطرفين عنها مائلة هى الأخرى ولكن بدرجة أقل، حتى تبدو لتقاربها ودقتها وكأن كلا من المجموعتين علم أو راية، بعد القارب صورة

(١) بازامه: **تاريخ ليبيا، جـ ١ فى عصور ماقبل التاريخ، ..... - ٣٢٠٠ ق.م**، بنغازى، ١٩٧٣، ص ١٩٥ وما بعدها

لإحدى الإناث غير تامة (تلف نصفها الأسفل وذهبت ألوانه) وأمامها اثنتان فرجل والأشخاص الأربعة فى حركة من يدخل مكان أو يُقدم على إنسان، وهذا الأنسان هو آخر الأشخاص يبدو كالجاثم على ركبتيه أو كمن يهم بالقيام.

ومن حيث الملابس فإن الأول يرتدى نقبه أمامية بسيطة من نوع ما نشاهده على بعض آثار مصر فيما قبل الأسرات والدولة القديمة، أما النساء الثلاث فيبدو من الرسم أنهن يرتدين ثياباً تشبه (التنورة) وتستر مابين الخصر والكعبين بقليل، وأما الشخص الذى يتقدمهن (ويبدو أنه مرافق لهن) فيرتدى جراب العورة الذى اشتهر به قدماء الليبيين على الآثار المصرية، وجميع الأشخاص لهم جسد بشرى ورأس طائر تماماً كما فى اللوحة السابقة.

ويذكر «لوت» تعليقاً على اللوحة انها منظر قربان واضح فيها التأثير المصرى لاسيما من عصر الأسرة الثامنة عشرة اكتشف فى العراء على جدران صخرة بالضفة اليسرى من الوادى فى موضع لم يكن ملجأ، وما كان من الممكن تعيين الألوان غير الواضحة إلا بعد مسح الجدار بماء واسفنجة. فى هذا الطراز يلاحظ تأثير الفن المصرى ولكن بأسلوب أكثر تحرراً من ذلك المتبع بالمعابد المصرية، وكل الأشكال رجالاً ونساء لهم رؤوس طير، وقد سرح شعرهم بالطريقة المصرية، ويلاحظ أيضاً بعض الأكواب الشبيهة بتلك التى لعصر ما قبل الأسرات(١).

وهناك من يرى أن هذه اللوحة ربما تكون نص هيروغليفى قديم، وربما يكون هنا نشأة الكتابة المصرية القديمة(٢). والحقيقة أن اللوحتين تشيران بوضوح إلى وجود صلة قوية بين شعب جبارين الصحراوى وبين مصر فى

(١) لوت: المرجع السابق، ص ٢١٢

(٢) بازامه: تاريخ ليبيا، ص ٢٠٠ وما بعدها.

الفترة التى رسمت فيه اللوحتان على الأقل، ولكن متى حدث ذلك وكيف؟ وهنا يجب أن نستبعد التاريخ الذى اقترحه «لوت» وهو عصر الرعامسة، على أساس حداثة هذا التاريخ حيث أن الحياة لم تكن مزدهرة فى مناطق تاسيلى واكاكوس آنذاك بفعل الجفاف الذى اشتدت وطأته من غالبية من كان يعمرها من الناس، كما أن النصوص التى وصلتنا من عهد الرعامسة ليس فيها ما يوحي ولو استنتاجاً بأن المصريين قد طاردوا الليبيين إلى أبعد من حدود مصر بكثير، كما أنه لم يثبت تاريخياً حتى الآن أن الليبيين الذين حاربوا مصر كانوا من منطقة فزان، وعلى ذلك يمكن إرجاع تاريخ اللوحتين إلى قبل عام ٣٢٠٠ ق.م، فإذا صح هذا أو قُبل كان هذان الأثران دليلاً مادياً على صلة أقدم من عهد أولى الأسرات بين سكان الصحراء أصحاب حضارتى تاسيلى واكواكوس وبين سكان وادى النيل فى عصور ما قبل التاريخ.

ويسترعى الانتباه فى هذه اللوحة وجود صورة قارب، وعلينا هنا أن نقارن هذا القارب بصورة القوارب التى وجدت ممثلة على أثرين مصريين الأول يد سكين من العاج وجد فى جبل العرقى والأثر الثانى مقبرة هيراكنوبولس، وموقع الأثرين بالقرب من نهاية طريق القوافل يصل النيل بالبحر الأحمر وصورة القارب تختلف تمام الاختلاف عن القوارب المصرية المرسومة على الأوانى الفخارية، حيث يمتاز القارب الأجنبى بمقدمة طويلة ومؤخرة عالية وهما صفتان لا تتوافران فى القارب المصرى المصنوع من عيدان البردى، ولا يمكن القول ان هذا القارب متطور عن قوارب البردى المصرية، والأرجح أن يقال أنه منقول عن قوارب بلاد النهرين حيث توجد قوارب شبيهة بهذه على بعض أوانى سومر من الألف الثالثة ق.م[1].

---

(١) ابراهيم زرقانه: **الجغرافية التاريخية**، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٤٨٣، شكل ١٦٣ .

علينا إذن أن نقارن هذا القارب الأجنبى الذى وجد على الآثار المصرية بالقارب الموجود فى لوحة القربان الليبية. والسؤال المطروح أيهما الأصل والأساس، والذى أثر فى الآخر الموجود على الآثار المصرية أم الموجود فى لوحة جبارين أم الموجود فى العراق؟

أما وجهة النظر التى ترى أن لوحة القربان ربما كانت نصاً هيروغليفياً قديماً، فرغم ما فى هذا الاعتقاد من غرابة إلا أنه يستحق التفكير والتأمل، فالكتابة المصرية كانت تفسر على كونها أشكال سحرية وتعاويذ لا يعلمها إلا أصحابها، وشئ قريب من هذا يمكن أن يقال عن موضوعات النقوش الصخرية، فهذا الكم الهائل من هذه النقوش والرسوم الصخرية فى الصحراء، وهذا الجهد الخارق للعادة فى تنفيذها يخرج بها عن التفسيرات التى قيلت بشأنها، فقد قيل عنها انها لإغراض سحرية كانت تضمن لأصحابها - بعد طقوس معينة - رحلات صيد مأمونه أو صيداً وفيراً، كما فُسر بعضها على أنها حفلات شعائرية لأصحابها، والحقيقة أن هذا التراث الهائل من النقوش والرسومات الصخرية ربما كان بمثابة الإرهاصات الأولى نحو ميلاد كتابة صحراوية أم، وأن هذه العملية توقفت فى إحدى مراحلها ربما لأنه لم يتوفر لها من العوامل والظروف ما يساعدها على التطور لتصبح من بعد كتابة مقروءة، ولتوضيح ذلك نذكر أن الكتابات القديمة المكتوبة التى ظهرت فى أرض العراق أو فى وادى النيل كانت فى مراحلها الأولى عبارة عن صور لحيوانات أو طيور أو أشياء مأخوذة من بيئتها المحلية، وأن هذه الصور هى التي كونت بعد ذلك المقاطع والحروف ثم الكلمات والأفعال التى أصبحت علامات متفق عليها ومألوفة لدى الجميع ومن ثم باتت مكتوبة ومقروءة، ومما ساعد على استمرار مراحل التطور أن كلا من الكتابتين وجدتا فى بيئتهما من العوامل

المساعدة التي يسرت لها هذا التطور وأدت إليه، ففى العراق القديم وجدت بوفرة مادة الطين (الرقيم) الذى كان من السهل الضغط عليها بأى أداه صلبة، وأُخترع الخط المسمارى، وتطورت أشكاله، أما فى مصر، استطاع المصريون أن يستخلصوا من نبات البردى صناعة الورق، وكان يلزم للكتابة عليه مداد فكونوه من السناج، أما القلم فكان عود من بوص مما ينمو بكثرة على شواطئ النهر أو البحيرات، فلو افترضنا أن مجتمعات النقوش والرسوم الصخرية وجدت من عناصر البيئة ما يسر لها أن تكون أدوات ووسائل للتعبير بدلاً من الصخور، ولو لم تتغير الظروف البيئية التى أجبرتها على تغيير بيئتها الأصلية والهجرة، يفترض أننا كنا قد امتلكنا الآن كتابة أم تحكى لينا ضمن موضوعاتها فصلاً عظيماً من حياة انسان الشمال الإفريقى، والحقيقة أن الأبحاث التى نتوقع أن تجرى فى المستقبل هى التى ستعطى الأدلة الحاسمة التى سيسيفيد منها العلماء الذين يتناولون هذه الموضوعات بالبحث والدراسة(١).

من العرض السابق يمكن أن يخلص الدارس إلى القول أنه إذا نظرنا فى مضمون معتقدات الشعوب قديماً وجردناها مما يغلفها من طقوس ومظاهر عبادات، فإننا نلحظ أن الظواهر الكونية كالشمس والقمر والماء والهواء والأرض وقوة الإخصاب وعيون ومجارى المياه العذبة كانت تقدس، ويقام لها العبادات المباشرة أو طريق رموز تتخير لها تحل فيها، وذلك لأنه قوى تحيط بالإنسان، وهى التى تكفل وجوده وتضمن له الحياة، وإلى جانب ذلك قدست بعض الظواهر الأخرى أو الحيوانات البرية كالتماسيح والأسود وأفراس النهر، فكانت تُعبد أيضاً كقوى يُخشى بأسها، ولقد خرجت مظاهر التقديس لدى الشعوب القديمة من منبع واحد يتجسد فى معنى واحد هو

---

(١) حسن الشريف: المرجع السابق، ص ١٠ .

رغبة الإنسان فى التقرب من القوى المحيطة به والمهيمنة على حياته مدفوعاً بالخشية والرغبة، وهذا بالفعل ما نلحظه لظاهرة الدين لدى المجتمعات فى ليبيا والشمال الإفريقى حيث عرفت كل هذه العبادات، وتأتى الفروق بعد ذلك فى ترتيب الإله حسب مكانة كل ظاهرة فى بيئتها أو تفضيل ظاهرة على أخرى فى الأولوية والمكانة، وبالنظر إلى الظروف المكانية والبيئية وعوامل أخري، كفرص احتكاك مجتمع مابالمجتمعات الأخرى غُلفت العبادات بطقوس خاصة أحاطت بها وشعائر معينة ارتبطت بها، وهنا يجب ألا نعزل ليبيا عن الواقع الليبى، كما يجب أن نأخذ فى الاعتبار ذلك الحادث البيئى الكبير والمتمثل فى حلول عصر الجفاف واضطرار الجماعات البشرية التى كانت تعيش فى الصحراء إلى الهجرة إلى مصادر المياه الدائمة. وهى بالطبع قد حملت معها معتقداتها. وبتوالى الحقب وطول بعدها عن أصولها حدث أن انحرفت هذه العبادات أو دخلت عليها اضافات مستحدثة، ولكن عند الدراسة والتحليل يمكن أن نتبين الأصول الأولى، وعلى ضوء هذا السياق من المقبول به أن نجد أشكالاً ورموزاً معينة لعبادات متشابهة فى أكثر من مكان من الشمال الإفريقى، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نطالع فى أكثر من مكان فى شمال أفريقيا حيواناً غالباً ثديي يحمل فوق رأسه بين قرنيه قرصاً مستديراً يؤخذ فى العادة على أنه رمز لقرص الشمس، كما أننا نجد حيوانات مثل البقرة والكبش والصقر مقدسة لدى أكثر من مجتمع، ولنا أن نتحفظ بشأن تلك الآراء التى يجتذبها وبشكل فورى احكام نهائية عندما تطالع مثل هذه الأمور وتفسرها على أنها جاءت نتيجة لاتساع النفوذ السياسى لمجتمع على غيره من المجتمعات، وأنه لذلك فرض معتقداته حيثما وصل نفوذه[١].

---

(١) حسن الشريف: **العلاقات الحضارية والتأثيرات المتبادلة بين أقطار الشمال الإفريقى**، بحث غير منشور ص ٦ .

وعلى ذلك لا يكون من المستغرب أن نجد لدى المجتمعات الليبية صورة لإله في هيئة كبش يحمل القرص المقدس وأن يكون الكبش أيضاً رمزاً لأكثر من إله في مصر، فهو رمز الإله آمون، وكان رمزاً أيضاً للإله ختوم، وكا إلهاً للإقليم العشرين من صعيد مصر، ولقد كان للبربر إله كبش الماء، وأن كلمة آمون أو أمان تعنى الماء، وكما ذكرنا في العرض السابق وردت افادات عن إله ليبى باسم «حور» وكان يميز عن الإله المصرى بحور أحمر العينين.

٢ - المقبـــــرة

علينا أيضاً أن ننظر إلى شكل آخر ضمن المعتقدات الدينية ويرتبط بها، وهو نظام المقبرة وطقوس الدفن، وحينما يتم الاهتمام بالمقبرة وبذل العناية للحفاظ عليها وتجهيزها بالمنقولات والآثاث الجنائزى، فهى كلها أمور ارتبطت فى الحضارات القديمة بفكرة الخلود أو الحياة بعد الموت، الحقيقة أن قليلاً فقط من مجتمعات العالم القديم هى التى امنت بهذه العقيدة منها الشعوب الليبية، لذا اهتم الليبيون بمقابرهم وآثاثهم الجنازى وقد أمكن تميز أربعة أشكال للمقبرة تشير بوضوح إلى تطور بناء المقبرة من الحفرة حتى المقبرة الهرمية.

أما النوع الأول وهو المقبرة الدائرية فهى عبارة عن حفرة دائرية صغيرة ضحلة العمق يوضع فيها المتوفى على هيئة الجنين ثم يهال عليه التراب، وحدد القبر دائرة من الأحجار، وهذا النوع هو الذى استعمله الجرامنت منذ أقدم العصور، وكانت هذه المقابر تحتوى على القليل من الآثار التى لم تتعد بعض قطع الفخار البدائى، وبعض أدوات الزينة من قشر بيض النعام أو العظم وبعض عقود الزينة المصنوعة من الحجر(١). وأمبثلة هذه المقابر

(١) أيوب : **مختصر تاريخ فزان**، ص ٥٨

وجدت فى «نحج» و «قصر الواتوات»، وكثيراً من هذا النوع يظهر فى الأودية كأنه من المقابر المدرجة مثل الموجودة فى جبل زنككرا، ولكن أكثر هذه الأنواع كمالاً تلك التى اكتشفت فى سنية بنى هويدى والتى تبرز مهارة الصانع الجرامنتى، وهذا النوع كان سائداً فى شمال أفريقيا(١).

من أمثلة هذا النوع ما وجد فى وادى الحياة (الاجال)، وقد نشر «هنرى لوت» لوحة من منطقة «غات» وهى عبارة عن دائرة غير منتظمة الشكل بجوارها شخصان، أما فى داخلها فيرقد شخص على ظهره كما يبدو، ويمتلئ باقى الفراغ حول الشخص بعدد من الأوانى والأطباق التى رصت بعناية (انظر الشكل أ) وقد وصف «لوت» الشكل بانه مسكن قمئ تجلس امرأة وطفل على جلد حيوان أمام الخطوط العامة للمسكن وقد استلقى رجل على ظهره حوله أشياء متنوعة(٢). إلا أن هناك من يرى أن هذا الشكل بعيد عن كونه مسكناً(٣)، فهو إن كان كذلك فأين بقية أماكن الأسرة الخاصة بهذا الشخص؟، ولكن من المعقول أن يكون الرسم لمقبرة فردية، تم دفن المتوفى تزويده بالزاد الذى يعينه على رحلة العالم الآخر، واما الشخصان الخارجيان فهما من أسرته، ربما كانا يؤديان بعض الشعائر على روحه، وربما كان لبُعد «لوت» عن نظام المقبرة المصرية وطقوس الدفن لدى المصريين القدماء خاصة فى عصور ما قبل الأسرات، إن فاته الربط بين هذا الرسم وبين ماكانت عليه عادات المصريين (شكل ب) وهى عادات وجدت أيضاً لدى مجتمعات النوبة، كما تشهد عليها وتؤكدها

(١) El-Rashdy, F., "Garamantian Burial Customs: Their Relation to Those of Other Peoples of North Africa", **Libya Antique**, 2, 1984, p. 77

(٢) هنرى لوت: **لوحات تسيلى**، ترجمة زكى حسن، طرابلس، ١٩٦٨ .

(٣) حسن الشريف: العلاقات الحضارية والتاثيرات المتبادلة بين أقطار الشمال الإفريقى، بحث لم ينشر بعد، ص ٧ .

مقابر وادى الحياة (الاجال) فى فزان بجنوب ليبيا.

وربما يقول قائل أن هذه الرسم يخالف عادات ما قبل التاريخ إذ كان يتم دفن المتوفى فى تلك العصور فى وضع القرفصاه أو الهيئة المثناه، ولكن يمكننا تفسير ذلك على أنه يمكن افتراض أن الفنان أراد ذلك، ولكن فى حالات كثيرة كان حرص الفنان أن يؤكد على فكرة ما يجعله يخالف قواعد الرسم، والواقع أنه لا يجب أن نتوقع منه المحافظة أو حتى درايته بقواعد المنظور، ولقد دأب الفنان المصرى فى جميع العصور مثلاً على مخالفة هذه القاعدة رغم معرفته بها، حينما كان يظهر الكتفين لدى الشخص وهو يريد تصويره من وضع جانبى.

ومع ذلك فقد وجدت حالات أخرى ضمن مقابر جبل زنككرا فى وادى الحياة (الاجال) وضع فيها المتوفى راقداً على ظهره وأطرافه إلى أعلى فوق الهيكل العظمى، وهو ما يجعلنا نعتقد أن هذا الوضع كان مألوفاً لدى مجتمعات الجنوب[1].

ويمكن أن نضيف إلى مضمون الرسم أنه كانت لدى مجتمعات البربر رغبة قوية فى أن يحاط الرجل بالعناية بعد الموت وإن ذلك كان العامل العقائدى الظاهر لديهم، وقد كان الجسد يدفن على جانبه ثم يتم وضعه أو شد أطرافه، كما جرت العادة على نثر تراب أحمر «المغرة» على جسد المتوفى وهى عادة وجدت كذلك فى مصر، والتراب الأحمر يرمز إلى عودة الحياة مرة أخرى للجثة ثم يتم تزويده بالطعام وتوضع التمائم لحمايته فى الحياة الأخرى ويضاف إلى ذلك أنه كان من الممكن أن يلحق بالمتوفى خادمه المخلص ولا ندرى إن كان ذلك يتم قسراً، وهذه العادة أيضاً وجدت

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٨ .

فى مصر، أى دفن الخدم مع أصحابهم، ولكن المصريين أقلعوا عنها بعد عصورهم الأولى واستعاضوا عنها بتماثيل حجرية تمثلهم وهى تقوم على خدمتهم فى العالم الآخر، ويدخل ضمن عادات الدفن لدى البربر عادة دفن أفراد الأسرة حول مقبرة المتوفى، ولكن بعد موتهم طبيعياً وبالتدريج تنشأ جبانات كاملة حول قبور معينة، وكان من الطبيعى بمجرد قيام أى مملكة أن ينشأ فيها على الفور عبادة لملوكها الراحلين.

والواقع أننا نجد ما يشابه ذلك لدى ملوك المصريين القدماء، فقد كانت جبانة العاصمة تتوسطها المقبرة الملكية ثم تحيط بها فى جانب من جوانبها مقابر أفراد أسرته وفى الجانب الآخر مقابر كبار رجال القصر ثم تتوالى الدرجات والمراكز بحيث تأخذ الجبانة فى نهاية المطاف شكل وتخطيط العاصمة التى كان يتوسطها القصر الملكى وتحيط به من جوانبه باقى منازل رعيته حسب درجاتهم أو قربهم منه، أما عن الوهية الملك، فقد كان الملك المصرى إلهاً ارتضى أن ينزل إلى الأرض ليسوس رعاياه وبعدما تنتهى حياته كان يصعد إلى السماء لينضم إلى آبائه الآلهة(١).

أما النوع الثانى من المقابر فهى المقابر المربعة أو المستطيلة وهذا النوع يعتبر تطوراً لمقابر البربر وهو عبارة عن حفرة دائرية أو مربعة يبلغ عمقها حوالى أربعة أو خمسة أمتار وقد دعمت جدرانها بكتل من الحجر غير منتظمة الشكل والمتماسكة فيما بينها بملاط أو مونة وأرضية الحفرة من الرمال، ويسجى فيها الميت عادة على هيئة الجنين ويوضع حوله الآثاث الجنازى الذى كان يتكون فى الغالب من الفخار الفاخر والأوانى الزجاجية والقناديل والحلى الذهبية والمعدنية والعقود الجميلة من الفيروز الأخضر

---

(١) حسن الشريف: المرجع السابق، ص ٨ .

والعقيق الأحمر، أما الشكل الخارجي للمقبرة فكان يتكون من مصطبتين مربعتين تعلوا إحداهما الأخرى، وكانت المصطبة تبنى من كتل الأحجار الغير منتظمة أيضاً، وتملعج من الخارج تملعيجاً جيداً ثم تطلى بالجير أو الطباشير وكانت عند الأركان في بعض الأحيان بعض المصاطب الصغيرة التي توضع عليها موائد القربان، وقد عرفت مدافن هذا النوع باسم المقبرة التي على شكل مصطبة، ويوجد الكثير من مقابر هذا النوع في وادي الحياة (الاجال) أهمها مقابر الجبانة الملكية بجرمه ومقابر جبانة التناحمة (قرب قرية الرجيبة)، والملاحظ أن المقابر التي من هذا النوع كانت مدافن كبار القوم[1].

أما المقابر الهرمية فقد دار جدل كبير حول مصدر هذا الشكل من المقابر والتي وجدت في قرية الحطية جنوب جرمه من وادي الحياة خاصة أنه لا وجود لهذا النوع في شمال غرب أفريقيا مما جعل البعض يرى أن مصدر هذا التأثير من الشرق والجنوب الشرقي (مصر والسودان) وإذا كانت الحضارة المروية بصفة عامة والمقابر الهرمية بصفة خاصة ناتجة من التأثير المصري[2] فهل انتقل التأثير مصر إلى ليبيا مباشرة أم أنه كان بطريق غير مباشر عن طريق السودان؟ ويؤكد بعض الباحثين على أن السودان كان الطريق الذي سلكه التأثير المصري في بناء المقابر الهرمية في ليبيا[3].

ولكن لماذا نصر على أن هذا النوع لابد وأن يكون ناتجاً عن تأثير خارجي؟ لماذا لا يكون تطور محلي لبناء المقبرة؟ أو حتى لماذا لايكون هذا

(١) أيوب: **مختصر تاريخ فزان**، ص ٥٩، **ليبيا في التاريخ**، ص ١٦٨ .

El-Rashdy,Op. Cit., pp. 83 - 84.

(٢) Dunham, D., **The Royal Cemetetries of Kush, Vol. IV, Royal Tombs of Meroe and Barkal**, Boston, 1957, p. 91.

(٣) Shinnie, P., **Meroe**, London, 1967, p. 52.

المكان (وادى الحياة) هو مصدر التأثير خاصة إذا علمنا أن الذين استخدموا هذه المقابر اقاموا فى هذه المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، وأيضاً العصور التاريخية، حيث أوردت المصادر التاريخية اشارات إلى عنصر بشرى أبيض البشرة، وكان الاعتقاد السائد أن هذا العنصر لم يظهر إلا حديثاً جداً، وأنه كان غزواً منتظماً جاء لطرد الرومان لبربر السهوب من أراضى المغرب، ولكن بفضل أعمال الحفر الحديثة فى كل من فزان والصحراء الجزائرية، فإنه بات يُعتقد الآن أنه خلال عصر ما قبل التاريخ كان يسكن وسط وشمال الصحراء عناصر بيضاء طوال القامة لهم ملامح البحر المتوسط تتصف جماجمهم بالضخامة، الوجه طويل نوعاً ما وضيق والأطراف نحيلة وهى الصفات التركيبية «المورفولوجية» ذاتها للطوارق المحدثين الذين يعتبرون امتداد لشعب الجرامنت[1].

وأثناء المسح الأثرى لوادى الحياة وجدت عدة مقابر حجرية اسطوانية التكوين، من بين تلك المقابر واحدة أكبر حجماً تم تستيفها بقطع من الحجارة الغفل مما قربها من الشك الهرمى، وتوحى حالتها العامة أنها سليمة ولم تمس[2].

إذاً من المحتمل جداً أن تكون المقبرة الهرمية فى ليبيا هى نهاية المطاف للمقبرة فى عصورها المختلفة[3].

(١) حسن الشريف: المرجع السابق، ص ٣ .

(٢) حسن الشريف: «مشروع المسح الأثرى لوادى الحياة» **مجلة أوزو**، العدد الأول، ١٩٨٨، ص ٢٤

(٣) علينا هنا أن نقارن هذا التطور فى بناء المقبرة وأسلوب الدفن فى ليبيا مع مثيلتها فى مصر القديمة، وعلى ذلك انظر:

جريمال: **تاريخ مصر القديمة**، ص ١٣١-١٥٠

اسكندر بدوى: **تاريخ العمارة القديمة**، ترجمة أحمد قدرى، القاهرة، ١٩٨٨ .

تشرنى: **الديانة المصرية القديمة**، ترجمة أحمد قدرى، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٥٢ -١٥٨ .

Laur, J. Ph., "Observations Sur Les Pyramids" **B.D.E.**, 30 Le Cair, 1960.

٣- الشـــواهد وموائـــد القـــرابين

الشـواهد ومـوائد القـرابين من الأشـيـاء المرتبطة بالمقـابر، حـيث حـرص الليـبـيين على وضـع شـواهد ذات أشكال مـعينة على القـبـور، وكـانت هذه الشواهد توضع إما إلى الناحية الشرقية المقابلة لمشرق الشمس أو للناحية الغربية المقابلة لغروبها، وهذا يدل على ارتباط هذه الشواهد بعبادة الشمس أياً كـان شكل شكل هذه الشـواهد سـواء على شكل مسلة أو على شكل قرنين أو شكل الكف، أما النوع الأول فهو عبارة عن مسلة صغيرة غير تامة التهذيب كانت توضع عادة خارج القبر مواجهة لمشرق الشمس كى تتصل بإله الشـمس الذى يقوم هادياً للمتوفى فى العالم الآخر، وكانت تطل باللون الأحـمـر ربما لتـعكس أشـعـة الشـمس حيث انه من المعـروف أن هريمات المسـلات فى مصـر أيام الدولة الحديثـة كانت تموه بالذهب أو بمعدن آخر سـواه[١]. وإلى جـوار مقـابر وادى الحياة وجدت بلاطتين كبيـرتين كشاهد وكل منها تصنع زاوية مع طرف المقبرة فتجعله شكلاً هرمياً غير تام، ويبدو أن هذا ليس مصادفة، ويأتى أحد الأمثلة على هذا النوع من قرطاجنه حيث وجد عليه نص فينيقى، وهناك من يعتقد بأن هذا الشكل يمثل توحيد قرص الشمس وهلال القمر وقد نتج ذلك من ظهور «تانيت» على رأس المعبودات القرطاجنيه[٢].

فهل الأمثلة التى وجدت فى وادى الحياة بجنوب ليبيا تعنى نفس المعنى؟ الحقيقة أن هناك من يعتقد ـ نتيجة التشابه الكبير بين الشـواهد الليبية والشـواهد الفينيقية ـ أن الليبيين قلدوا الشـواهد القرطاچنيه عندما قاموا بعمل شـواهدهم[٣] إلا أن الحقيقة تشير إلى أن المصريين كـانوا أول من

(١) لبيب حبشي: مسلات مصر: ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٨ .

(٢) Bisi, A.M., **"punic Stelae"**, Aschaeologya Viva, Paris, 1968, p. 121

(٣) El-Rashdy, Op. Cit., p. 90

شكل شواهد على شكل مسلة ثم أثروا فى غيرهم من الشعوب من حيث إنتاج هذه الآثار أو اقتناؤها، فقد آل الأمر باكنعانيين والفينيقيين إلى إقامة مسلات لهم صغيرة[1].

أما الشواهد القرنية، فإن استخدام القرن كشاهد أو رمز يظهر منذ وقت مبكر يرجع للعصر الحجرى الحديث وحتى العصور الرومانية، كما أن هذا النوع قد امتد من مواضع العصر الحجري فى الصحراء إلى مراكز البحر المتوسط، ويرى «فروبينيوس» أن القرون التى تم اكتشافها فى ليبيا إنما تهدف إلى أغراض رمزية وأنها تشير إلى الضوء، وفى اعتقاده أن ثمة صلة تربط بين فكرة استعمال القرون فى عصور ما قبل التاريخ واستعمالها الرمزى فيما بعد فى ثقافات أخرى[2] وتبدو الصلة بوضوح بين القرون من جهة والشمس والقمر والثور من جهة أخرى من خلال ابراز القرون على هيئة هلال، وضع القرن على هيئة دائرة (وان كان من الصعب تحديد ما إذا كانت هذه الدائرة ترمز إلى الشمس أم إلى القمر)، إضافة خطوط على هيئة شعاع قد يمثل شعاع الشمس، إضافة زخارف من المعتقدات انها ترمز إلى الشمس مثل الصليب بأشكاله المختلفة، ومن تلك الزخارف رسم بيضاوى وجد فى ليبيا حول صور أخرى لحيوانات مثل الزرافة والنعامة وربما كان هذا الرسم البيضاوى يمثل الشمس[3].

ويبدو من تلك النماذج أن الناس كانوا يحاولون أن يربطوا بين الأرض وقوى الفضاء التى تعذر عليهم فهم ماهيتها، كذلك يبدو أن الألهة والأجرام

(١) لبيب حبشي: المرجع السابق، ص ٢٥

(٢) Ferobenius, L., **Kulturgeschichte Afrikas**, Zuerich, 1945.

نقلاً عن وندرات سكوت وفابرى: «قرون الحيوان فى عصور ماقبل التاريخ فى ليبيا وأثرها فى حضارات أخرى» ، **ليبيا القديمة**، جـ ٣، ٤ ترجمة عديلة مياس، ١٩٦٧/٦٦، ص ٥٠١ .

(٣) وندرات سكوت: نفس المرجع، ص ١٠٦ .

السماوية والحيوانات من ذوى القرون كانت تكون ثالوثاً رمزياً فيما قبل التاريخ، وأصبح القرن أحد رموز القوة الروحية، ويتكهن البعض بأن القرن أصبح يمثل النور على الأرض، نظراً للشبه الذى بينه وبين الهلال، ولخاصته الدفاعية الهجومية كان المعتقد أنه منبع القوة والحياة، وعندما أصبحت الماشية من أهم عناصر الغذاء أصبح القرن يرمز إلى الخصوبة والتوالد، يقول «جيديون» أن المصريين ظلوا مرتبطين بعالم ما قبل التاريخ وبصفة خاصة بالنسبة للحيوانات، لدرجة أنها تحولت عندهم إلى رموز للآلهة مثل العجل «أبيس»، ومع أن صبغة الألوهية تحولت بمضى الزمن من الحيوان إلى البشر، إلا أن المصريين ظلوا متمسكين بتراثهم الماضى(١).

كذلك يذكر «فروبينيوس» عدداً من صلات مماثلة مثل قرن الثور فى «مايه ديب» والرمز المصرى المرسوم على خاتم من الفخار يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات، كذلك يذكر الشبه بيه زخارف على هيئة قرن اكتشفها فى ليبيا وبين رموز مصرية موجودة على المعابد المصرية، والواقع أن الهلال الذى علي هيئة قرن، والقمر أو قرص الشمس من أهم الزخارف التى تزين رموز الألهة المصرية، فنجد الهلال الممتد بقرنين يحويان قرش الشمس من أهم الرسومات التى يرمز بها للإلهتين «حاتحور» و «ايزيس»(٢).

وقد اكتشف فى المقبرة الملكية فى جنوب ليبيا (فزان) (القبر الرابع) إناء أخضر صغير الحجم من مدينة «منف» أو «الفيوم»، وغير ذلك من الآثار التى تدل على التأثر بالتقاليد المصرية مثل المباخر والتمائم(٣).

---

(١) Giedion, S., **Symbolic Expression in Prehistory and in the First High Civilisation in Sign Image** And Symbol, London, 1966.

(٢) وندرات سكوب: المرجع السابق، ص ١٠٧، تشرنى: **الديانة المصرية القديمة**، ص ١٤ -٢٤ ؛ ٢٩-٣٤

(٣) جينيت دى فيتا: «نقش معبد إيزيس فى صبراته» **ليبيا القديمة**، جـ ٣، ٤ ص ٩٣ - ٩٨
أيوب : «المقبرة الملكية فى جرمة» ليبيا القديمة، جـ ٣، ٤ ، ص ٩٣ - ٩٨ .

أما الهلال ذو القرنين الذى دخل فى مصر كرمز للخصوبة فى الإلهتين «حاتحور» و «ايزيس» فقد أصبح له مثيل فى الميثولوچيا التى جاءت فيما بعد مثل «إيزيس» الفينيقية سيدة «جبيل» والتى كثيراً ما كانت ترسم وعلى رأسها هلال وقرص مستدير، والحقيقة أن استخدام القرن كتميمة يرجع إلى العصور القديمة ويستدل على ذلك مما اكتشف لدى المصريين القدماء (١).

أما موائد القرابين والتى تنحت على قوالب حجرية مختلفة الأحجام، فهى عادة ماتوضع فى الجانب الشرقى أو الغربى للمقبرة زمام الشاهد، والغرض من هذه الموائد هو حمل النذور والقرابين التى يقدمها الأقارب أمام المتوفى أو التى يقدمها المتوفى للمعبود، والحقيقة أن معظم المواائد الليبية القديمة قائمة الزوايا (مربعة أو مستطيلة) وهى تنقسم إلى قسمين الأول يتكون من أخدود قائم الزوايا والثانى يشغله أخاديد صغيرة، وأكثر الأمثلة وضوحاً على ذلك مائدة قرابين فى زنككرا وقد حفرت أخاديدها بدقة بالغة، فالأخدود الكبير يشغل نصف الحجر، وثلاثة أخاديد صغيرة تشغل النصف الثانى، وتُظهر الموائد الموجودة بمتحف سبها الأشكال المختلفة واعداد الأخاديد الكثيرة والمتنوعة الحجم، والأخدود الكبير عادة ما يكون أعمق من الأخاديد الصغيرة التى تميل دائماً إلى الضحالة، وعل ذلك يمكن تصنيف موائد القرابين التى وجدت فى شمال أفريقيا إلى:

الأول: هذا النوع عادة قائم الزوايا ويصنع من أحجار مختلفة، معظم زخارفه من الزهريات الليبية وأرغفة الخبز، كما رسمت قطع اللحم فى قمة المائدة، وتأتى الأمثلة على ذلك من الجزائر ووادى أم العجاريم.

---

(١) وندرات سكوب وفابرى: المرجع السابق، ص ١٠٨

El-Rashdy, Op. Cit., pp. 93 - 94.

الثانى: صغير الحجم ويتكون من عدة أخاديد خشنة الصنع، ويلتصق بها شاهد وتأتى الأمثلة على ذلك من ليبيا فيحتوى متحف (طرابلس) على نماذج من وادى العمود وسرت وغيرها وفى بعض الأمثلة لايتضح الأخدود الكبير والقطعة رقم ٢٤٥٦ فى متحف طرابلس بها فجوات ربما تكون مكان اخدود.

الثالث: وهذا النوع قليل الوجود حيث وجدت واحدة فقط فى خرزا بالصحراء الليبية وهو عبارة عن قالب حجرى مستطيل به أثنان أو ثلاثة أو أربعة اخاديد دائرية أو قائمة الزوايا، كما وجد حجر آخر به سبعة دوائر غائرة، واحدة فى الوسط وهو أكبرها جميعاً(١).

وليس فى الإمكان حتى الآن تحديد أصل هذه الموائد، وإن كان النوع الثانى قد وجدت أمثلة له فى شمال غرب أفريقيا، إلا أن الاحتمال الأكبر أن يكون هذا تأثيراً مصرياً، ففى مصر توجد أقدم موائد القرابين وتعود إلى زمن الدولة القديمة، واستمر خلال الدولة الحديثة وخلال تلك الفترة تطورت موائد القرابين، حيث بدأت بنوع بسيط به اخدود قائم الزوايا بصفة أساسية وترجع أهميته لاحتواء القرابين السائلة فى الدولة القديمة، وعلى ذلك وجدت فى المائدة الواحدة الأخاديد المفردة أو الثنائية أو الثلاثية، وسطح هذه الموائد أما أن يرسم أو ينقش عليه مناظر تمثل القرابين المقدمة(٢). وعلى مثال واحد يوجد أربعة أخاديد قائمة الزوايا وثمانية حفر دائرية وشغل الوسط بمناظر مختلفة، كما زين الإطار الخارجى بالحيوانات

---

(١) Brogan, O., **Magnificent Tombs Which the Home Guards of Roman Tripolitania Built,** London, 1955, Ph.D. ,184.

El-Rashdy, Op.Cit.,pp. 94 - 95.

(٢) Vandier, J., **Manual D'Archeologie Egyptienne**, VI, Paris, 1955, Ph.D., 522

وأنواع مختلفة من الزهريات، والحقيقة أن الموائد التى ترجع إلى الدولة القديمة تشبه إلى حد كبير الأمثلة التى وجدت فى ليبيا، وفى تطور آخر للموائد المصرية المنتمية للدولة القديمة، تقدم لنا موضوعات مختلفة بما فى ذلك الصور الآدمية، والشئ الأكثر أهمية هو علامة «حتب» والتى تمثل حصيراً من الغاب فوقها الطعام[١]. وفى عصر الدولة الحديثة فقدت موائد القرابين أهميتها وأصبحت قليلة الوجود، وتغير شكلها وأصبحت مثل طبق قائم الزوايا مع أمثلة أخرى مربعة، كما أصبحت المائدة تصنع على شكل حتب[٢].

إذن هل يمكن اعتبار ما وجد فى ليبيا تأثير مصرى أم تأثير مروى؟ خاصة وأن الحضارة المروية من القرن السادس ق.م وقد عرف سكان مروى موائد القرابين، وقد وجد عدد كبير منها فى الجبانات المروية، إلا نقوش موائد القرابين المروية كانت دائماً متغيرة، فالأمثلة القديمة منها كانت تصنع من الجرانيت وكانت القرابين تُمثل على الجزء الأسفل، وفى القرن الرابع ق.م كان الطعام يصور على سطح الموائد، أما فى القرن الأول ق.م رسم مكان الطعام اشكال غريبة نصفها آدمى والنصف الآخر ابن آوى (رمز انوبيس فى الديانة المصرية[٣]) من ذلك يتضح أن هناك اختلاف كبير بين الموائد المروية وما وجد فى ليبيا، حيث أن الأولى سميكة ونادراً ما يوجد عليها أخاديد، فإذا أضفنا إلى ذلك أن كل ما وجد فى ليبيا ذكر فى مصر أن الحضارة المصرية هى أساس الحضارة المروية، يمكن القول أن هذا تأثير مصرى صرف.

(١) Ibid, Ph.D.. 528

(٢) El-Rashdy, Op. Cit., Ph.D.. 98

(٣) Ibid, p. 98

ب - الفـــــنون

تحفل الصحراء بسجل حافل من النقوش والرسوم التى صور فيها القدماء مشاهد عن حياتهم اليومية فجاءت لوحاتهم مجسمة لتاريخ حياتهم، وليس هناك من شئ أوضح من تاريخ الفن بالصحراء الكبرى، فمنذ العصور الموغلة فى القدم بل قبل أن تظهر الصحراء عندما كانت الوديان التى نراها قاحلة اليوم تزخر بمظاهر الحياة، وعندما كانت الجبال الجرداء تكسوها الأعشاب والغابات، وعندما كانت الجهات الخالية الموحشة الآن مرتعاً للفيل والخرتيت وفرس البحر، سطر الصيادون نشاطهم اليومى وعمليات الصيد والقنص، وصوروا أنفسهم وهم يرتدون جلود الحيوانات التى تتدلى ذيولها من خلفهم، نقشوا صور الشباك البدائية التى كانوا ينصبونها ومناظر الصيادين وهم يحملون الصيد، ووصلوا لدرجة الأبداع فى تصوير الصيادين وهم يرتدون أقنعة من رؤوس الغزلان ليقتربوا من الفريسة، وكانت الأسلحة التى يحملونها بدائية، ولا تتعدى العصى وبعض الأقواس والسهام، وكان فن الرعاة أروع من فن الصيادين، إذ تمكن فيه الفنان من التعبير عن شكل الحيوان باستعمال الألوان، وحاول فيه الرسام اظهار حركة الحيوان والإنسان، ويظهر من الصور الملون المرسومة فى جبال الاكاكوس، أن هؤلاء الرعاة كانوا طوال القامة سمر البشرة يرعون

---

(١) عن فنون الصحراء الكبرى أنظر

موری: **تادرارت اكاكوس – الفن الصخرى وثقافات قبل التاريخ**، ترجمة عمر البارونى وفؤاد الكعبازى، ليبيا- مركز الجهاد ، ١٩٨٨ .

كوبر: «من الصيد إلى الرعى، ماهو ا لعصر الحجرى الحديث فى الصحراء الكبرى»، **الصحراء الكبرى**، ترجمة مكاييل محرز، ليبيا، مركز الجهاد، ١٩٧٩، ص ٦٩-٧٩,

لوت: «الرسوم الصخرية فى الصحراء الكبرى»، **الصحراء الكبرى**، ترجمة مكاييل محرز، ص ٨٠- ١٠٧ .

شتريتر : «الرسوم الصخرية كمصدر تاريخى»، **الصحراء الكبرى**، ترجمة عماد الدين غانم، ص ١٤٥-١٥٦ .

جوتيه: **ماضى شمال أفريقيا**، ترجمة هاشم الحسينى، طرابلس، ١٩٧٠، ص ٢٠-٢٧

الماشية وأنهم كانو على درجة أعلى فى الحضارة من الصيادين، كما أنهم بلغوا مرتبة رفيعة فى فن الرسم، ويمكن أن نعتبر الرسوم الموجودة على جدران الحقاف بوادى تشوينات (الاكاكوس) شرقى غات، بأنها أرقى مرحلة وصل إليها فن الرسم لدى الرعاة(١).

أما بالنسبة للنحت، فلم يعثر إلا على عدد قليل من أجزاء تماثيل بجنوب ليبيا، وجميع الأجزاء التى وجدت أقل من الحجم الطبيعى للشخصيات التى تمثلها، ولا يمكن الجزم ما إذا كانت هذه الأجزاء التى نحتت فى «جرمه» أم أنها استوردت من أماكن أخرى، ولكن من الجائز أن تكون طبيعة الجرامنت (سكان الجنوب) التجارية لم تشجعهم على اقتناء التماثيل الجميلة، إذ أن اهتمام التاجر ينصب غالباً على اقتناء الأشياء ذات القيمة المادية العالية وليس القطع الفنية التى لا يجنى من ورائها إلا الربح الأدنى، ومن أمثلة القطع المنحوتة، قطعتان من الحجر الرملى النوبى تمثل إحداها صدر شخص يلبس إزار، والقطعة الأخرى تمثل جزءاً من الكتف واليد لنفس التمثال، وقد عثر عليها أثناء حفائر مصلحة الآثار بجرمه، ثم عثر على جزء يمثل رأس تمثال من البرونز لشخصية هامة ذات طلعة مهيبة، فملامح الوجه دقيقة، واللحية (ربما كانت مستعارة) مرسلة على الصدر وذات تجاعيد والتاج أشبه ما يكون «سيرابيس»» أو «بوسيدون» إله البحر ويبدو أن هذا التمثال يمثل شخصية أكبر من زعيم أو ملك، ومن المحتمل أنه كا ن للإله «جراما» ابن ابوللو الجد الأسطورى (١). كما تم الكشف فى مدينة قورينى عام ١٩٦٦ م عن ثمانى أجزاء من تمثال لأبى الهول(٢).

---

(١) محمد سليمان أيوب: **جرمه** ص ١٦٧؛ ١٧١ ؛ أيوب : **ليبيا فى التاريخ**، ص ١٦٥ – ١٦٧ .

(٢) جود تشايلد؛ بدلى، هوايت: اكتشاف تماثيل قديمة اركائية فى قورينى، **ليبيا القديمة**، ترجمة عديلة مياس، جـ ٣، ٤ ١٩٦٧/٦٦، ص ٧٨ – ٨٢ .

أما الموسيقى، فقد اشتهرت ليبيا قديما بالفنون الموسيقية التى أثبتها المؤرخون والرحالة وكبار الأدباء اليونان، حيث نجد عدداً وافراً من مغامرات ملحمتى «هوميروس» تجرى فى ليبيا أو على الشواطئ الليبية، فكانت المغنيات يتعرضن لأوديسيوس يحاولن أن يغوينه بحلاوة صوتهن غير بعيد من الساحل الليبى (ربما عند صخرة جزيرة قروة قرب زوارة حالياً)، كما أن بحارة أوديسيوس أنفسهم هم الذين طعموا من شجر اللوتس الليبية المشهورة فراحوا يغنون منتشين، هذا اللوتس الليبى كان ذا شهرة ذائعة، ليس فقط باعتباره نباتاً عجيباً له خصائص مخدرة، ولكن لكونه تصنع منه أدوات موسيقية أشهرها الناى، الذى يسمى فى ليبيا النحيل ويسمى فى مصر الأرغول[1].

وقد اشتهرت النايات المصنوعة من ساق اللوتس الليبى باعتبارها أفخر نايات فى العالم القديم، ويذكر الجغرافى «بلينى الأكبر» في كتابه التاريخ الطبيعى، من جملة مزايا اللوتس أنه يتخذ من أغصانه النايات المطربة، ويؤيده فى ذلك المؤرخ «اثيناوس» فى مؤلفه مائدة الفلاسفة الذى يقول : "إن أهل الإسكندرية يتخذون نايات مصنوعة من اللوتس وهو شجر ينمو فى ليبيا أما الآلات الموسيقية القديمة ، فالمصدر فى ذلك هو النقوش والصور المصرية التى تتحدث عن الليبيين وموسيقاهم ومن هذه الرسوم المصرية نعثر على أربعة آلات: المضرب وهو أداة ناقرة على شكل عصا تنتهى بنصف دائرة بارزة، الطبلة ذات الجانبين وكانت تصنع من الفخار زو الخشب بزخارف وتزويقات ويوضع على جانبيها جلد مربوط حولهما، وتشد إلى العنق بسير أو رباط ويضرب على جانبى الطبلة باليدين، ومن الجائز أن كل جنب فى الطبلة يحدث صوتاً مختلفاً ليحدث التناغم اللازم، أما الآلة

(١) على فهيم خشيم : «نظرة عابرة على الفنون فى ليبيا القديمة» **الفصول الأربعة** جـ ٢٢، ١٩٨٣، ص ٢٨١ .

الثالثة فهى تشبه البوق بنهاية واسعة ولها عدة ثقوب ينفخ فيها وتحرك الأصابع على الثقوب لتأتى بالنغم المطلوب، والآلة الرابعة تشبه القانون، وهى اداة وترية تعرف بالقيثارة وهى تستعمل فى مصر كثيراً، وهذه الآلات كانت تستعمل بصورة إجمالية، أى تعزف فى آن واحد بانغامها المختلفة(١). ويدل على ذلك أن الرسوم المصرية تصوردها مجتمعة، ومن المؤكد أن الليبيين كانوا يستخدمونها فى المناسبات المختلفة أو فى ساعات اللهو والاستمتاع، هذا العزف الجماعى يشير إلى مرحلة متقدمة من فن الموسيقى، إذ أن التناغم يحتاج إلى قدر كبير من الدقة والمران والأذن الموسيقية المدربة بعكس العزف المنفرد الذى يعتمد على فرد واحد يرسل أنغامه كيف شاء دون الارتباط بالعازفين الآخرين.

وكان الرقص يصاحب الغناء والموسيقى، وكان الليبيون القدماء معروفين بالرقص الجماعى والذى يعتبر أكثر تعقيداً من الرقص الفردى، ويتطلب ادراكاً عميقاً للإيقاع ومنحى الحركة بين القدم والجسد، ويتحدث هيردوت عن رقصة ليبية مشهورة على طول بحيرة «تريتونس» (شط الجريد حالياً) تنقسم فيها الفتيات إلى قسمين يرقصن ويتقاذفن بالحجارة، ثم تتحول الحفلة إلى رقص بالخيول تدور حول البحيرة، ترتدى فيها الفتيات لباساً حربياً، صلاة وقربى للإلهة «نت» ربة الحرب والقتال وتقدم لنا الآثار المصرية صورة حية لبعض أبناء قبيلة التمحو الليبية وهم يرقصون (رقصةالحرب) يقف فيها فريق منهم يعصى، بينما يقفز فريق آخر ويرقص ليعود ويضرب العصى بعصى أخرى يمسكها، وهذه الرقصة تذكرنا برقصة التحطيب المصرية(٢).

(١) Bates, **The Eastern Libyain**, p. 155.
خشيم: المرجع السابق، ص ٢٨٤ .

(٢) Bates, Op., Cit., p. 156.

لقد كان الرقص عند قدماء الليبيين وسيلة تعبيرية معروفة ليس فقط فى الحرب والقتال، بل فى المناسبات الدينية أيضاً، فإلى جانب البحيرة والتى كانت احتفالاً سنوياً منظماً، يذكر المؤرخون رقصة آمون، حيث تدخل الفتيات المعبد وهن يغنين ويرقصن باحترام لصاحب المعبد وربه، خلاصة القول أن الرقص كفن تعبيرى كان معروفاً فى ليبيا القديمة وله أصوله وطقوسه وحركاته وإيقاعه وأساليبه باعتباره فناً وعبادة[1].

جـ. الحيـــاة الاجتمـــاعية:

من دراستنا السابقة يمكن القول أن ليبيا كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهى قورينائية فى الشرق والتى احتلها الإغريق، و«طرابلس» ومدنها فى الغرب والتى كانت تخضع للسيطرة الفينيقية، واقليم فزان فى الجنوب وعاصمته «جرمه» وسكانه من الجرامنت، وعلى ذلك سنتناول الحياة الاجتماعية فى كل إقليم على حده نظراً لاختلاف طبيعة الاستعمار فى القسمين الشرقى والغربى.

ففى الشرق كان المجتمع الإغريقى فى «قورينى» يتكون من طبقات ثلاث، طبقة المواطنين الأوائل، طبقة المزارعين، طبقة الليبيين الذين لم يندمجوا مع الإغريق، إلا إذا جاز لنا أن نستثنى أبناء الليبيات من آباء إغريق من مواطنى قورينى، أما «استرابو» فقد ذكر أربعة عناصر سكانية وهم اليهود والمواطنون الإغريق والمستوطنون الأجانب والمزارعون، وهذا العنصر الأخير هو عنصر مستقل لأنهم ليسوا من الأغريق ولا من الأجانب ولهذا يمكن ترجيح أنهم من الليبيين[2].

وإذا كان هذا صحيح فإنهم من الليبيين الذين ساهموا فى إنشاء

(١) خشيم: **الفصول الأربعة**، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) مصطفى كمال عبد العليم: **دراسات فى تاريخ ليبيا القديم**، ص ١٥٦ .

قوريني وتعاونوا مع الإغريق فى زراعة أراضيهم، وتزوج هؤلاء من بناتهم، وإذا كنا نعلم أن المستعمرين الأوائل تمكنوا من إنشاء قوريني بمساعدة قبيلة الاسبوستاى الليبية، يمكن القول أن طبقة المزارعين ربما كانوا من رجال هذه القبيلة، وليس هناك سبب للاعتقاد بأن هؤلاء المزارعين كانوا عبيداً للأرض أو رقيقاً لها، فالمزارعون الذين ذكرهم «استرابو» مزارعون أحرار فى الإرض الخاصة بقوريني والمدن الأخرى ولهم وضعهم الشرعى المعترف به، ويحتمل أن يكون هؤلاء المزارعين يمتلكون قطعاً من الأرض، وأن البعض منهم أيضاً يستأجر قطعاً من الأراضى الخاصة بالملك الذى يعتبر أكبر مالك فى قوريني[1].

ورغم الاختلاط الذى حدث بين الإغريق والليبيين، فقد وجدت التفرقة ليس فقط فى الأوضاع التشريعية ولكن أيضاً فى الناحية العنصرية، لأن العنصر الإغريقى كان صاحب حضارة وثقافة واستعتين، واحتفظ العنصر الليبى بتنظيمه القبلى ولم ينخرط فى الحضارة الإغريقية ومن بعدها الرومانية، ووقف موقف العداء من هاتين الحضارتين الدخيلتين، وتمثل هذا العداء فى الحروب التى تشنها القبائل الليبية من آن لآخر على المدن الإغريقية، والتى حاول أغسطس فى العهد الرومانى القضاء عليها بتهيئة كل ما ساعد الليبيين على الاستقرار فى أراضى يقومون على زراعتها وذلك بتنفيذ كثير من مشاريع الرى وتحسين سبل الزراعة لاجتذاب الليبيين لحياة مستقرة هادئة وقد سار خلفاء أغسطس على هذه السياسة[2] أما فى الغرب، فقد ذُكر أن أهالى المستعمرات الفينيقية فى طرابلس كانوا يتمتعون

(١) Rostvtzeff, M., **Sociat and Economic Historyh of the Roman Empire**, 2nd ed., Oxford, 1958, p. 310.

(٢) Romanelli, p., **La Cirenaica Roman**, Verbanian, 1943, p. 36.

مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص ٩٧ .

بشبه حرية تامة، إلا أن الليبيين كانوا يعاملون بخلاف أهل تونس الذين كانت لهم مميزات المواطن القرطاجنى، فكانت قرطاجنة تنظر لليبيين على أنهم غير مواطنين بونيقيين وتميزهم بذلك عن سكان تونس البونيقيين، كما يُذكر أن «لبده» كان لها تشريعاتها وقضاتها، ويعتقد أن «أويا» و «صبراته» كانتا تتمتعان بنفس المزايا، فكان رئيس القضاة فى لبدة يسمى «شوفيط» ولا شك أن هذه التسمية كانت بمثابة إحياء للدستور الفينيقى الأصلى والمأخوذ من النظام السياسى وشكل الحكومة بقرطاجنه، ولكن يتم انتخاب رئيس القضاة مرة كل عام بمعرفة الجمعية الشعبية غير أن هذا الانتخاب كان مقصوراً على العائلات الارستقراطية والثرية، مما جعل الحكم فى أيدى فئة قليلة محدودة العدد طالما اطمأنت إليها حكومة قرطاجنه وقد تركت هذه الأقليات تدير أمورها الداخلية[1].

وبجانب القضاة، كان هناك قضاة عاديين أطلق عليهم اسم «المحصلين» وترجع وظائف هؤلاء العصور الفينيقية وكانت مهمتهمن الرئيسية تحصيل الغرامات وتزويد السوق بما يلزم من مؤونه ومعدات، أى أنهم كانوا يوجهون اقتصاديات البلاد حسبما يروق لهم[2].

وقد استمر تأثير النظام الفينيقى فى مدن طرابلس حتى أوائل العصر الرومانى، فقد كان «البروقنص» وموظفوه القلائل يعتمدون على السلطات المحلية فى مدن الولايات وذلك فيما يتعلق بإدارة الأعمال الحكومية ، ولهذا السبب لم يطرأ أى تعديل على نظام البلديات، بل سارت الأمور على ما هى عليه دون تدخل محسوس من الرومان ولهذا السبب تمكنت «لبده» من الإبقاء على دستورها الفينيقى، ويعتقد أن مدينة «أويا»، «صبراته»، سلكتا

---

(١) محمد مصطفى بازاده: **ليبيا هذا الإسم فى جذوره التاريخية**، ص ٥٢ .

(٢) Haynes, The Antiquities Tripolitania, p. 28

نفس السياسة، وقد أوضحت لنا الاكتشافات الأخيرة فى طرابلس، أن مدينة الفينيقيين قد توغلت حتى بين السكان الليبيين فى الداخل فقد عثر على بعض النقوش مكتوبة باللغة البونيقية فى وادى العمود الذى يقع جنوب شرقى مزدة بحوالى ٦٥ كم، ويعتقد أنها تعود للقرن الأول ق.م، وجد اثنان منها على ضريح «نيمران بن ماشو ككشان» والذى يعتقد أنه كان رئيساً محلياً، كما وجد نقش آخر كان على مقربة أسرة «عيرور بن حاطيط» ويعتقد أنه كان شخصية معتبرة[١].

ومن الواضح أن الاكتشافات التى تم العثور عليها والتى ترجع للعهد الفينيقى قليلة جداً، وهى لا تكفى لإعطاء صورة مكتملة على الحياة اليومية العادية خصوصاً وأن الفينيقيين، كما يذكر علماء الآثار، كانوا لا يضعون مع جثث موتاهم إلا الأشياء قليلة القيمة، مثل الأوانى الفخارية والزجاجية الفخارية والزجاجية وبعض الجرار كالتى عثر عليها فى طرابلس، وقد وجد بها رموز فينيقية ويعتقد أنها كانت تستعمل لخزن النبيذ وزيت الزيتون[٢].

أما فى الجنوب، فقد كانت جرمه دولة ملكية وقد أشار إلى ذلك الكثير من الكتاب الكلاسيك، ولم تتأثر جرمة فى حياتها السياسية بالأنظمة الإغريقية أو الفينيقية، ويدل دفن الملوك فى مقابر خاصة على درجة الفخامة، إن رعاياهم كانوا يحترمونهم، وكان هناك إلى جوار الملوك والأمراء أو حكام الأقاليم، ويظهر من فخامة مقابرهم وعظمة قصورهم أن سلطاتهم كانت واسعة وأنهم كانو ينوبون عن الملك فى حكم أقاليمهم، وربما تمتعوا خلال فترة ضعف الملكية بنوع من الاستقلال الذاتى[٣]. أما الشعب

(١) Levi Della Vida, "Le Iscrizioni Neopuniche di Wadi Amud"; **Libya Antiqua**, I, 1964, p. 57

(٢) محمود الصديق أبو حامد: **ليبيا فى التاريخ**؛ ص ١٣٠ .

(٣) أيوب: **مختصر تاريخ فزان**، ص ٧٥ .

فقد كان يتكون من ثلاث طبقات وهم الأثرياء أو التجار وهؤلاء كانت لهم اليد الطولى فى حكم البلاد. فقد كان منهم مجلس استشارى أو تنفيذى يعاون الملك وكانت لهم القصور، كما كان لهم حراسهم الذين يحرسون قوافلهم وقد عاشت هذه الطبقة عيشة الترف وتمتعت بكل مباهج الحياة، ثم طبقة الأحرار وهم الصناع وصغار التجار وكانت عيشتهم كما يقول استرابو متوسطة فلا هو بالبذخ المفرط ولا هو بالفقر المدقع[١].

وبصفة عامة يمكن القول أن سكان ليبيا كانوا ينقسمون إلى حضر وبدو.

أما الحضر فيسكنون المدن والواحات حيث توجد الأسواق التجارية والنخيل والعيون والمزروعات وحيث تتوفر سبل الحياة الهينة، وكان يحيط بهذه المدن فى العادة سور للدفاع، أو يوجد بها قلعة لنفس الغرض وكان الحاكم أو الأمير يسكن فى هذه القلعة أو القصر، ولازالت آثار هذه القلاع أو بقايا منها متناثرة فى واحات ليبيا، أما السكان العاديون من عامة الشعب فقد كانوا يسكنون فى بيوت صغيرة من اللبن أو فى أكواخ من القش أو فى خيام من جلود الحيوانات أما البدو، فقد كانوا يتكونون بصفة عامة من الرعاة الذين يتنقلون بماشيتهم من مكان إلى آخر وراد الكلأ.

وإلى جوار هاتين الطبقتين أو الجماعتين كانت توجد جماعة ثالثة وهم الأرقاء وكانوا يتكونون من أسرى الحرب أو الذين استرقهم الليبيين الليبيون عن طريق الخطف سواء من السود أو البيض[٢].

أما فيما يتعلق بالمجتمع والأسرة فى القبائل الليبية، يمكن القول أن

---

(١) أيوب: المرجع السابق، ص ٧٦

(٢) أيوب: جرمه، ص ١٥٧ . Pliny, V, 5

الليبيين كانوا يتزوجون بعدد كبير من النساء، وأنه كان لكل فرد منهم عدد كبير من الأولاد والبنات وتدل كثرة قبور النساء وتفوقها من حيث العدد على قبور الرجال بالجبانة الملكية «بجرمه» أن كل ملك من الملوك كان له عدد لا بأس به من النساء والحريم، وعادة كانت مألوفة فى كثير من ممالك العالم القديم، ولكن ليس معنى ذلك أن قيمة المرأة كانت تافهة فى نظر الرجل الليبى أو أن الأنثى كانت فى درجة دون الذكر، فمن واقع المقابر الفخمة التى اجتمعت لهن بالجبانة الملكية، ومن واقع الحلى والأدوات التى وجدت فى تلك المقابر، نستنتج أنها كانت مساوية من حيث المركز لقرينها الرجل، كما أن عبادة الإلهة «نيت» وهى أنثى واعتبارها زعيمة الألهة يدل على أن مركز المرأة كان محترماً فى نظر الرجل بليبيا. ومع احترام المرأة وتقديرها فقد ظل المجتمع الليبى يسوده الرجل، فهو الذى يحارب وهو الذى يقود القوافل عبر الصحارى، وكان عليه أن يقوم بأشق الأعمال، بينما كانت النساء يقمن بالأعمال المنزلية الخفيفة أو الخدمة بالحقول وغيرها من الأعمال التى لاتتطلب مشقة كبرى[١].

أما عن عادات الزواج، فقد عثر على نقش يسمى بالقانون المقدس، وهذا النقش يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الرابع ق.م، وأول ما يلاحظ على عادات الزواج انها كانت مرتبطة بالحياة الدينية، والربة ارتميس على وجه الخصوص، كما انها اشتملت على تقديم القرابين الكثيرة لهذه الربة والزيارات المتعددة لمعبدها، وكانت الطقوس تقضى عادة بدخول العروس إلى معبد ارتميس حيث يتم زواجها وتنتقل بعد ذلك لتعيش مع زوجها، وإذا خالفت هذه الشعائر يتحتم عليها أن تقوم بتنظيف معبد ارتميس وتقديم قربان لها تكفيراً عن خطئها، كما يشير النقش إلى أنه يجب أن تنزل

(١) أيوب : **ليبيا فى التاريخ**، ص ١٧٥ .

Bates, Op. Cit., p. 114

العروس إلى عين الماء المقدسة (أى نبع أبوللون) للتطهر[1].

أما بالنسبة للحياة اليومية فكان الليبيون فى أوقات فراغهم يروحون عن أنفسهم بالذهاب إلى الحمامات للاسترخاء والاستحمام، أو إلى المسارح التى تقام فيها الحفلات في مختلف المناسبات، وكان السكان يتمتعون أيضاً بمشاهدة سباق الخيل[2].

---

(١) الميار: برقة فى العصر الرومانى، منشورات مكتبة قورينا، ١٩٧٣ .

(٢) Goodchild, R., Cyrene and Apollonia, p. 73.

الخاتمة

الواقع إن اتصال الشعبين الليبى والمصرى وتأثر كل منهما بالآخر لم ينفه أى باحث، بل على العكس فإن اغفال بحثه لهذه الصلة قد تعد مأخذاً عليه، فمنذ البدء كان وادى النيل مستنقعاً غير مأهول بالسكان، يعج بالطيور المائية وأفراس النهر والتماسيح، وخلال العصر الحجرى القديم كانت أجزاء كبيرة من الصحراء الشاسعة عبارة عن حشائش وأرض أعشاب صالحة تماماً لممارسة الصيد وكذلك لوجود الانسان البدائى، ومهما يكن من أمر كثرة القطع الفنية الجدارية والاثاثية المكتشفة فى مناطق واسعة من افريقيا لا سيما تلك المناطق التى أصبحت اليوم صحراوية، تعطى فكرة هامة عن الكثافة السكانية فى تلك المناطق، واستمر سكنى الانسان فيما يعرف اليوم بالصحراء حتى عصور الاستقرار فى حضارات الفيوم ومرمدة التى ازدهرت وانتجت الحبوب فى مناطق ماهو الآن أعالى الصحراء، فى ذلك الوقت لم يكن لفيضان النيل أى تأثير فى الغلال التى كانت تنمو فى المرتفعات، وكانت الحبوب تعتمد فى نموها على الامطار، معنى ذلك أنه كلما تعثرت الحياة تدريجياً فى الصحراء شرع الانسان فى الأتجاه نحو الحواف الصحراوية، وعلى هذه الحواف نجد مستوطنات الأقوام التى نسميها الباريين، وعهد ماقبل الأسرات الأول "العمريين" وعصر قبيل الأسرات "الجرزيين"، ويؤيد ذلك انعدام الحواجز الطبيعية الفاصلة بين الأقليمين من جهة، وكثرة الاشارات الواردة فى النصوص المصرية القديمة المدونة والمرسومة التى تشير إلى استمرار الصلة بين مصر وليبيا منذ عصور ما قبل التاريخ وعهد آخر الفراعنة من جهة أخرى.

من هنا يمكن القول ان العلاقة بين القطرين المتجاورين والمتعاصرين لجميع المراحل التاريخية منهاً وما قبل التاريخ بنفس القدر الذى كانت عليه العلاقات بين مصر وأقطار غربى آسيا (إن لم تكن أكبر) والفارق هنا انه

بالنسبة للظروف التاريخية لغربى آسيا وتوصل مجتمعاتها لعصر الكتابة وانتلاك لغة التدوين (الأمر الذى لم يتوفر للقطر الليبى إلا متأخراً) جعلنا نملك كماً هائلاً من تفاصيل هذه العلاقات.

مما لا شك فيه أن هذه العلاقات لم تقتصر على الناحية السياسية التى اشارت رليها النصوص المصرية القديمة المدونة والمرسومة، بل كانت هناك تأثيرات حضارية قوية منذ عصور ما قبل التاريخ فى مجالات الدين والعبادات والطقوس والشعائر والفنون.

فمن ناحية اللغة، يكاد يكون المسلم به انه فى تاريخ حضارة الصحراء كانت هناك لغة ما تزال موجودة، ولكنها تغيرت عن صورتها الأصلية البعيدة، ومن المفروض أنه كانت هناك لغة أم متعددة اللهجات ويسميها البعض باللغة البربرية، وهى تُعد ضمن عائلة أكبر هى "الحامية السامية" ولكنها تغيرت عنها وانفصلت منذ زمن بعيد، ومن الراجح ان هذه اللغة دخلت الصحراء من الشمال الشرقى مع المهاجرين من الشعوب البيضاء، ولكن لا يمكن وضع تاريخ لذلك. ولكن ظهرت كتابة صحراوية فى وقت متأخر تعرف باسم "تيفينا غ" مشتقة منم الابجدية الليبية، ومن المسلم به ان البربر بدأوا فى كتابة لغتهم تحت تأثير الفينيقيين.

أما فى مصر فقد أختلفت الدراسات حول معرفة أصول اللغة المصرية القديمة، فقريق يرى انها ضمن عائلة اللغات السامية، وأخر يرى انها تنتمى لعائلة اللغات الحامية، ولكل فريق براهينه وأدلته التى يسوقها بالشرح والتحليل.

أما عن مقارنة اللغةالمصرية القديمة ومفردتها مع مفردات الليبيين فرغم انها أقل حظاً فى خطاها ونتائجها من المقرنات بين المفردات السامية

الغربية (ويعود ذلك إلى ندرة النصوص الليبية القديمة واعتماد الباحثين على صورها الحديثة) إلا أن بعض العلماء خرج ببعض أوجه الشبه المقبول بين بعض أفعال واسماء اللغتين مع اختلاف اقليمي بينهما فى اللهجة وترتيب الحروف، والحقيقة ان التقارب بين اللغة المصرية والليبية لم يكن نتيجة عامل واحد وانما ترتب على عوامل متشابكة كثيرة منها وحدة الجنس البعيدة بين مصر وليبيا، وعامل الأختلاط اللغوى بين أهليهما عن طريق الأخذ والعطاء فى مجالات التجارة ومراسلات الود بين الحكام وخلال فترات المد السياسي، ثم عن طريق شيوع لهجات الأرقاء والعمال والأسرى الذين استقروا فى مصر وأنجبوا فيها.

أما الدين والعبادات والطقوس، فالحقيقة انه إذا نظرنا إلى مضمون معتقدات الشعوب قديماً، وجردناها مما يغلفها من طقوس وعبادات، فإننا نلحظ أن الظواهر الكونية كالشمس والقمر والهواء والماء والأرض وقوة الأخصاب وعيون ومجارى المياه العذبة، كانت تؤله وتقام لها العبادات المباشرة، أو عن طريق رموز تتخيرلها تحل فيها، وذلك لأنها قوى تحيط بالانسان وهى التى تكفل وجوده وتضمن له الحياة، وإلى جانب ذلك ألهت بعض الظواهر الآخرى وبعض الحيوانات البرية كالتماسيح والأسود وأفراس النهر، وكانت تُعبد أيضاً كقوى يخشى بأسمها، ولقد خرجت مشاعر التقديس لدى الشعوب القديمة من منبع واحد يتجسد فى معنى واحد وهو رغبة الانسان فى التقرب من القوى المحيطة به والمهيمنة على حياته مدفوعاً بالخشية منها والرغبة فى حياته.

وعرفت بعض المجتمعات بعد ذلك عبادات قائمة على كائنات أو أشياء ترتبط بالمكان وتعتبر حامية له، كما عرفت كذلك عادة تقديس بعض أفردها أو زعمائها، لارتباط اشخاصهم بأحداث معينة أو الأعتقاد فى تمتعهم

بميزات خارقة للطبيعة أو للزعم بانتمائهم لأصول إلهيه. وهذا بالفعل ما نلحظه فى ظاهرة الدين فى ليبيا القديمة، فقد عرفت كل هذه العبادات، وتأتى الفروق بعد ذلك في ترتيب الإله حسب مكانة كل ظاهرة فى بيئتها أو تفضيل ظاهرة على أخرى فى الأولوية والمكانة، وبالنظر إلى الظروف المكانية والبيئية وعوامل آخرى كفرص احتكاك قبيلة ما بالمجتمعات الآخرى غُلفت العبادات بطقوس خاصة احاطت بها وشعائر معينة ارتبطت بها.

وعند تناول ظاهرة الدين فى المجتمع الليبى القديم، لا نستطيع أن نعزله عن الواقع البيئى كما يجب أن نأخذ فى الاعتبار كذلك، ذلك الحدث البيئى الكبير والمتمثل فى حلول عصر الجفاف واضطرار الجماعات البشرية التى كانت تعيش فيما يعرف اليوم بالصحراء إلى الهجرة إلى مصادر المياه الدائمة، وهى بالطبع قد حملت معها معتقداتها، وبتوالى الحقب وطول بعدها عن أصولها حدث أن أنحرفت هذه العبادات أو دخلت عليها اضافات مستحدثة ولكن عند الدراسة والتحليل يمكن أن نتبين أصولها الأولى.

وعلى ذلك لا يكون من المستغرب أن نجد لدى المجتمعات الليبية صورة لإله فى هيئة كبش يحمل القرص المقدس، وأن يكون الكبش أيضاً رمزاً لأكثر من إله فى مصر، كما وردت افادات على وجود إله ليبى باسم حور، وكان يميز عن الإله المصرى بحور أحمر العينين، وان الإله "جب" إله الأرض المصرى والإلهة "حاتحور" تم تقديسها على الحواف الليبية، كما كان هناك اشارات تربط ما بين "جب" والمعبود "سبك" وبين مواطن أصلية لها فى ليبيا، والسؤال المطروح هو، هل يمكن اعتبار هذه العبادات انطلاقاً من الشرق أو من ضفاف النيل تجاه ليبيا؟؟ إلا أن رسوم البقريات ذات الأقراص بين قرونها أقدام بكثير فى الصحراء من رسوم البقرة الإلهة "حاتحور"، ويرجع تاريخ الصقر المنقوش نقشاً دقيقاً على صفيحة

الصلصال بحمادة قير إلى ماقبل الرسوم المماثلة له والتى تظهر على قبور مصر فى عهد ما قبل الملوك وتمهد لتمثيل حورس، كما ان كبش بوعلام البديع ذا الكرويات يسبق بكثير كبش امون الذى لم يظهر فى مصر إلا فى عهد الأسرة الثامنة عشرة، وينطبق نفس الشئ على الإلهات ذوات الرءوس العصفورية (لوحة هنرى لوت الأولى) بجبارين، وتنتسب المراكب المصرية الرائعة بدون أدنى شك إلى النوع الصحراوى[1].

وعلى ذلك فإن الشئ الذى يبدو أكثر وضوحاً هنا يتمثل فى أسبقية حضارة ما قبل التاريخ الصحراوية، ويرجع ذلك كما سبق أن ذكرنا إلى أنعدام الحواجز التى يمكن أن تفصل بين شعوب الهقار وتاسيلى وفزان عن ضفاف النيل التى ظلت مدة طويلة منطقة منفردة كثيرة المستنقعات إلى أن أصبحت الصحراء قاحلة.

هناك شكل آخر ضمن المعتقدات الدينية ويرتبط بها وهو نظام المقبرة وطقوس الدفن، وحينما يتم الأهتمام بالمقبرة وبذل العناية للحفاظ عليها وتجهيزها بالمنقولات والأثاث الجنائزى لهى كلها أمور أرتبطت فى الحضارات القديمة بوجود فكرة الإيمان فى حياة ثانية تعقب الموت يعيشها المتوفى وانها الحياة الأبدية الخالدة، وهذا ما نراه بوضوح فى المقابر الحجرية العديدة فى وادى الحياة «الاجال» من نواحى فزان، حيث يتضح أن المجتمع الليبى كان لديه رغبة قوية فى أن يحاط الانسان بالعناية بعد الموت، وكان كذلك العامل العقائدى الظاهر لديهم، وقد كان الجسد يدفن على جانبه ثم يتم وضمه أو شد الأطراف، كما جرت العادة على نثر تراب أحمر «المغرة» على جسد المتوفى وهى عادة وجدت كذلك فى مصر، والتراب الأحمر يرمز الى عودة الحياة مرة آخرى للجثة، ثم يتم تزويده بالطعام

(١) كى زيربو: «الفن الإفريقى فى ما قبل التاريخ»، تاريخ افريقيا العام، جـ ١، ص ٦٩٠

وتوضع التمايم لحمايته فى الحياة الآخرى، ويضاف إلى ذلك انه كان من الممكن أن يلحق بالمتوفى خادمه المخلص، وهذه عادة أيضاً وجدت فى مصر أى دفن الخدم مع أصحابهم، ولكن المصرين أقلعوا عنها بعد عصورهم الأولى واستعاضوا عنهابتماثيل حجرية أو خشبية تمثلهم وهى تقوم على خدمتهم فى العالم الآخر، ويدخل ضمن عادات الدفن لدى الليبين عادة دفن أفراد الأسرة حول مقبرة المتوفى، وبالتدريج تنشأ جبانات كاملة حول قبور معينة، فكان بوسع الأشخاص ذوى المكانة أن يجمعوا حولهم فى مدافنهم عدداً كبيراً من مدافن الأخرين، وانه كان من الطبيعى بمجرد قيام أية مملكة أن ينشأ فيها على الفور عبادة لملوكها الراحلين، والواقع اننا نجد ما يشابه ذلك لدى ملوك المصرين الفراعنة.

أما بالنسبة للفن فإنه فى العصور القديمة كان يرتبط بالمجتمع ارتباطاً عضوياً وانه فى أغلب حالاته كان لخدمة العقائد السائدة، وعلى ذلك فإن ظاهرة النقوش الصخرية والتى تمتد فى ربوع الشمال الإفريقى من شرقه إلى غربه، فرغم ماستثارته هذه الظاهرة من جهود العلماء على مدى العقود الأخيرة ومحاولتهم تفسيرها، إلا انه ماتزال هذه النقوش تضن علينا بمضامينها ودلالاتها وكل ما نجحت فيه جهود العلماء هى محاولات محدودة للتفسير على ضوء ماتبقى من عادات وتقاليد المجتمعات الصحراوية الحالية وأعتقد ان الأمر مازال بحاجة إلى جهود العلماء لحل أسرار النقوش الصخرية، فاللغة المصرية القديمة تفسر على كونها اشكالاً سحرية وتعاويذ لا يعلمها إلا أصحابها وشئ قريب من هذا يمكن أن يقال عن موضوعات النقوش الصخرية، وأعتقد أن الكم الهائل من النقوش والرسوم الصخرية فى الصحراء، وهذا الجهد الخارق للعادة فى تنفيذها يخرج بها عن التفسيرات التى قيلت بشأنها، فقد قيل عنها انها لأغراض

سحرية كانت تضمن لأصحابها بعد طقوس معينة رحلات صيد مأمونة أو صيداً وفيراً، كما فسر بعضها على أنها حفلات شعائرية لأصحابها، وأعتقد ان هذا التراث الهائل من النقوش والرسومات الصخرية كانت بمثابة الارهاصات الأولى نحو ميلاد لغة صحراوية أم، وان هذه العملية توقفت فى أحدى مراحلها ربما لانه لم يتوفر لها من العوامل والضروف المساعدة التى تيسر لها مراحل تطورها لتصبح منم بعد لغة مكتوبة ومقروءة.

وأخيراً فإن موضوع العلاقات بين مصر وليبيا يمكننا أن نتفق فيه مع بعض الباحثين فى تلخيصهم للأمور وهو انه كان من أوضح سمات العصر الصحراوى القديم وأميزها ان الشعوب المحلية كانت تعرف بعضها البعض بفضل صلات الجوار ايا كان السبب الأصلى فى قيام علاقات فيما بينها سواء كان الدافع هو تبادل المنافع بأشكالها، أم هو الرغبة فى التوسع وبسط النفوذ، حول هذا السبب الأخير يجب أعادة النظر فى دوافع ملوك الفراعنة للقيام بالحملات التى كانت توجه من مصر إلى ليبيا والتى جرت الاشارة إليها فى المدة من القرن الثلاثين إلى القرن الثامن عشر حيث كانت العادة دائماً توصف بإنها حملات لتأديب بدو الصحراء الغربية وهذه الحملات جعلت المؤرخين (حسب الحوليات الفرعونية) يخرجون بانطباع عن البلاد الليبية وكأنها بلاد قاحلة لا يسكنها إلا بدو مشاغبون وانهم على الدوام ينطلقون بالاغارة على وادى النيل حيث الخصب والحياة الرغدة، وحقيقة الأمر ان الملوك الفراعنة أو كتبه حولياتهم قد تناقضوا مع أنفسهم، حيث ان هذه الحملات كانت فى أغلبها توفر للملك أن يعود بقوائم طويلة من الاسلاب والغنائم التى كانت تضم آلاف الماشية والأغنام.

وعلى ذلك توصى الدراسة بضرورة ان تتكون مدرسة ليبية للتاريخ

القديم تقوم على فحص وتمحيص واعادة تكوين كل ما جاء عن أخبار ليبيا فى العصور القديمة وأن تكون لها وجهةنظرها الخاصة القائمة على التحليل الموضوعى والدراسة المقارنة وتمحيص النصوص وتحرى حقيقتها.

كما توصى الدراسة أيضاً بضرورة اهتمام الحكومة الليبية بالتنقيب عن الآثار وضرورة اجراء حفائر منظمة على نطاق واسع وان توفر المال اللازم لتمويل هذا المشروع القومى حيث ان الأرض الليبية بلاشك ماتزال تحتفظ باسرار كبيرة فى باطنها تنتظر من يبحث عنها.

المراجع العربية
والأجنبية

أولاً : المراجع العربية والمعربة

١ - ابراهيم رزقانه: جغرافيا الوطن العربى - المملكة الليبية - القاهرة، ١٩٦٤ .

٢ - ابراهيم رزقانه: الجغرافيا التاريخية، القاهرة، ١٩٦٦

٣ - ابراهيم نصحى: انشاء قورينى وشقيقاتها، بنغازى، ١٩٧٠

٤ - ابوالمحاسن عصفور: المدن الفينيقية، بيروت، ١٩٨١

٥ - أحمد حسن غزال: «ملاحظات حول التأثيرات الليبية فى مقابر سهل ميسارا جنوب جزيرة كريت فى الألف الثالث ق.م »، مجلة كلية الآداب، العدد السابع، بنغازى، ١٩٧٥

٦ - أحمد دراز: مصر وفلسطين فيما بين القرن الحادى عشر والثامن قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ببنها جامعة الزقزيق، ١٩٩١

٧ - أحمد فخرى: واحة سيوة، ترجمة جاب الله على جاب الله، القاهرة، ١٩٩٣

٨ - أحمد محمد منديشة: التاريخ السياسى والإقتصادى للمدن الثلاث، بنغازى، ١٩٩٣

٩ - أسكندر بدوى: تاريخ العمارة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٨٨

١٠ - الان جاردنر: مصر الفرعونية، ترجمة نجيب ميخائيل، القاهرة، ١٩٧٣

١١ - الدريد: الحضارة المصرية. من عصور ما رقبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة مختار السويفى، ط٢، القاهرة، ١٩٩٢

١٢ - الهادى أبو لقمة: السلفيوم الثروة المفقودة، بنغازى، ١٩٨٥

١٣ - بلوتارخوس: ايزيس واوزوريس، ترجمة حسن صبحى البكرى، القاهرة، ١٩٥٨

١٤ - جان يويوت: مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة، ١٩٦٦

١٥ - جوتيه: ماضى شمال افريقيا، ترجمة هاشم الحسينى، طرابلس، ١٩٧٠

١٦ - جودتشايلد، بدلى، هوايت: اكتشاف تماثيل قديمة اركائية فى قورينى، ليبيا القديمة جـ٣، ٤، ترجمة عديلة مياس، ١٩٦٧/٦٦

١٧ - جــون ويلســون: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٥
١٨ - جــــورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان ط٢، بغداد، ١٩٨٦
١٩ - جيمس هنرى برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسى، ترجمة حسن كمال، القاهرة، ١٩٢٩
٢٠ - جــهــان ديزانج: البربر الأصليون فى افريقيا الصغرى، تاريخ افريقيا العام، جـ ٢، اليونسكو، ١٩٨٥
٢١ - جينيت دى فيتا: «نقش معبد ايزيس فى صبراته»، ليبيا القديمة، جـ٣،٤، ترجمة عديلة مياس، ١٩٦٧/٦٦
٢٢ - حسن الشريف: العلاقات الحضارية والتأثيرات المتبادلة بين اقطار الشمال الافريقى، بحث غير منشور
٢٣ - حسن الشريف: «مشروع المسح الأثرى لوادى الحياة»، مجلة اوزو، العدد الأول، سبها، ١٩٨٨
٢٤ - دريتون - فانديية: مصر، ترجمة عباس بيومى، القاهرة، ١٩٥٠
٢٥ - رشيد الناضورى: المغرب الكبير - العصور القديمة، الاسكندرية، ١٩٦٦
٢٦ - رشيد الناضورى: التطور التاريخى فى الفكر الدينى، بيروت، ١٩٦٩
٢٧ - رجب الأثرم: تاريخ برقة السياسى والأقتصادى، بنغازى، ١٩٨٨
٢٨ - زينب عبد العال: مصر وليبيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الافريقية، ١٩٧٥
٢٩ - سليم حسن: مصر القديمة، جـ١٢، القاهرة، ١٩٩٤
٣٠ - سيد الناصرى: «الألعاب الأولمبية القديمة»، المجلة التاريخية، جـ٢١، ١٩٧٤
٣١ - سيد الناصرى: الإغريق - تاريخهم وحضارتهم، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥
٣٢ - شتريتر: «الرسوم الصخرية كمصدر تاريخى»، الصحراء الكبرى، ترجمة عماد الدين غانم، مركز الجهاد الليبى، ١٩٧٩

٣٣ - صــــبــــرى طـه: سمنود - دراسة تاريخية اثرية فى العصور الفرعونية والعصر البلطمى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ببنها جامعة الزقازيق، ١٩٩٢
٣٤ - عبد الكريم الميار: قورينى فى العصر الرومانى، طرابلس، ١٩٧٨
٣٥ - عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة واثارها، القاهرة، ١٩٨٠
٣٦ - عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، جـ١ مصر والعراق، ط٣، القاهرة، ١٩٨٢
٣٧ - عبد العزيز طريح: جغرافيا ليبيا، القاهرة، ١٩٧٠
٣٨ - عبد اللطيف أحمد على: التاريخ اليونانى - العصر الهلادى، جـ١، ٢، القاهرة، ١٩٧١
٣٩ - على فهمى خشيم: نظرة عابرة على الفنون فى ليبيا القديمة، الفصول الأربعة، جـ٢٢، مركز الجهاد الليبى، ١٩٨٣
٤٠ - على فهمى خشيم: آلهة مصر العربية، المجلد الأول والثانى، مصراته، ١٩٩٠
٤١ - فرنسوا شامو: الإغريق فى برقة - الاسطورة والتاريخ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى، بنغازى، ١٩٩٠
٤٢ - فوزى جاد الله: مسائل فى مصادر التاريخ الليبى قبل هيردوت « ليبيا فى التاريخ، بنغازى، ١٩٦٨
٤٣ - فابريتشيو مورى: تادرارات اكاكوس - الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر البارونى وفؤاد الكعبازى، ليبيا، مركز الجهاد اليبى، ١٩٨٨
٤٤ - كـــــوبـــر: «من الصيد إلى الرعى ما هو العصر الحجرى الحديث فى الصحراء الكبرى»، الصحراء الكبرى، ترجمة مكاييل محرز، مركز الجهاد الليبى، ١٩٧٩
٤٥ - لبيب حبشى: مسلات مصر، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، القاهرة، ١٩٩٤
٤٦ - محمد الطاهر الجرارى: «شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة»، مجلة البحوث التاريخية، جـ٢، مركز الجهاد الليبى، ١٩٨١

«المقبرة الملكية فى جرمه»، ليبيا القديمة، جـ٣،٤،
٤٧ - محمد سليمان أيوب: ترجمة عديلة مياس، ١٩٦٧/٦٦
ايران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامى، القاهرة، ١٩٨٤
٤٨ - محمد عبد القادر: تاريخ ليبيا، فى عصر ما قبل التاريخ، .... ٣٢٠٠ ق.م،
٤٩ - محمد مصطفى بازامه: بنغازى، ١٩٧٣
مصر بين الفرس والأغريق، رسالة ماجستير غير
٥٠ - محمود زميتر: منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٨٩
السلفيوم، مصراته، ١٩٩٤
٥١ - مراجع عقيلة الغناى: دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، بنغازى، ١٩٦٦
٥٢ - مصطفى عبد العليم: مصر والشرق الأدنى القديم، جـ ٤، الحضارة المصرية،
٥٣ - نجيب ميخائيل: الاسكندرية، ١٩٦٦
تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتى، القاهرة ١٩٩٠
٥٤ - نيقولا جريمال: الرسوم الصخرية فى الصحراء الكبرى، الصحراء الكبرى،
٥٥ - هنرى لوت: ترجمة مكاييل محرز، مركز الجهاد الليبى، ١٩٧٩
لوحات تسيلى، ترجمة زكى حسن، طرابلس، ١٩٦٨
٥٦ - هنرى لوت: الكتاب الرابع
٥٧ - هيرودوت: يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، القاهرة، ١٩٨٧
٥٨ - هيرودوت «قرون الحيوان فى عصور ما قبل التاريخ فى ليبيا
٥٩ - وندرات سكوت وفابرى: وأثرها فى حضارات أخرى» ليبيا القديمة، ج٣،٤،
ترجمة عديلة مياس، ١٩٦٧/٦٦
٦٠ - وهيب كامل: ديودور الصقلى فى مصر، القاهرة، ١٩٧٤
٦١ - ياروسلاف تسرنى: الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدرى،
القاهرة، ١٩٨٧

ثانياً: المراجع الأجنبية

Aharoni, Y., *The Land of The Bible, A Historical Geography* Translated from the Hebrew by Rainey , A. F., London, 1970

Albright, W. F., The Sea Peoples in Palestine. C. A. H^3., 2 A. 1980

Arkell, A. J. , *A History of The Sudan From Earliest Times To 1821,* 2nd ed. , London, 1961

Barnett, R. D. ,"The Sea Peoples", *C. A. H^3*. 2A., 1980

Bates , 0., *The Eastern Libyans* ,London, 1914

Bisi, A.M. ," Punic Stelae" , *Archaeslogiaviva,* Paris, 1968

Boardman, J. , The Greeks Over Seas , London, Penguin Books, 1964

Boardman and Hays , *Excavation at Tocra* , London, 1966

Bovill , E.W., *The Golden Trade of the Moors* , London, 1968

Bradford Welles , C., "The Role of the Egyptian Under the Frist

Ptolemies" , *American Studies in Papyrology*, 7, 1970, pp.509-512

Bragan, O., *Magnificent Tombs which The Home Guard of Roman Tripolitania Built, London,* 1955

Burn, A.R., *The Lyric Age of Greece*, London, 1966

Burn, A.R. , *Persia and Greek The Defence of the West 540-478 B.C.*, London, 1962

Bury , J.B. , *History of Greec to the Death ofAlexander the Great*, 3 rd ed. ,London, 1951

Cameron, G.G.," Darius,Egypt and the Land Byond the Sea" J.N.E.S. ,2, 1943,Part 4, pp. 307-313

Carter, T.H. , *In Expedition the Bulletin of University Museum of the University of Pensylvania*, Spring, 1963 ,vol.3

Cerny , J.," Egypt from the Death of Ramesses III to the End of the Twenty First Dyansty" , *C.A.H*^{3} . , 2 B, 1980

Chiantore, G., *Rivista di Filologia Demiurgi in Greta, Torino*, Annoix 1930

Childe, V.G. ,*New Light on the Most Ancient East*, London, 1958

Coster, C.H. , *The Economic Position of Cyrenaica in Classical Ages*, in Studies in Roman Economic and Social History in homor of Allan Chester Johnson, 1951

Coujat, J., Montet, P.,"Les Inscription Hieroglyphiques et Hieratiques du Ovadi Hammemat" , *M.I.F.A.O.*, 34, 1912, pp.164 - 173.

Cowley, A.E., *Aramic Popyri of the Fifth Century B.C.*, Oxford, 1923

Daressy, G., "Fragments Heracleopolitains", *A.S.A..E.*, 21, 1921 pp. 138 - 139

Dunham, D. , *The Royal Ceme teries of Kush, vol. IV, Royal Tombs of Meroe and Barkal*, Bostom, 1957

Ed-Brovarski, "Two Old Kingdom Writting Boards From Giza," *A.S.A.E.* , 71 , 1987

Edgerton, W.F. , and Wilson, J., *Historical Records of Ramesses III*, Chicago, 1936

Elgood, P.G., *The Later Dynasties of Egypt* , Oxford, 1951

EI-Mosallamy, A.," Libyco - Barber Relations With Ancient Egypt, The Tehenu in Egyptian Records " ,*Libya Antique*, 2, 1986

EI-Rashdy, F., " Garamantian Burial Customs; Their Relation to Those of Other Peoples of North Africa " ,*Libya Antique*, 2, 1984

Fakhry, A., Bahria Oasis , I , 1942

Faulkner, R.O., "Egypt From the Inception of the Nineteenth Dyansty to the Death of Ramesses III "*C.A.H*^{3}. ,2A, 1980

Frankfort, H. , *Studies in Early Pottery of the Near East*, London

Gardiner, A.H. ,"*Ancient Egyptian Onomastica*, 2 vols. ,Oxford, 1947

Ghazal, A.H. ,"New Light on the distinction Between Ammon of Libya and Zeus of Cyrene " *Libya Antique*, 2, 1984

Ghirshman, R. ,*Iran from the Earliest Times to the Persian Conquest*, London, 1965

Giedion, S., *Symbolic expression in prehistory and in the First high Civilisations in sign Image and Symbol*, London, 1966

Goedicke, H.," Psammetik I and die Libyer" , *M.D.A.I.K.* , iS, 1962,

Gomaa, F., *Die Libyschen Furslentumer des Deltas Vom Tod Osokons II bis zur Werderveieinigung Ägypten durch PsametikI*, Wiesbaden 1974

Goodchild, G., *Benghazi the Story of the City*, 1962

Graves , R., *The Greek Miths*, Penguin Books, 1958

Grimal, N., " La Sléle triamphale de Pi (ankh) y au Musée du Cairo J.E. 48862 et 47086 - 47088" , *M.I.FA.O.* , 105, 1981

Griffith, F., *Catalogue of the Demotic Papyri*, 3 vol. , Manchester, 1909

Griffith, J.G. , *The Origins of Osiris and His Cult*, Brill , leiden, 1980

Grote, G. ,*A History of Greece*, vol 4, London, 1906

Gunn, B.," the Inscribed Sarcophagus in the Serapeum" , *A.S.A.E.*, 26, 1926

Gyles, M.E., *Pharaonic Policies and Adminisration 663 - 323 B.C.*, Carolina, 1959

Habachi, L. , "The Military Posts of Ramesses II on the Coastal Road and The Western ofthe Delta" *B.L.F.A.O.* , 80, 1980

Habachi, " Sais and Its Monuments, "*A.S.A.E.*,42,1943

Hall, H.A. , *The Ancient History of the Near East, 11th ed.* , London, 1963

Hall ,H. A., "'Egypt Under the Aliens", *C. A.H³.* ,2,1975

Hasebroek, J. , *Trade and Polities in Ancient Greece* , London, 1965

Hill , G. F. ,*Sources of Greek History 525-431 B.C.*, Oxford, 1962

Holscher, W., *Libyer und Ägypter*, Hambwrg, 1937

Hornung, E., *Conceptions of God in Ancient Egypt,* Translated by John Baines , London, 1982

Jones, A., *Cities of The Eastern Roman Empire*, Oxford, 1937

Kees , H., *Ancient Egppt, a Cultural Topography,* London, 1961

Kent, Old Persian Texts, Darius Behistan Inscription Column V; *J.N.E.S.* ,2, 1943

Kitchen, K. A., " On The Princedomes of Late Libyan Egypt ",*C.D.E.* , 52, 1977, pp. 40-48

Kitchen, K. A., *The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 B.C.)* 2nd ed. , Warminster, 1986.

Lang, A., *The Last Oracle from Delphi* , London, 1887

Lichtheim, (Miriam) , *Ancient Egyptian Literature,* vol. 3, *The Late Period,* California, 1980

Luckenbill, D.D. ,*Ancient Records of Assyria and Babylonia*, 2vols., 1926-1927

Macadam, M. F., *The Temples of Kawa,* II, Oxford, 1949

Mallet D.," les Rapports des Grecs avec l'Egypte de Ia Conquite de Cambyse á Celle d'Alexandre", *Memoires,* 48, 1929

Mazzarino, S., *Era Oriented Occidente Ricercbe di Storia greca archaica,* Florence, 1947

Moustafa el Amir, *A family Archive from Thebes,* part 2 , Cairo, 1959

Mercer, S.A.B., *The Religion of Ancient Egypt,* London, 1949

Michaelidis ," Quelques Objects Inedits d'époque perse" *A.S.A.E.,* 43, 1943

Mitchell, B.M.," Cyrene and Persia" *J.H. S.*, 86,1966

Montet, P., *Geographie de L'Egypte Ancienne,* I, Paris,1957

Moret, A., *De Bocchari Rege*, Pris, 1903

Moret, A., *Historie Ancienne, Histoire de l'Orient,* Tome II, Paris, 1936

Murray, M.A., *The Splen Daur That Was Egypt*, New ed., London, 1964

Naville, E., " Did Menephtah Invade Syria" ,*J.E.A.*, 2,1915

Nelson, H., " The Naval Battle Pictured at Medinet Habu" , *J.N.E.S.*, 2, 1943

Noshy , I., " Arcesilaus III ", *Libya in History,* 1968

Olmstead, A.T.," Darius and Behistan Inscription" , *A.J.S.I.,* 60,1938

Olmstead, A.T., *History of The Persian Empire,* 5th ed., Chicago, 1966.

Pacho, *Voyage dans la Marmarique la Cyrenaique*, Paris, 1979

Parke, H., *Greek Mercenary Soldiers,* Oxford, 1933

Park, J., and Wormell, *A History of the Delphic Oracle*, I, Black Well, 1939

Parker, R. A., "Persian and Egyptian Chronology", *A.J.S.L.*, 58, 1941

Parker and Dubberslein, Babylonian Chronology, Providence, 1959

Peet, E., *The Great Tomb-Robberies of The Twentieth Dynasty*, 2 vol., Oxford, 1930

Petrie, W. F., *Naukratis*, I, London, 1886

Petrie, W. F., *Ahistory of Egypt*, III, London, 1905

Petrie, W. F., *Palace of Apries,* London, 1909

Petrie, W. F., *The Making Egypt,* London, 1939

Petrie, W. F., *Naguda and Ballas,* London, 1896

Petrie, W. F., *Religious Life in Ancient Egypt,* Boston, 1914

Petrie, W. F., *Religion and Conscience in Ancient Egypt,* London, 1898

Posener, G., *La Permiere Domination Perseen Egypte,* Le Caire, 1936

Ritner, R. K., Khababash and Satrap Stela, *Z.A.S.*, 107, 1980

Robinson, E.S.G., *British Museum Catalogue of Greek Coins of Cyrenaica,* 1927

Rostvtzeff, M., *Social and Economic History of The Roman Empire,* 2nd ed., Oxford, 1958

Rowe, A., "A History of Ancient Cyrenaica, New Light on Egypto-Cyrenean Relations Two Ptolemaic Statues found in Tolmeita "*A.S.A.E.,* 12 Cahier No.12, 1948

Sadawya, A., "The Greek Settlement in Cyrenaica With Notes on Pottary Discovered There ", *Libya in History*, 1968

Sauneron, S., Yoyotte, J., "La Campagne Nubienne de Psammetique II" *B.I.F.A.O.,* 51, 1951

Shinnie, P., *Meroc*, London, 1969

Spalinger, A., "The Reign of King Chabbash, An Interpretation", *Z.A.S.,* 105, 1978

Steindarff, G., *Aniba*, I, Hamburg, 1935

Stevenson Smith, *The Art and Architecture of Ancient Egypt,* Maryland, U.S.A., 1965

Tod, M.N., *A Selection of Greek Historical lnscnption,* vol. 2, Oxford, 1962

Trigger, B.G., et all, *Ancient Egypt, A Social History,* Cambridge, 1984

Vandier, J., *Manval d'archeologie Egyptienne,* VI, Paris, 1955

Wainwright, G.A., "Some Sea Peoplesand Others in The Hittite Archives", *J.E.A.,* 25, 1939

Wainwright, G.A., "The Meshwesh", *J.E.A.*, 48, 1962

Wainwright, G.A., The Sky Religion in Egypt, Cambridge, 1938

Wilson, J., "The Libyans and The End of The Egyptian Empire", *A.J.S.L.*, 21, 1935

Wiseman, D.J., Chronicles of Chaldaen Kings, London, 1956

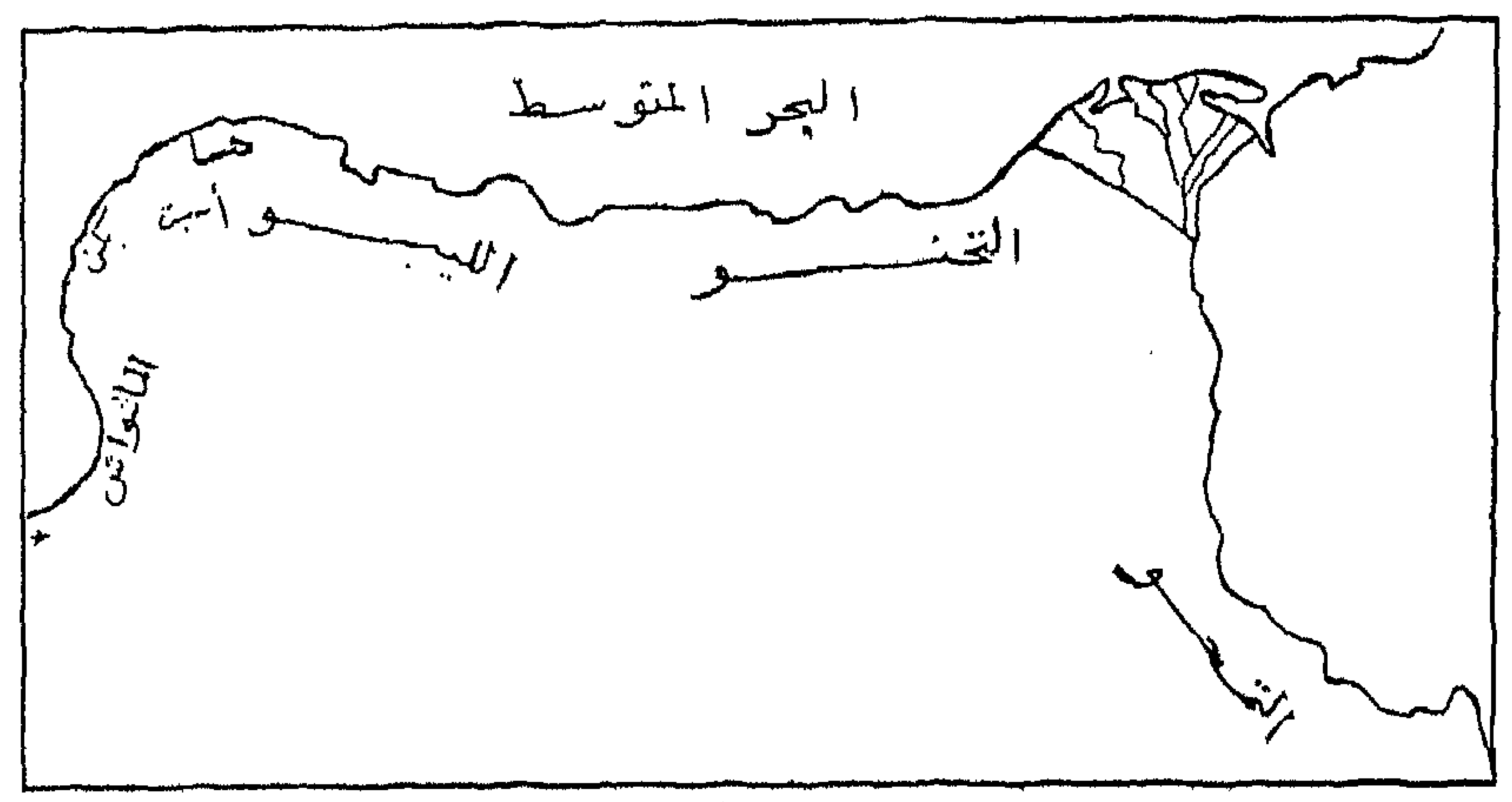
Younis, S.A., Hellenic Minorities in Ancient Egypt During The Late Period (Ca. 664 - 332 B.C.), Faculty of Archaeology, Cairo University, 1995

Yoyotte, J., "Les Principautes du Delta au Temps de L'anarchie Libyenne", M.I.F.A.O., 66, 1961

Yoyotte, J., "Notes et documents Paur Servir á l'Histoire de Tanis", Kémi, 21, 1971

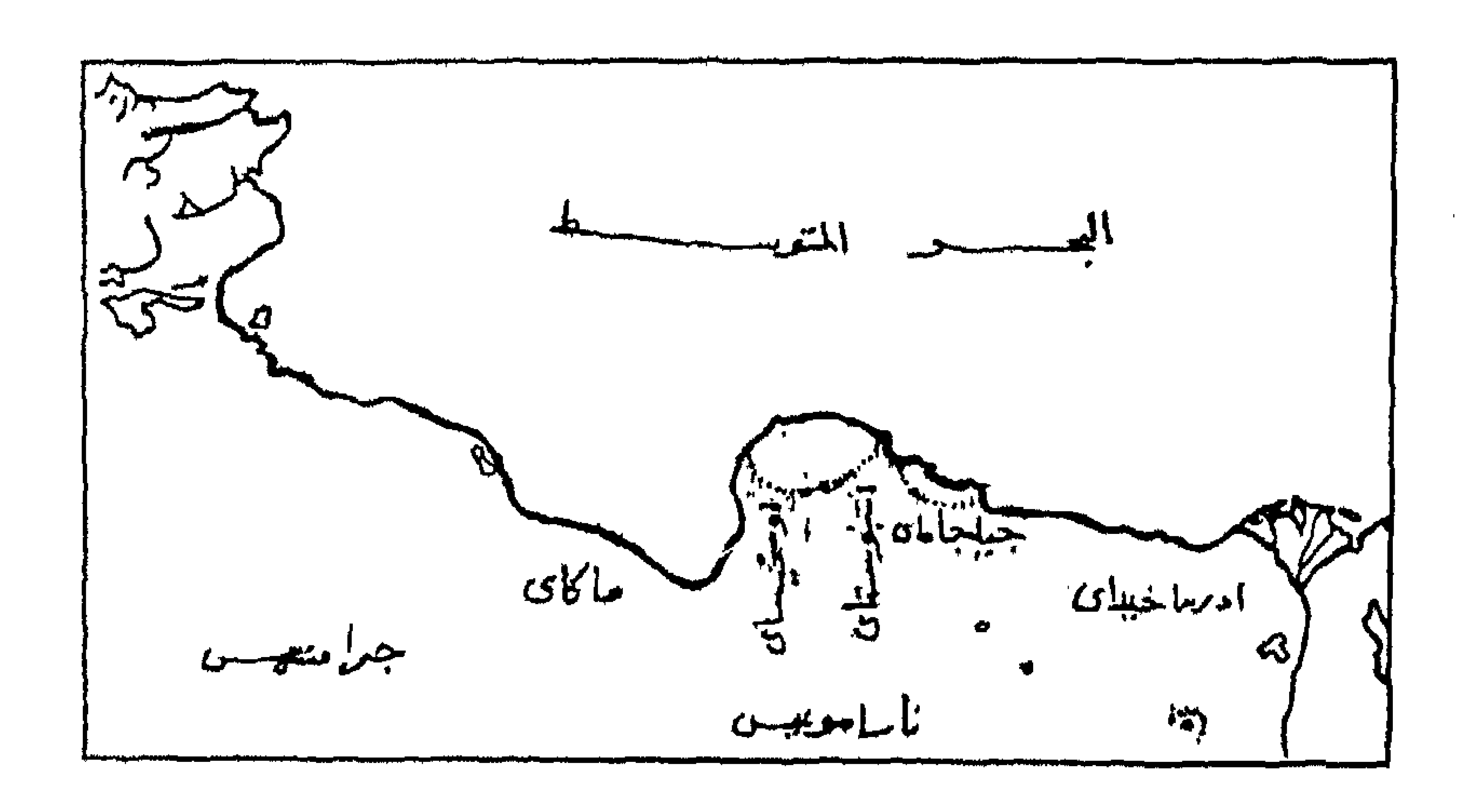
Zibelius, K., Afrikanisclie Arts-und Völkernamen in Hieroglyphischen und hiertischen Texten, Wiesbaden.

فهرس الأشكال

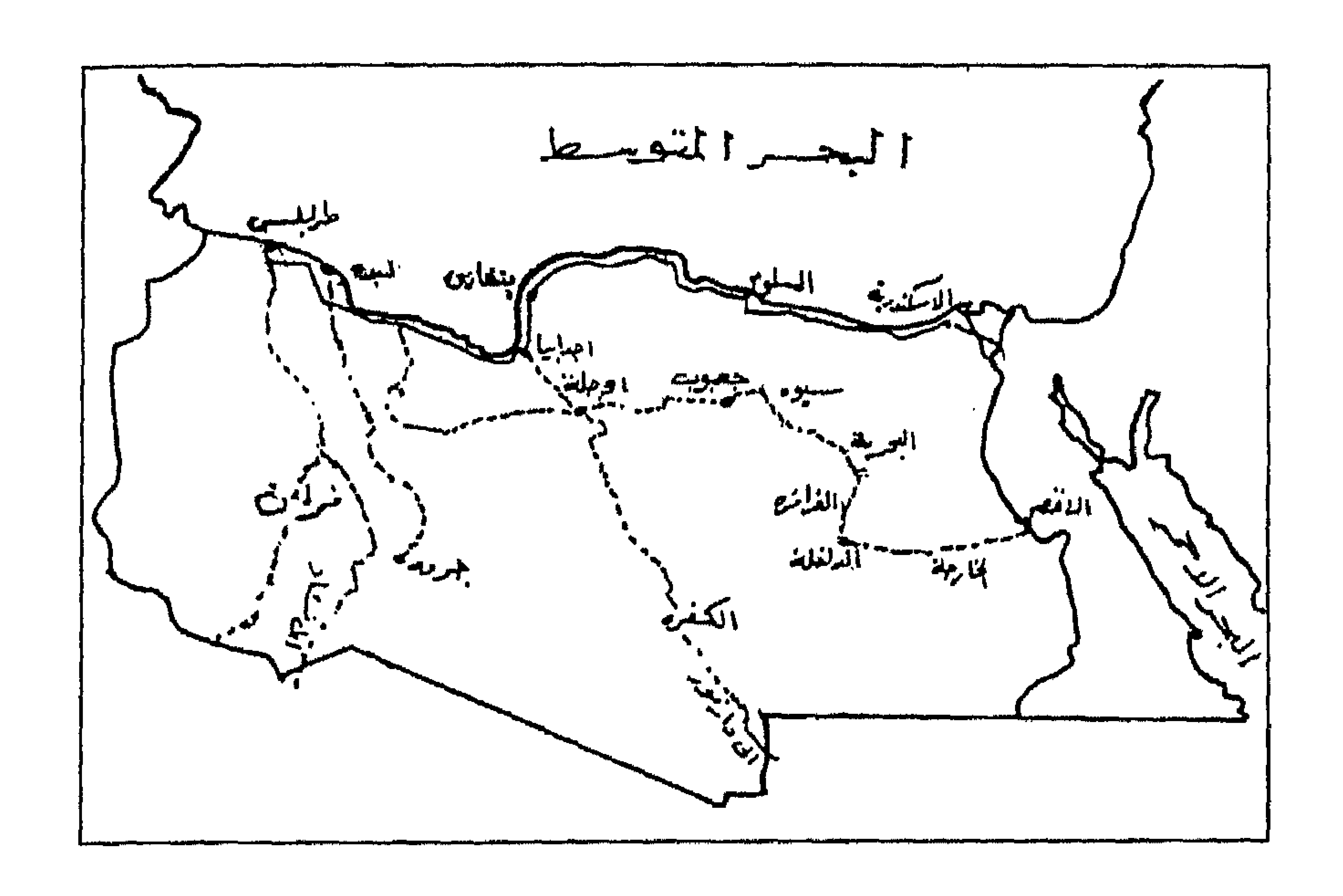


القبائل الليبية المقابلة للعصر الفرعونى

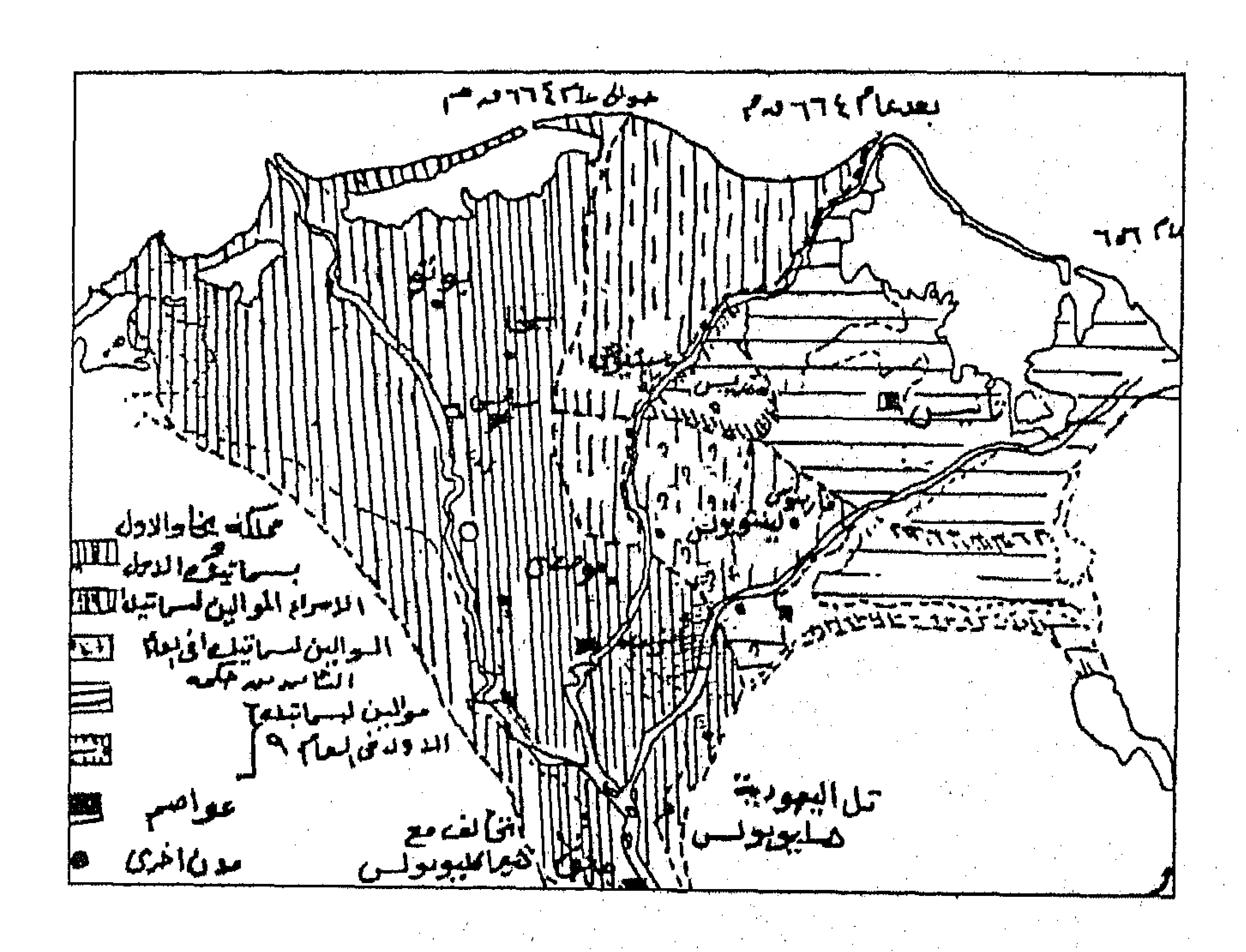
Bates, The Eastern Libyan



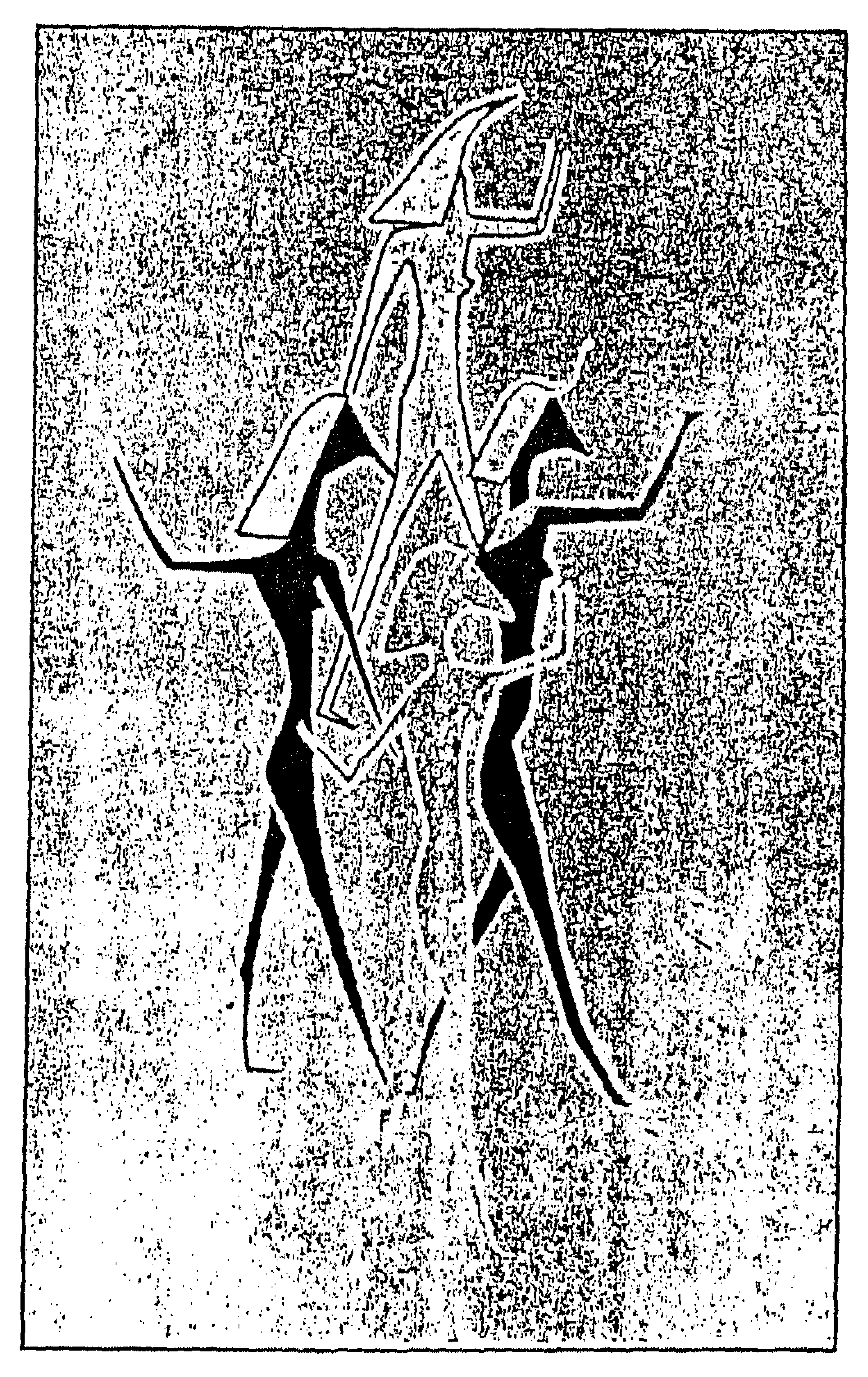
شكل رقم (١) القبائل الليبية وفق هيردوت



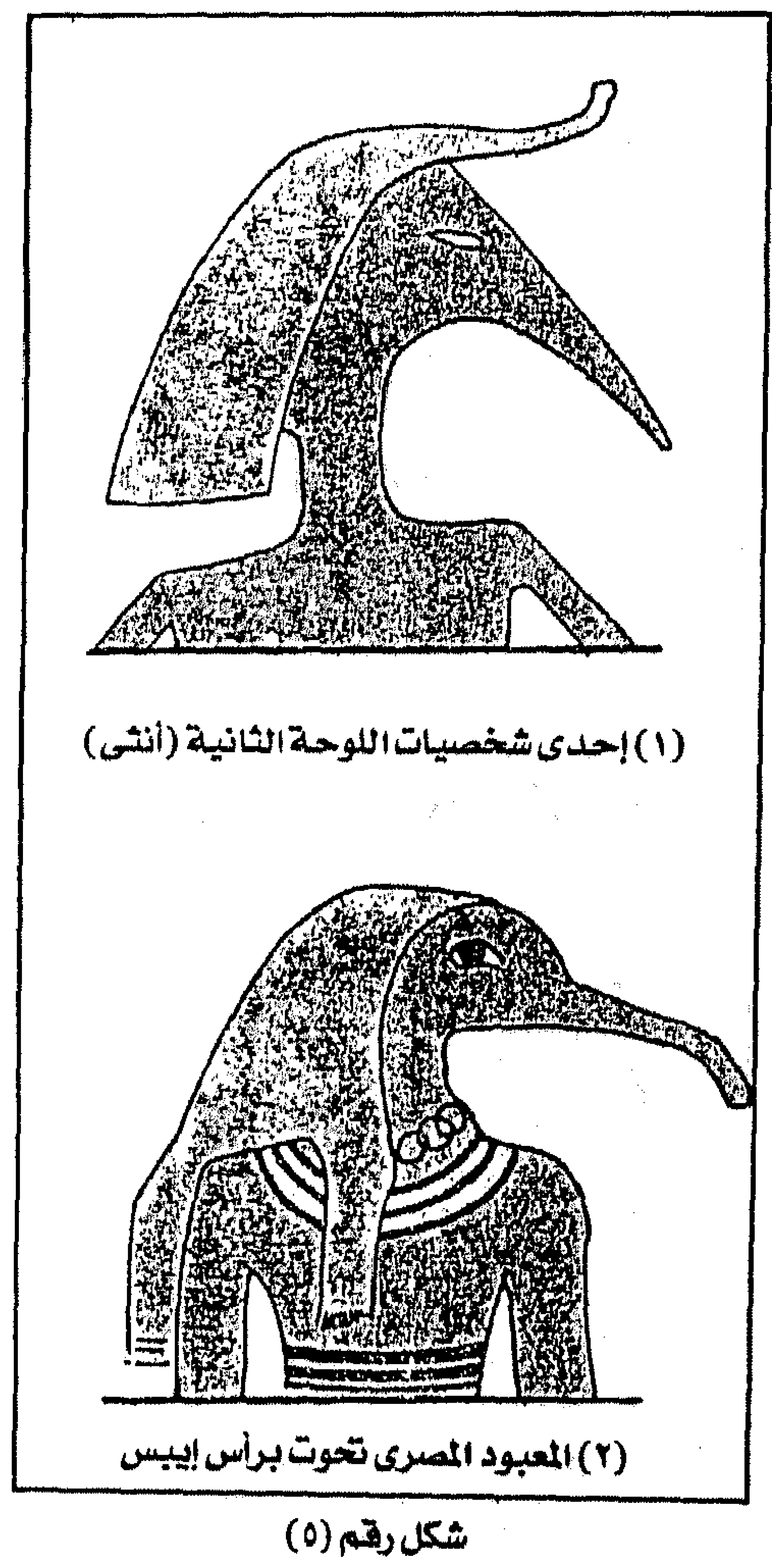
شكل رقم (٢)
الطرق والدروب الصحراوية التى سلكتها التجارة فى العصور القديمة



شكل رقم (٢)
امتداد مملكة بسماتيك الأول شرقاً حتى عام ٦٥٦ ق.م
Kitchen, Third Intermidiate, p. 401



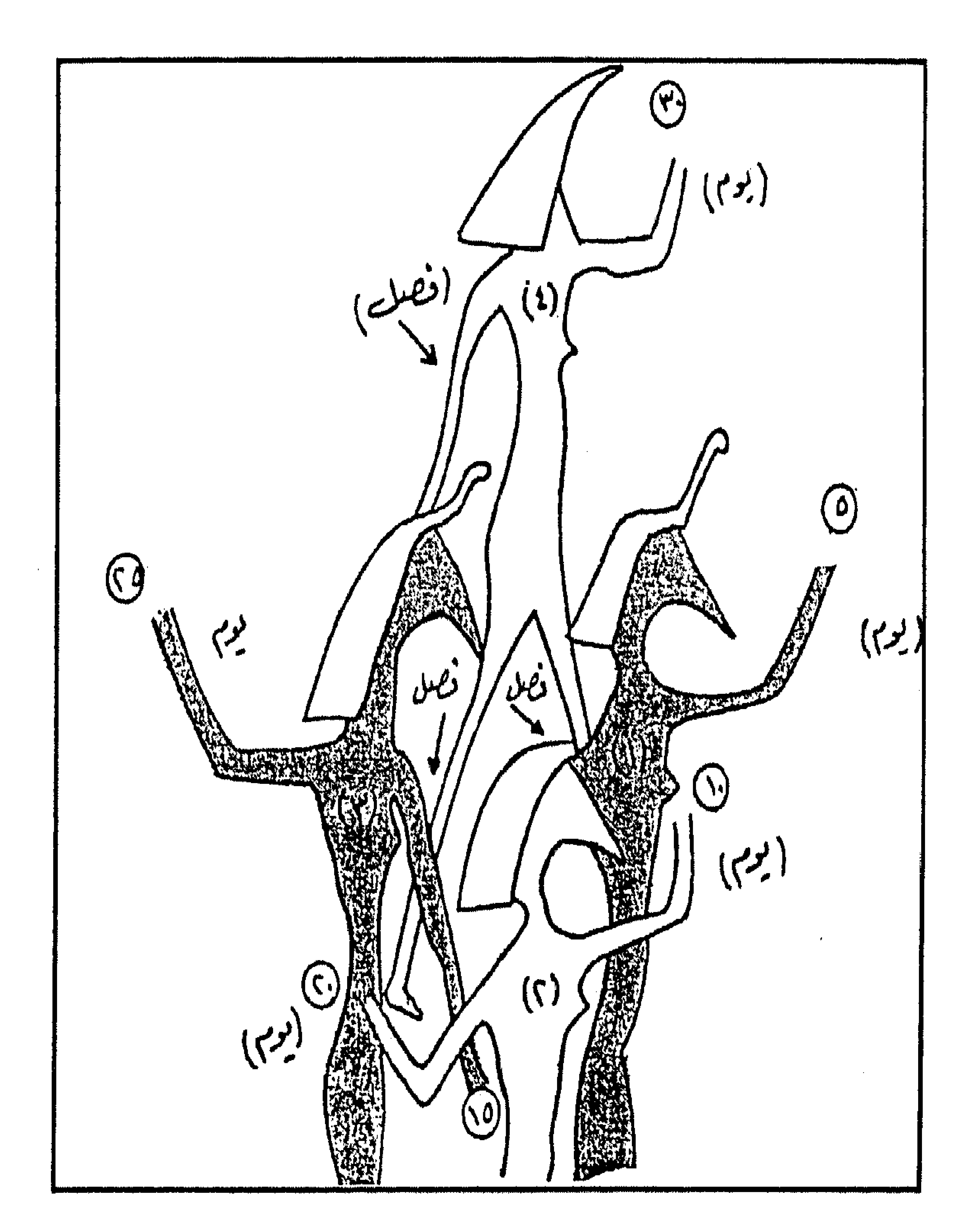
شكل رقم (٤)
لوحة هنرى لوت الأولى (الالهات المصريات)



(١) إحدى شخصيات اللوحة الثانية (أنثى)

(٢) المعبود المصرى تحوت برأس إيبس

شكل رقم (٥)



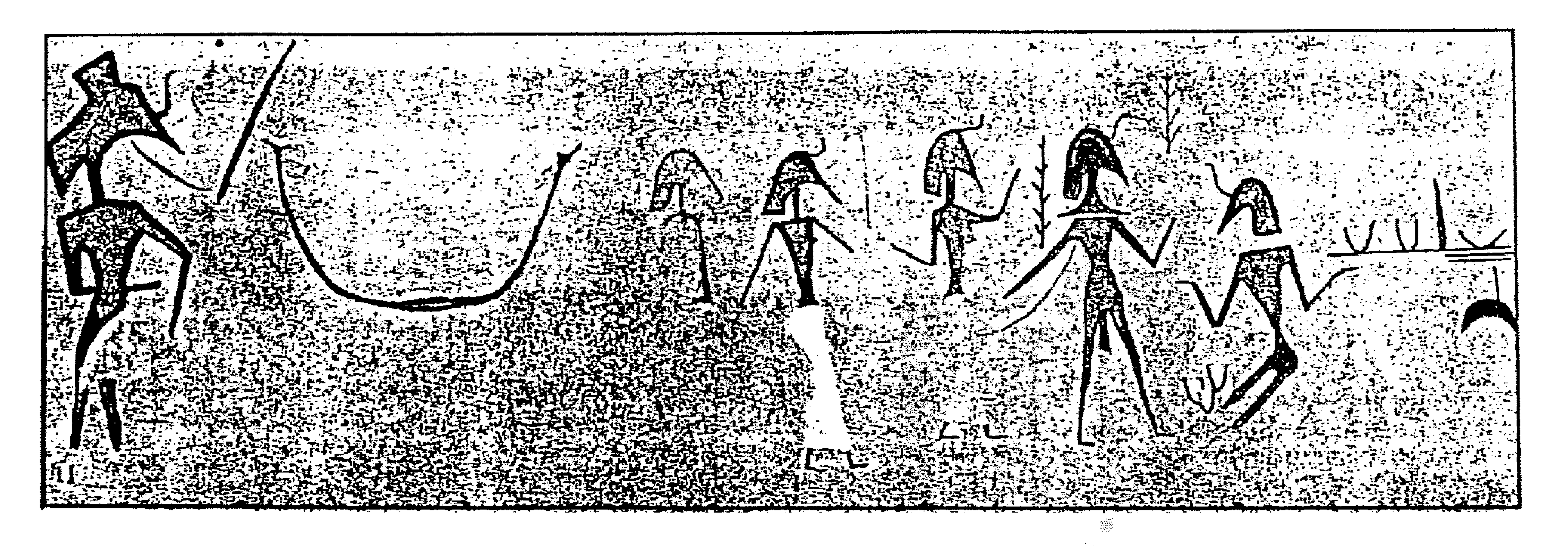
شكل رقم (٦) توضيح اللوحة السابقة

الفصول ٣ - الأيدى المرسلة

الفصول ٤ لكل فصل - الالهات الأربع

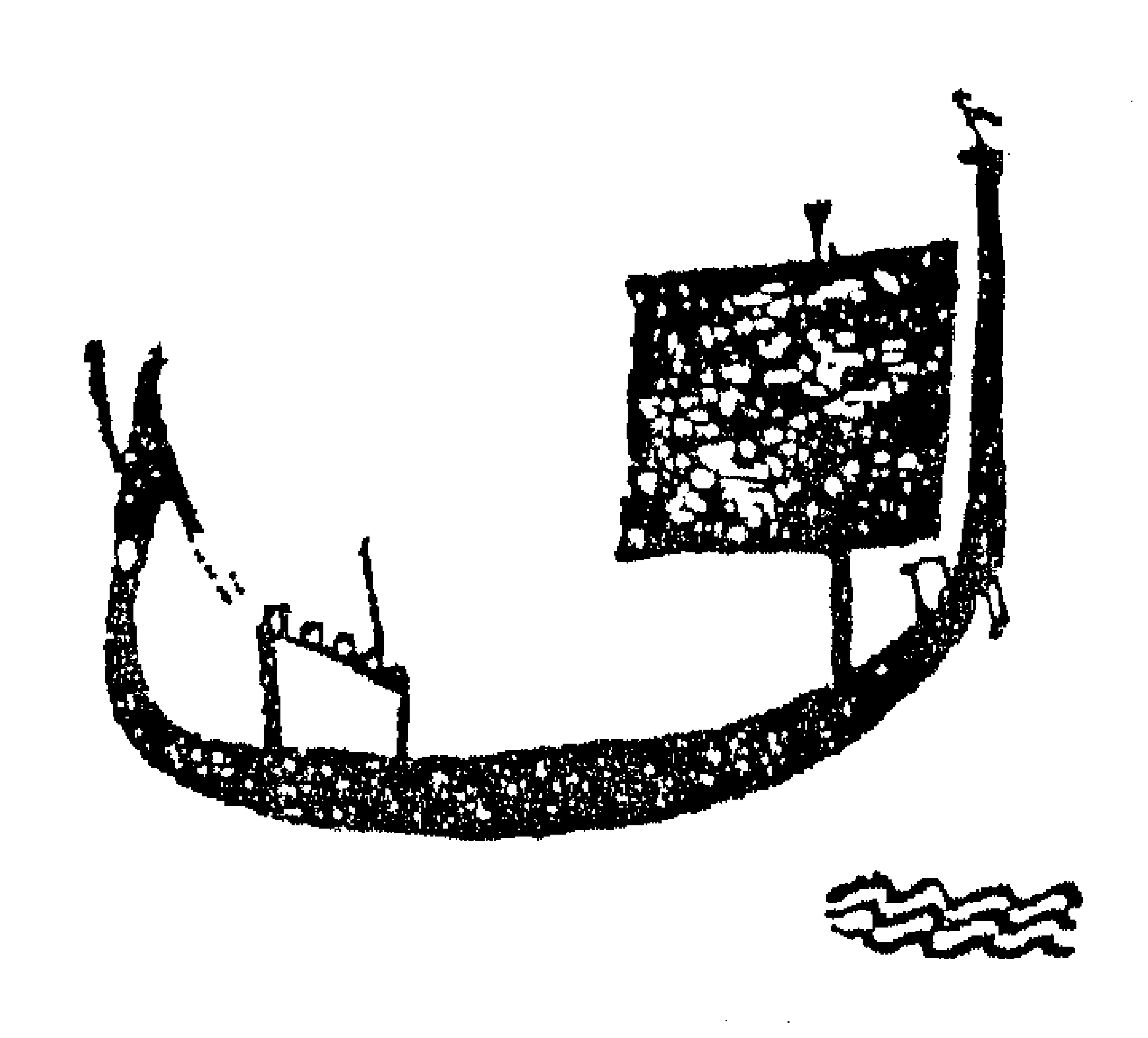
الأيــام ٣٠ - أصابع الأيدى غير المحجبة

النـسئ ٥ - الأيدى المرفوعة



شكل رقم (٧)

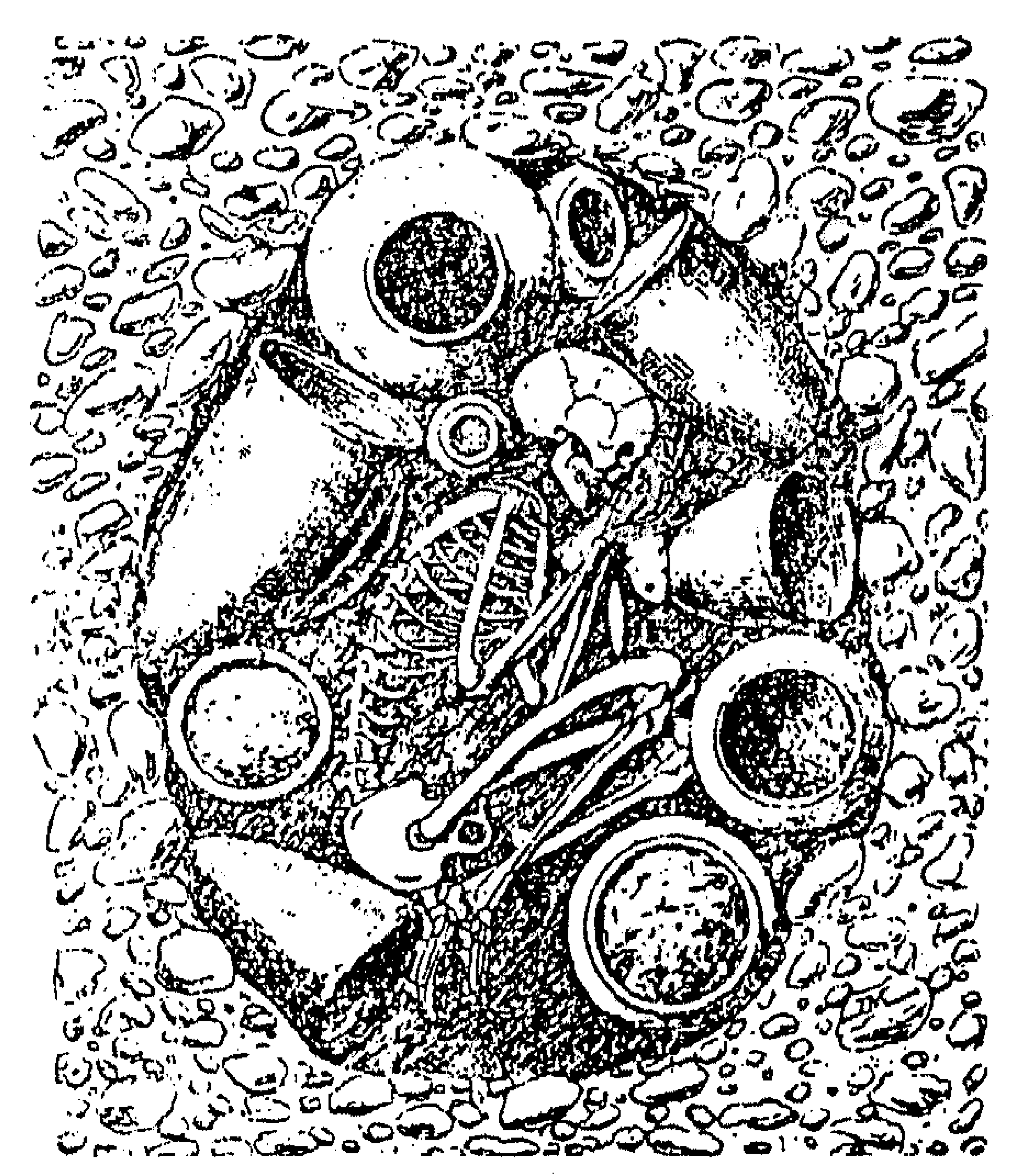
لوحة القربان (لوحة هنرى لوت الثانية)



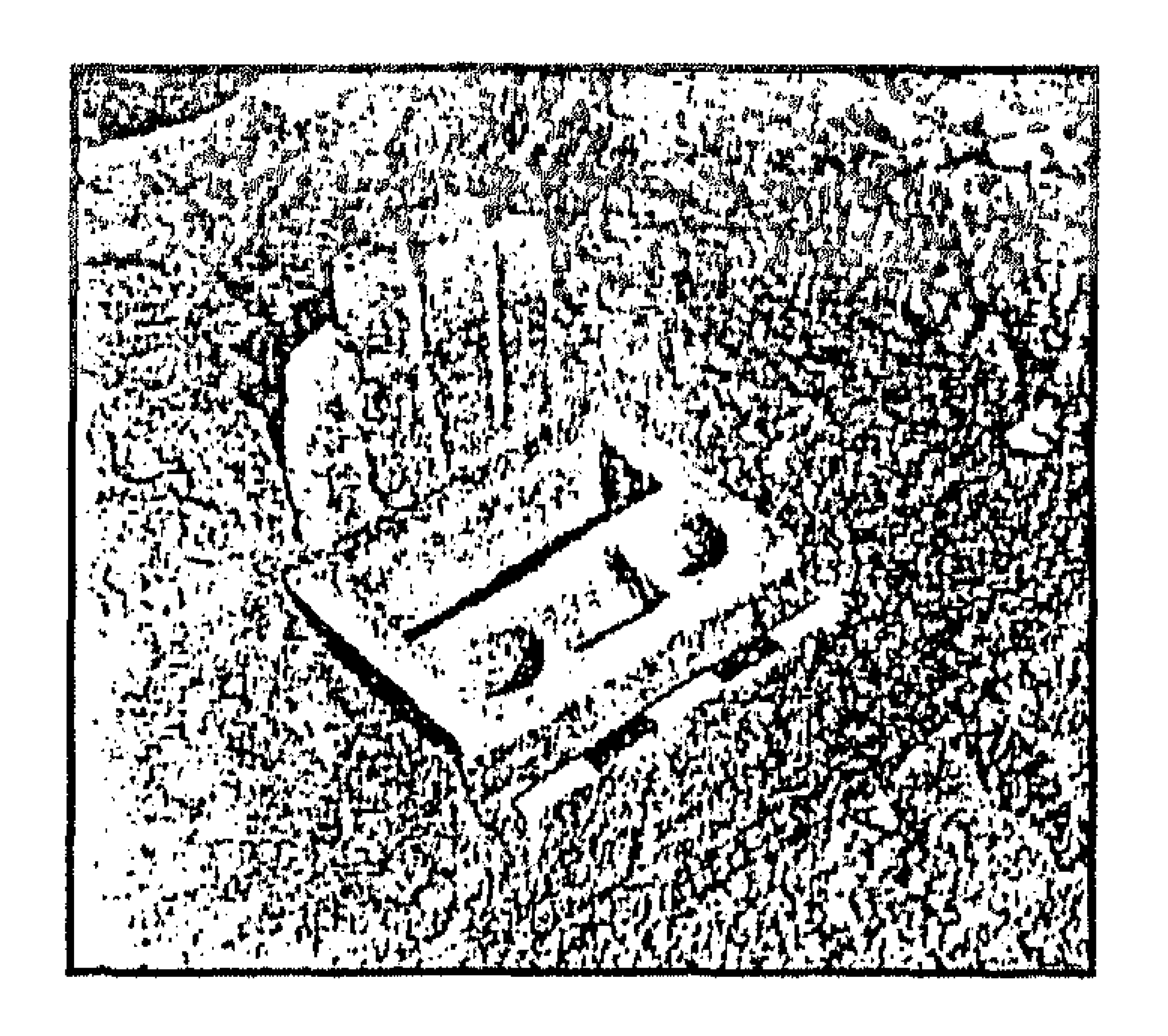
شكل رقم (٨)
سفينة أجنبية مرسومة على إحدى أوانى حضارة سماينة
نقلاً عن:
ابراهيم رزقانه : الجغرافية التاريخية، ص ٤٨٣



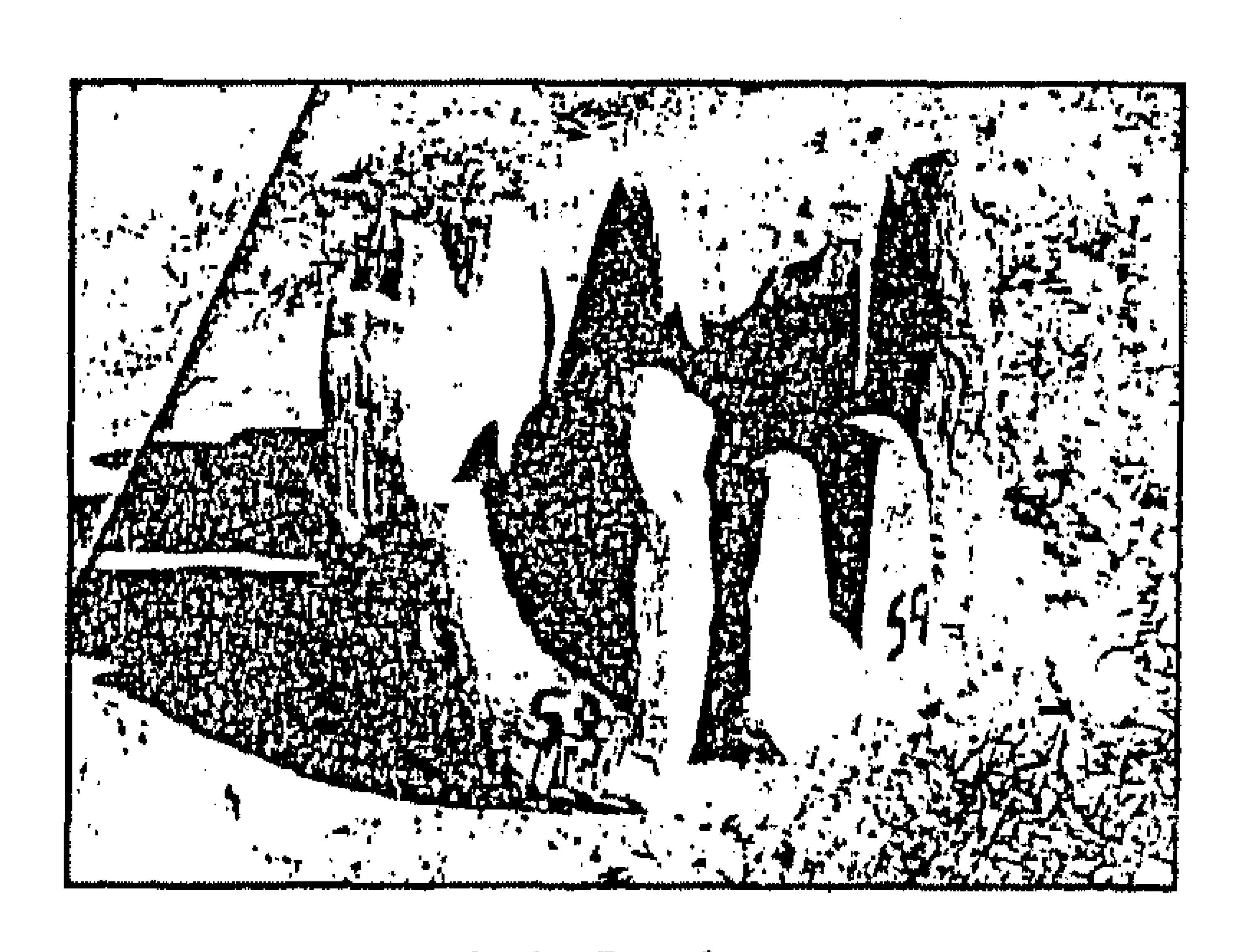
لوحة هنرى لوت (لوحات تسيلى)



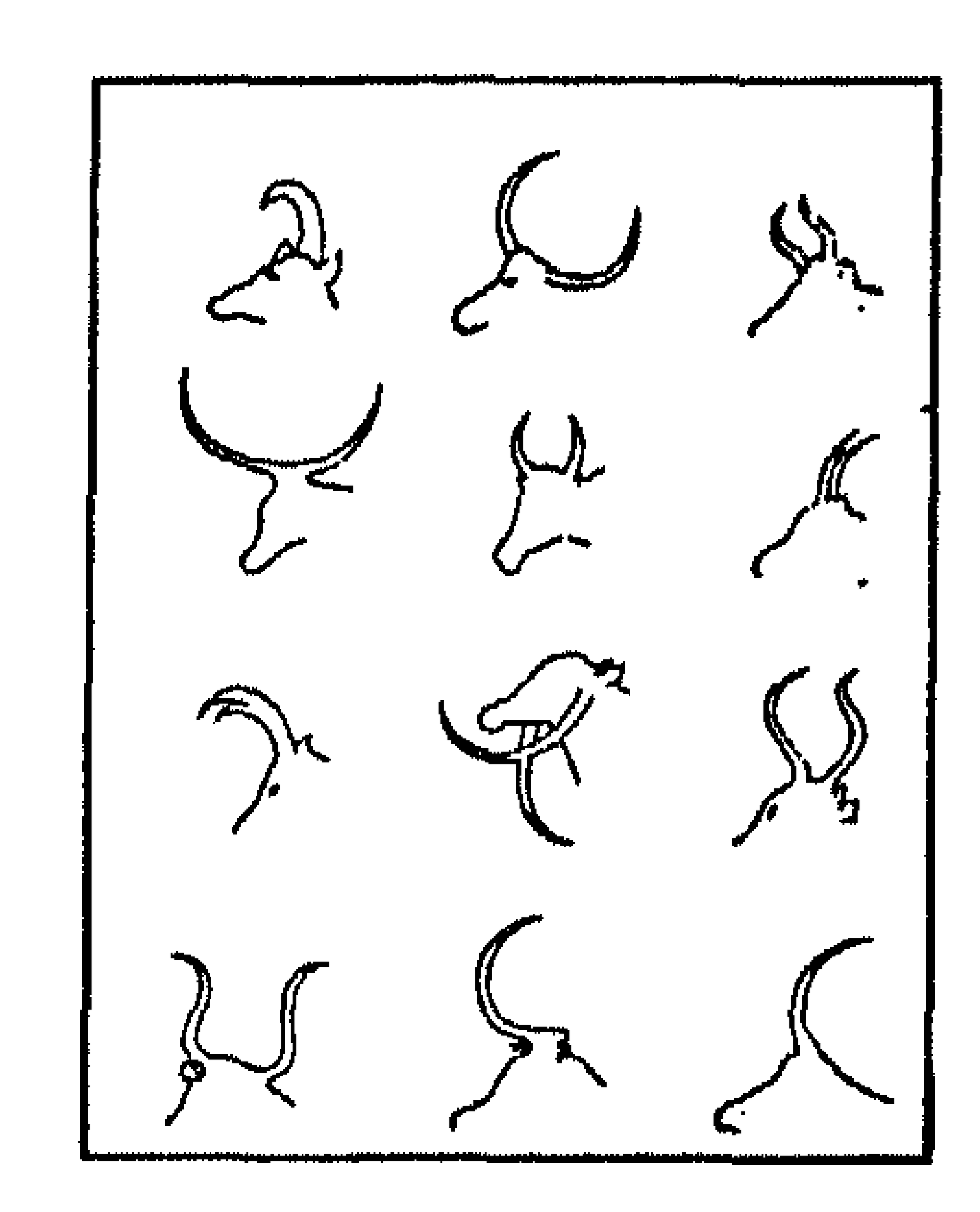
شكل رقم (٩) لوحة من العمره يرى فيها الهيكل البشرى وحوله مجموعة من الهدايا
عن رزقانه، الجغرافية التاريخية، ص ٤٥٤



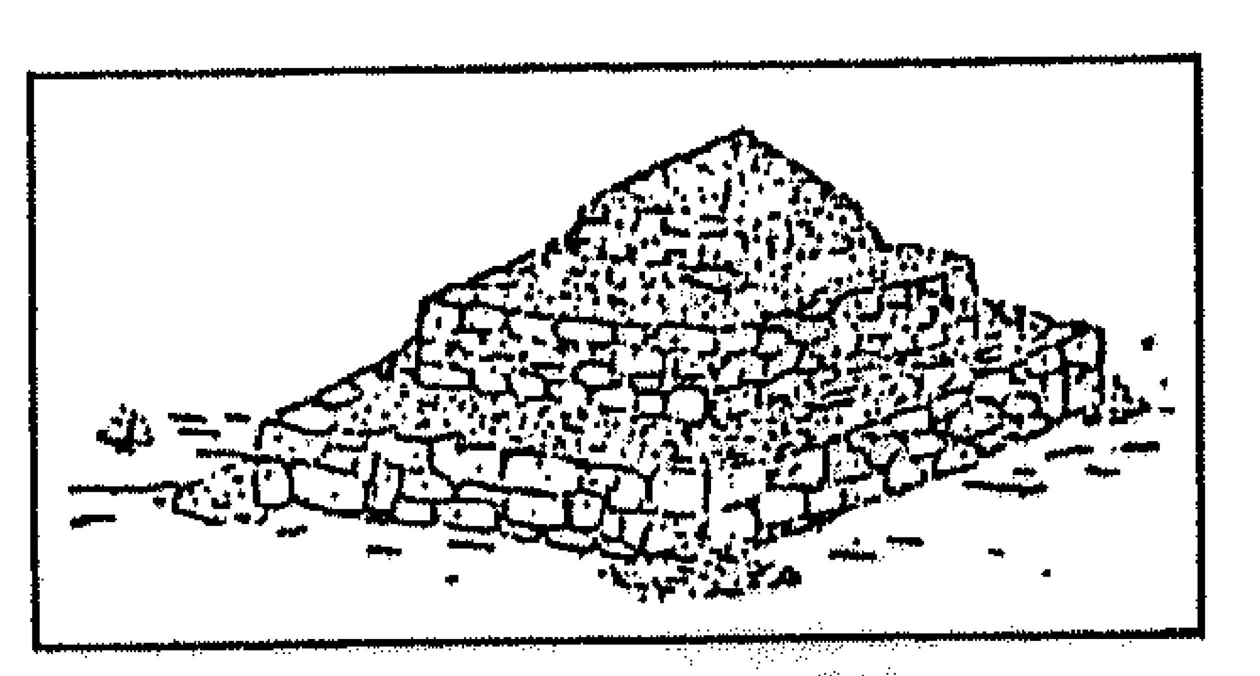
لوحة على شكل كف اليد مع مائدة قربان من العصر الرومانى فى جبانة زنككرا



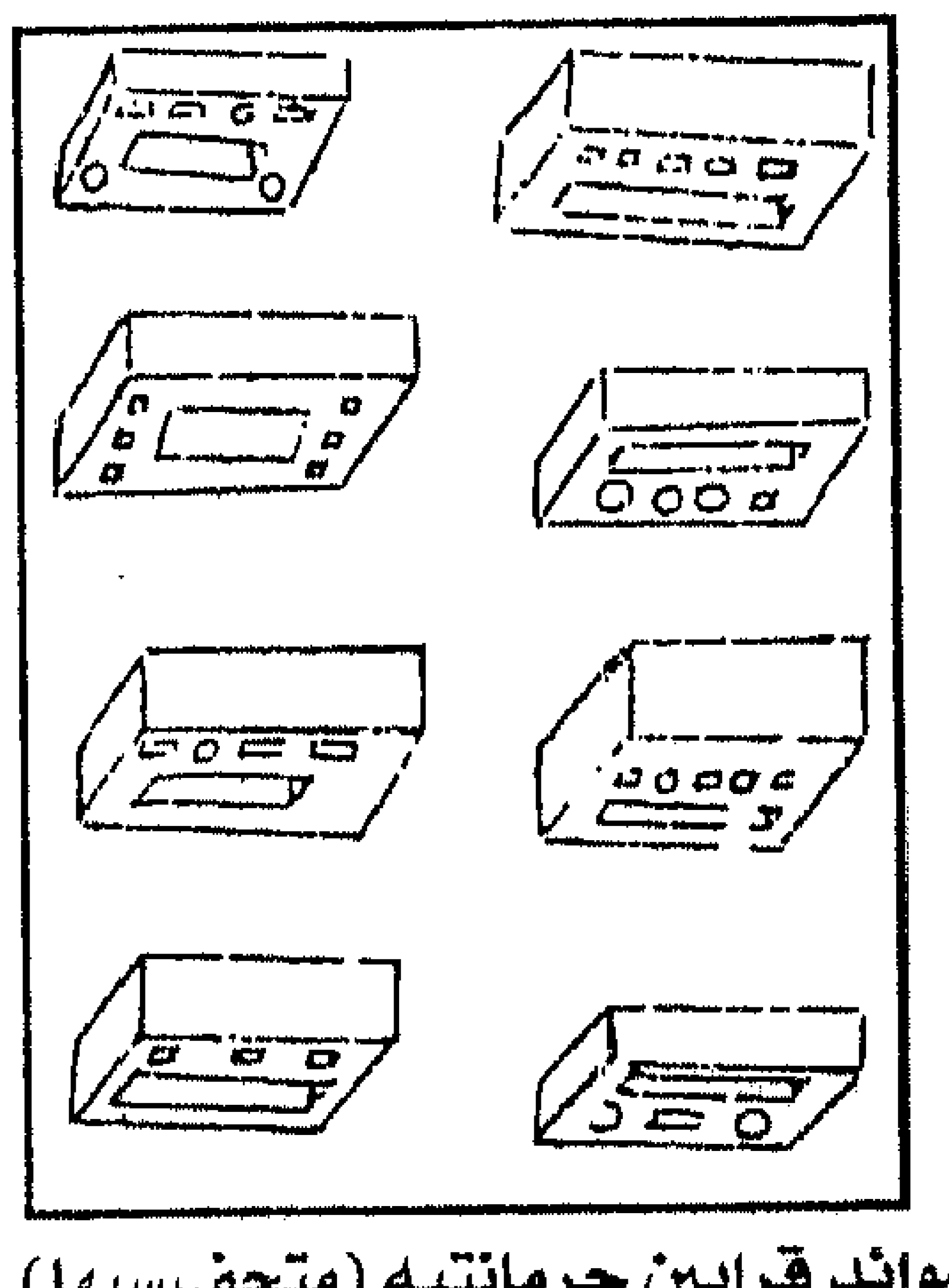
شكل رقم (١٠)
لوحات تسيلى على شكل القرن من سنية بنى هويدى
نقلاً عن :
El-Rashdy, Libya Antique, p. 91



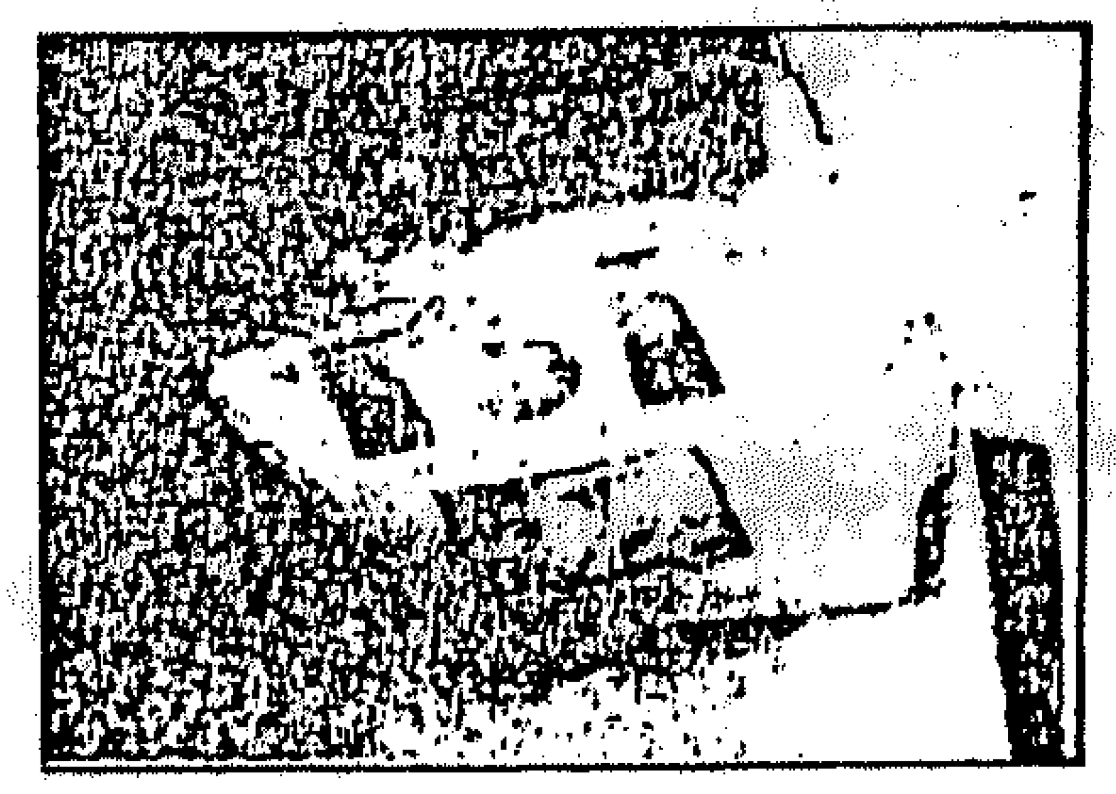
تمثيل القرون فى الفن الصخرى الليبى



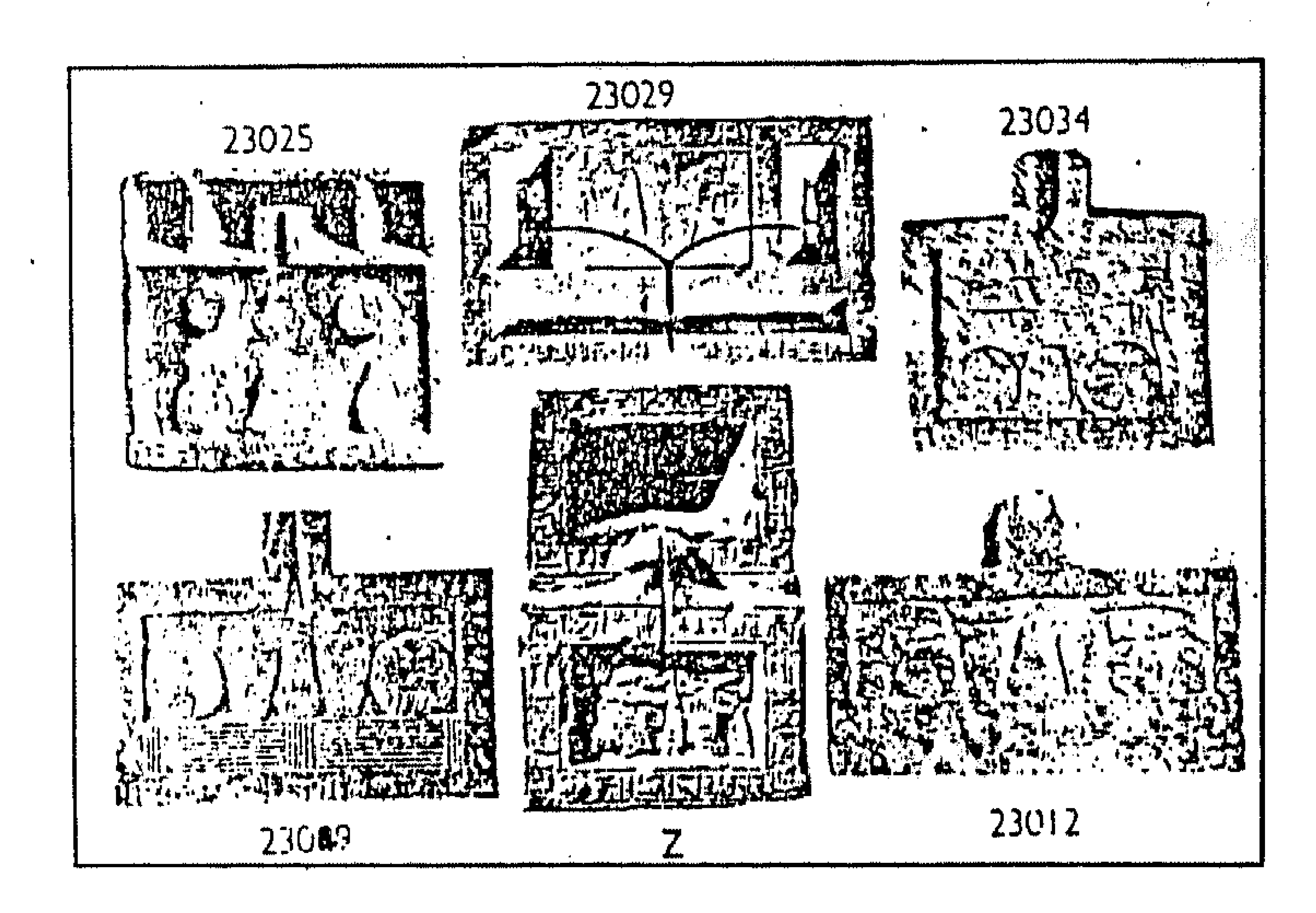
مقبرة هرمية من وادى الحياة تماثل الهرم المدرج



موائد قرابين جرمانتيه (متحف سبها)



مائدة قربان موجودة بمتحف طرابلس تحت رقم ٢٤٥٦



شكل رقم (١١)

أ) موائد قرابين من عصر الدولة الوسطى (٢٣٠٢٩، ٢٣٠٢٥ القاهرة)

ب) موائد قرابين من عصر الدولة الحديثة (٢٣٠٢٤، ٢٣٠٤٩، ٢٣٠١٢ القاهرة)

جـ) مائدة قربان من عصر الدولة الحديثة وجدت فى دير المدينة (Z)



شكل رقم (١٢)
عن موري؛ تادرارت اكاكوس، ص ١٧٠



منظر رقص رقم (١) نهاية دور الرؤوس المستديرة (وادى ايكى

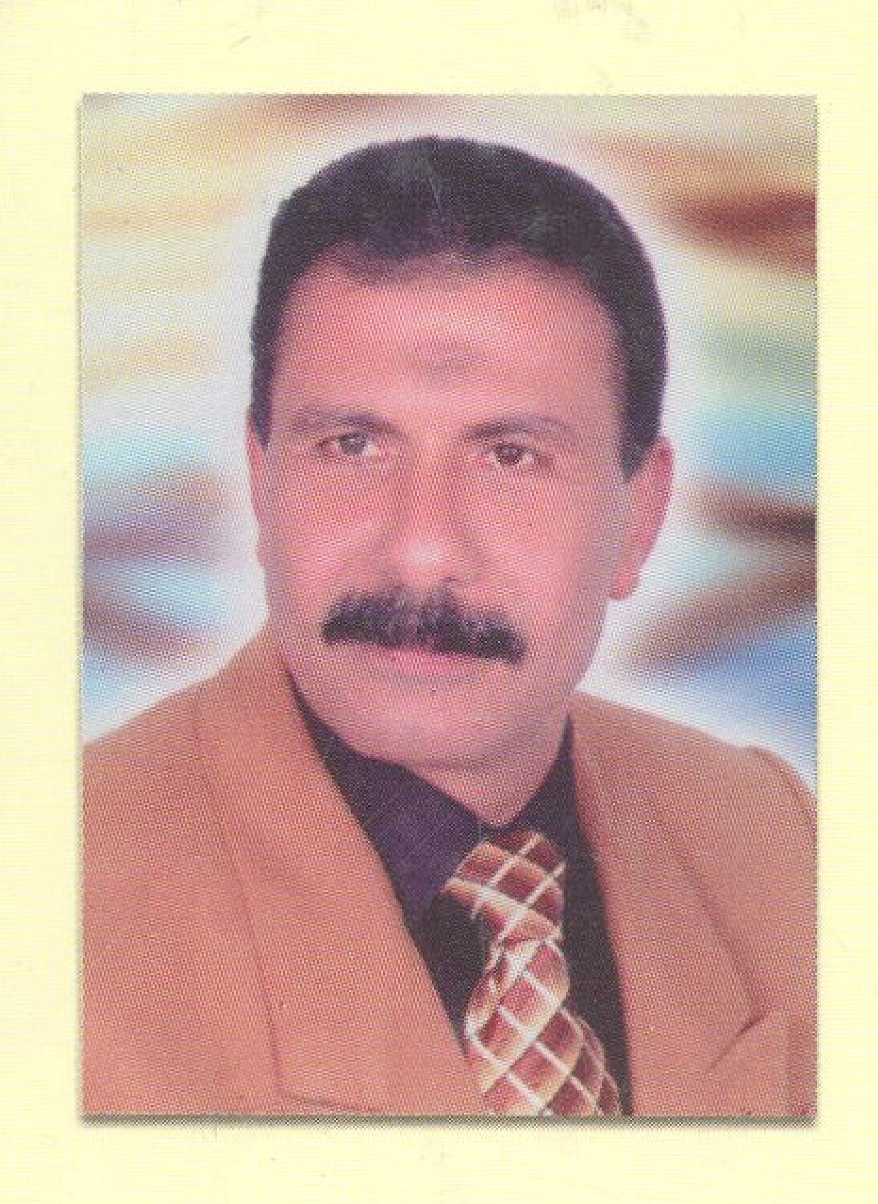


منظر رقص رقم (٢) نهاية دور الرؤوس المستديرة (وادى ايكى)
عن مورى، تادرارت اكاكوس، ص ١٧١

الفهرس

تاريخ وحضارة شمال افريقيا
رقم الإيداع / ٥٨٨٢ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى 978-977-6341-03-6

نبذة عن المؤلف



التدرج الوظيفى :

معيد بكلية الآداب - جامعة المنوفية ١٩٨٦

مدرس مساعد بكلية الآداب - جامعة المنوفية ١٩٩١

مدرس بكلية الآداب - جامعة المنوفية ١٩٩٧

أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة المنوفية ٢٠٠٧

الإنتاج العلمى :

مدينة منوف فى التاريخ القديم بحث منشور مجلة كلية الآداب جامعة المنوفية

حوار الحضارات القديمة فى المنطقة العربية بحث فى مؤتمر إعلام دمياط ٢٠٠١

الأصول الحضارية المشتركة لأقطار الشمال الإفريقى مجلة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية

أضواء جديدة على أصل الشعب الفلسطينى بحث منشور بمجلة كلية الأداب جامعة المنوفية ١٩٩٧

النشاط :

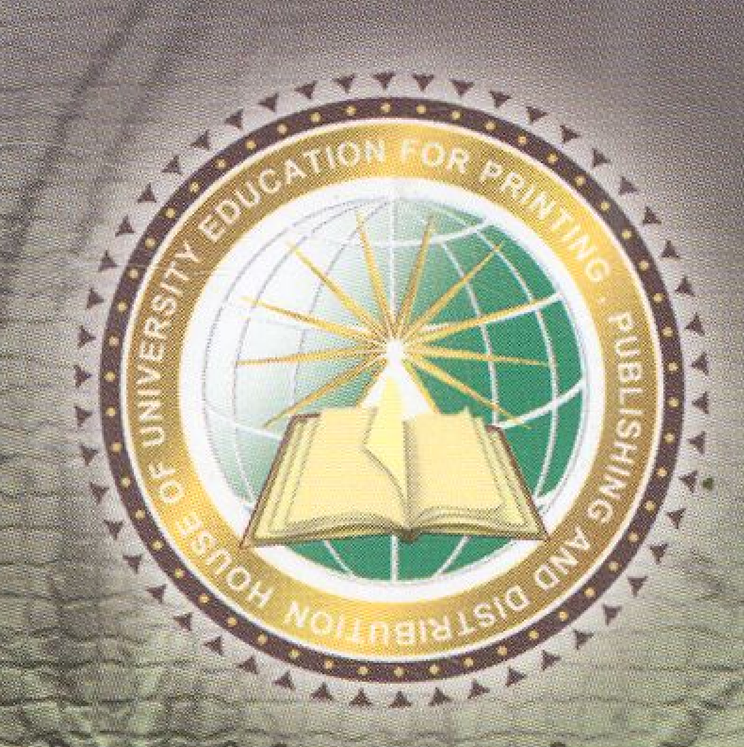
إنشاء شعبة الآثار المصرية لأول مره بكلية الآداب - جامعة المنوفية

إنشاء متحف تعليمى بكلية الآداب - جامعة المنوفية

عضو بعثة المسح الأثرى بمحافظة المنوفية

الإشراف العلمى :

أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه



دار التعليم الجامعى
للطباعة والنشر والتوزيع

٢١ش شادى عبد السلام - برج زهرة الأنوار - ميامى - الإسكندرية - ج.م.ع.
تليفاكس: ٠٣/٥٥٦٢٩٦١-٠٠٢ موبايل: ٠١٠١٨٣١٧٩٦-٠٠٢/٠١١٩٩٩٥٠٠٩
Email:dartalemg@yahoo.com